

دليل الحائمين

١٩٥٧
٧

صناعة الناز والناظم

جمعة الفقير اليه تعالى شاكر البتلوني

نظر فيه وضبطه وصححه

العلامة المصطفى الشيخ ابراهيم اليازجي

حتى طبعه محفوظ

طبع ثمانية في بيروت في المطبعة الادبية سنة ١٨٩٠

مرخصة مجلس معارف ولاية سورية الحبيبة

اُحْمَدُ لِلَّهِ الَّذِي زَيَّنَ أَجْيَادَ الْبَلَاغَةِ بِعُقُودِ الْفَصَاحَةِ
 وَالْبَيَانِ وَجَعَلَ اللَّفْظَ دَلِيلًا عَلَى الْمَعْنَى وَالْمَعْنَى دَلِيلًا
 عَلَى الْاِتِّجَانِ * وَبَعْدُ فَإِنِّي لَهَا رَأَيْتُ صِنَاعَةَ الْإِنْشَاءِ قَدْ
 أَخَذَتْ فِي هَذَا الْعَصْرِ جَمَالَ زُخْرُفِهَا وَمَاسَتْ خُرْدُ
 الْفَصَاحَةِ تَجَرُّ عَلَى مَتُونِ الْبَهَارِ فَضْلَ مُطَرَفِهَا فَغَاصَتْ
 أَقْلَامُ الْأَدَبَاءِ عَلَى جَوَاهِرِ اللَّفْظِ تَلْتَقِطُهَا مِنْ خِلَالِ
 جَدَاوِلِ الْأَسْفَارِ وَأَسْنَتُ فَرَاحِ الْأَلْبَاءِ فِي سَنَنِ
 اَلْحَدْيِ عَلَى آثَارِ الْمُتَقَدِّمِينَ فِي هَذَا الْبُضْهَارِ رَأَيْتُ أَنَّ
 اُتُّخِفَ اَلْمُنَادِيْنَ وَمَنْ نَظَّمَتْهُمْ حَلَقَاتُ اَلْمَدَارِسِ فِي هَذَا
 الْعَصْرِ بِسِفْرِ يُسْفِرُ عَنْ جُلِّ آدَابِ الْإِنْشَاءِ وَمَا يَجْتَاجُ إِلَيْهِ
 اَلْمُبْتَدِئُ فِي مُعَانَاةِ النِّظْمِ وَالنَّثْرِ فَجَمَعْتُ لِذَلِكَ هَذَا

الْكِتَابَ مَا خُودًا عَنْ مُصَنَّفَاتِ جِلَّةِ الْعُلَمَاءِ الْمَشْهُورِينَ فِي
الْفَنِّ جَمِيعًا وَرَبَّتُهُ أَبَوَابًا وَفُصُولًا ثَلَاثَةً فِيهَا نُصُوصُهُمْ
وَرَصْعَتُهَا فِي أَثْنَاءِ تَرْصِيعِهَا ثُمَّ أَرَدْتُهَا بِطَائِفَةٍ مِنْ
أَفْوَالِهِمْ فِي ضُرُوبِ الرِّسَائِلِ وَغَيْرِهَا مِنْ أَغْرَاضِ
الْمُرْسَلِينَ وَالْكِتَابِ لِيَكُونَ مِثَالًا يَجْذِبُهُ السَّالِكُ عَلَى
طَرِيقَتِهِمْ بَعْدَ مُطَالَعَةِ مَا سَبَقَ مِنَ الْأَبْوَابِ وَخَشْيَتُهُ
أَخِيرًا يَقَرُّ مَتَفَرِّقَةً ثَلَاثَةً مِنْ كُتُبِهِمْ فِي مَعَانٍ شَتَّى مِنْ
الْوَصْفِ يُمَكِّنُ أَنْ يَسْتَعِينَ بِهَا الْكَاتِبُ حَيْثُ اضْطَرَّ إِلَيْهَا
أَوْ يَسْتَظْهَرَ بِهَا عَلَى الذِّكْرِ فَيَهْتَدِي إِلَى تَرَكَيبِ آخَرٍ
مِمَّا يَجْرِي فِي أَسْلُوبِهِ عَلَيْهَا وَلَهَا نَسَبٌ لِجَمْعَةٍ وَأَنْسَقَ
وَأَنْتَظِمَ شَبَلُ فَرَائِدِهِ عَلَى هَذَا النِّسْقِ وَضَعْتُ بَيْنَ يَدَيَّ
حَضْرَةَ الْعَالِمِ الْعَلَامَةِ وَالْأَسَازِ اللَّغَوِيِّ الْفَهَامَةِ الشَّيْخِ
إِبْرَاهِيمَ الْيَازْجِي فَسَخَّ اللَّهُ فِي مَدْنِهِ وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَنْظُرَ فِيهِ
قَبْلَ تَشْيِيلِهِ تَسْدِيدًا لِمَنْهَجِهِ وَتَدَارُكًا لِمَا سَقَطَ عَنِّي فِي
بَعْضِ فُصُولِهِ فَجَاءَ بِحَبْدِ اللَّهِ كِتَابًا وَافِيًا الْفَوَائِدِ صَافِيًا
الْمَوَارِدِ يَنْفَعُ عَلَى فَلَةٍ رَشْحِهِ غَلَّةُ الصَّادِي وَيَنْفَعُ بِإِذْنِ اللَّهِ

الْبَادِي وَالشَّادِي وَقَدْ سَمَّيْتُهُ دَلِيلَ الْهَائِمِ فِي صِنَاعَةِ
النَّائِرِ وَالنَّاظِمِ وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُفِيدَ بِهِ الطُّلَّابَ
وَيَجْعَلَهُ مَقْدِمَةً لِحَاجَتِهِ الثَّوَابِ بِمَنْهِ وَحُسْنِ تَوْفِيقِهِ

فهرس الكتاب

القسم الأول

في أدب الكاتب وصناعته وفيه بابان

الباب الأول

في آداب العلم والتعليم وفيه ستة فصول

صفحة

١

الفصل الأول في شرف العلم

٥

الفصل الثاني فيما ينبغي لطالب العلم

١١

الفصل الثالث في أوائل العلم ومداخله

١٢

الفصل الرابع فيما يجب على المعلم وفي وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق افادته

١٥

الفصل الخامس في استعمال العلم

١٦

الفصل السادس فيما يجب ان يكون عليه العلماء من الاخلاق الجيدة بهم

الباب الثاني

في صناعة الكاتب وفيه عشرة فصول

١٩

الفصل الأول في اركان الكتابة

٢١

الفصل الثاني في ادوات الكتابة

الفصل الثالث في الصناعة اللفظية وهي قسبان

٢٤

القسم الأول في اللفظة المفردة

صفحة	
٣٣	القسم الثاني في الكلام
٤٠	الفصل الرابع في انقسام الكلام الى فني النظم والنثر
٤٤	الفصل الخامس في السجع
٤٨	الفصل السادس في كيفية عمل الشعر ووجه تعليمه
	الفصل السابع في الفصاحة والبلاغة وفيه قسمان
٥٤	القسم الاول في الفصاحة
٥٨	القسم الثاني في البلاغة
٦١	الفصل الثامن في المبادئ والافتتاحات
٦٨	الفصل التاسع في التخلص والاقتضاب
٧٥	الفصل العاشر في الختام

القسم الثاني

في شذرات مختلفة من اقوال الكتاب وفيه فصول

٨١	فصل في حسن التواصل
٨٧	في الاستعطاف والاعتذار
٩٦	في العتاب
١٠٤	في التنصل
١٠٥	في المدح والشكر
١١٠	في العبادة
١١٢	في الإهداء
١١٤	في التهنئة
١١٦	في الاستزارة

١١٩	فصل في الوصاة
١٢١	في الشكوى
١٢٧	في التعازي
١٢٩	في الخطب
١٤٦	في الدم والنطبعة
١٥٠	في الدعاء
١٥٢	في القول عند الوقوف على النبر

خاتمة في الوصف

١٥٦	في وصف البلدان
١٥٦	في وصف القلاع
١٥٧	في وصف الدور
١٥٧	في وصف الديار الخالية
١٥٨	في وصف ايام الربيع
١٥٨	في وصف الرياض
١٦٠	في وصف طول الليل والنهار وما يعرض فيه من المهوم والفكر
١٦٠	في وصف انتصاف الليل وتناهي انتشار النور وافول النجوم
١٦١	في وصف طلوع الشمس وغروبها ومتنوع النهار وانتصافه وابتدائه وانتهائه
١٦٢	في وصف الرعد والبرق
١٦٢	في وصف مفعلات المطر
١٦٣	في وصف الثلج والبرد وايام الشتاء
١٦٣	في وصف المطر والماء والسحاب والغدران

١٦٤	في وصف القبط وشدة الحر
١٦٤	في وصف الشيب
١٦٥	في وصف آلات الكتابة
١٦٦	في وصف الخطباء
١٦٧	في وصف العلماء
١٦٨	في وصف البلغاء
١٦٩	في وصف الشعراء والمنشئين ومحاسن النظر والنثر
١٧٠	في وصف الأمراء والأشراف
١٧٣	في وصف البكاء والجزع وعظم المصائب والتعازي وما يتعلق بها
١٧٥	ذيل في الادعية في خواتم الكتب

القسم الأول

في أدب الكاتب وصناعته
وفيه بابان

الباب الأول

في آداب العلم والتعليم
وفيه ستة فصول

الفصل الأول

في شرف العلم

اعلم أن العلم أشرف ما رغب فيه الراغب. وأفضل ما طلب وجد فيه الطالب. وأنفع ما كسبه واقتناه الكاسب. لأن شرفه يهر على صاحبه. وفصله يني على طاليه. قال عبد الملك بن مروان لبيته يا بني تعلموا العلم فإن كنتم سادة فقم. وإن كنتم وسطا سدتم. وإن كنتم سوقة

عَشْتُمْ . وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ تَعْلَمُ الْعِلْمَ فَإِنَّهُ يَقُومُكَ
 وَيُسَدِّدُكَ صَغِيرًا . وَيَقْدِمُكَ وَيُسَوِّدُكَ كَبِيرًا . وَيُصْلِحُ زَيْنَتَكَ
 وَفَاسِدَكَ . وَيُرْغِمُ عَدُوَّكَ وَحَاسِدَكَ . وَيَقُومُ عِوَجَكَ وَمِيلَكَ .
 وَيُصَحِّحُ هَيْبَتَكَ وَأَمْلَكَ . وَقَالَ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ تَعْلَمُ
 الْعِلْمَ فَإِنْ يَكُنْ لَكَ مَالٌ كَانَ لَكَ جَمَالًا . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ
 مَالٌ كَانَ لَكَ مَالًا . وَقَالَ بَجِي بْنُ خَالِدٍ لِابْنِهِ عَلَيْكَ
 بِكُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْعِلْمِ فَخُذْ مِنْهُ فَإِنَّ الْهَرَّةَ عَدُوٌّ مَا جَهِلَ وَأَنَا
 أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ عَدُوًّا شَيْءٍ مِنَ الْعِلْمِ . وَأَنْشَدَ
 تَفَنَّنْ وَخُذْ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ فَإِنَّهَا
 يَفُوقُ أَمْرُؤُ فِي كُلِّ فَنٍّ لَهُ عِلْمٌ
 فَأَنْتَ عَدُوٌّ لِلَّذِي أَنْتَ جَاهِلٌ
 بِهِ وَلِالْعِلْمِ أَنْتَ تُتَقِنُهُ سَلِمٌ
 وَقَالَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ كُلُّ عَزٍّ لَا يُوطِئُهُ عِلْمٌ مَذَلَّةٌ وَكُلُّ
 عِلْمٍ لَا يُؤَيِّدُهُ عَقْلٌ مَضِلَّةٌ . وَقَالَ بَعْضُ عُلَمَاءِ السُّلَفِ إِذَا
 أَرَادَ اللَّهُ بِالنَّاسِ خَيْرًا جَعَلَ الْعِلْمَ فِي مُلُوكِهِمُ وَالْمَلِكَ فِي
 عُلَمَائِهِمْ . وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ الْعِلْمُ عُصْمَةُ الْمُلُوكِ لِأَنَّهُ
 يَنْصَحُهُمُ مِنَ الظُّلْمِ . وَيُرْدِيهِمْ إِلَى الْحِلْمِ . وَيَصُدُّهُمْ عَنِ

الْأَذِيَّةُ وَيُعْطِفُهُمْ عَلَى الرَّعِيَّةِ. فَمِنْ حَقِّهِمْ أَنْ يَعْرِفُوا حَقَّهُ
 وَيَسْتَنْبِطُوا أَهْلَهُ. وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ
 الْهَالِ. الْعِلْمُ بِحَرْسِكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْهَالِ. الْعِلْمُ حَاكِمُ
 وَالْهَالِ مُحْكُمٌ عَلَيْهِ. مَاتَ خِزَانُ الْأَمْوَالِ وَبَقِيَ خِزَانُ
 الْعِلْمِ. أَعْيَانُهُمْ مَقْقُودَةٌ. وَأَشْخَاصُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ.
 وَرُبَّمَا أَمْتَنَعَ الْإِنْسَانُ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ لِكِبَرِ سِنِيهِ وَأَسْتَحْيَا ثِيَّهُ
 مِنْ تَقْصِيرِهِ فِي صِغَرِهِ أَنْ يَتَعَلَّمَ فِي كِبَرِهِ. فَرَضِي بِالْأَجْهَلِ أَنْ
 يَكُونَ مَوْسُومًا بِهِ وَآثَرُهُ عَلَى الْعِلْمِ أَنْ يَصِيرَ مُبْتَدَأًا بِهِ. وَهَذَا
 مِنْ خِدَاعِ الْأَجْهَلِ وَغُرُورِ الْكَسَلِ لِأَنَّ الْعِلْمَ إِذَا كَانَ فَضِيلَةً
 فَرَغْبَةُ ذَوِي الْأَسْنَانِ فِيهِ أَوَّلَى وَالْإِبْتِدَاءُ بِالْفَضِيلَةِ فَضِيلَةٌ
 وَلَنْ يَكُونَ شَيْخًا مُتَعَلِّمًا أَوَّلَى مِنْ أَنْ يَكُونَ شَيْخًا جَاهِلًا
 وَرُبَّمَا أَمْتَنَعَ أَيْضًا مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ لِنَعْدْرِ الْهَادَةِ وَشُغْلِهِ
 أَكْتِسَابًا عَنْ التَّهَاسِ الْعِلْمِ وَهَذَا وَإِنْ كَانَ أَعْدَرُ مِنْ غَيْرِهِ
 مَعَ أَنَّهُ فَلَهَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا عِنْدَ ذِي شَرِّهِ وَعَيْبِ وَشَهْوَةٍ
 مُسْتَعْبِدَةٍ فَيَنْبَغِي أَنْ يَصْرِفَ إِلَى الْعِلْمِ حَظًّا مِنْ زَمَانِهِ فَلَيْسَ
 كُلُّ الزَّمَانِ زَمَانًا أَكْتِسَابٍ وَلَا بَدَلٌ لِلْهَكْتِسَابِ مِنْ أَوْقَاتِ
 اسْتِرَاحَةٍ وَأَيَّامِ عُطْلَةٍ وَمَنْ صَرَفَ كُلَّ نَفْسِهِ إِلَى الْكَسْبِ حَتَّى

لَمْ يَتْرُكْ لَهَا فَرَاغًا إِلَى غَيْرِهِ فَمِنْ عَبِيدِ الدُّنْيَا وَاسْرَافِ الْحِرْصِ
 وَرُبَّمَا مَنَعَهُ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ مَا يَظُنُّهُ مِنْ صَعُوبَتِهِ وَبَعْدِ
 غَايَتِهِ وَيَخْشَى مِنْ قِلَّةِ ذِهْنِهِ وَبَعْدِ فِطَّتِهِ وَهَذَا الظَّنُّ اغْتِدَارُ
 ذَوِي النِّقْصِ وَخِيفَةُ أَهْلِ الْعُجْزِ لِأَنَّ الْإِخْبَارَ قَبْلَ الْإِخْتِبَارِ
 جَهْلٌ وَالْخَشْيَةُ قَبْلَ الْإِتِّبَالِ عُجْزٌ. وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ
 لَا تَكُونَنَّ لِلْأُمُورِ هَيُوبًا فَإِلَى خِيَبَةٍ يَصِيرُ الْهَيُوبُ

وَقِيلَ فِي مَثُورِ الْحِكْمِ كَمْ مِنْ ذَلِيلٍ أَعَزَّهُ عِلْمُهُ وَمِنْ
 عَزِيزٍ أَذَلَّهُ جَهْلُهُ. وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ لِبَنِيهِ يَا بَنِي تَعَلَّمُوا
 الْعِلْمَ فَإِنْ لَمْ تَنَالُوا بِهِ مِنَ الدُّنْيَا حَظًّا فَلَنْ يَذُمَّ الزَّمَانُ لَكُمْ
 أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَذُمَّ الزَّمَانُ بِكُمْ

وَيَنْبَغِي لِمَنْ زَهَدَ فِي الْعِلْمِ أَنْ يَكُونَ فِيهِ رَاغِبًا وَلِمَنْ رَغِبَ
 فِيهِ أَنْ يَكُونَ لَهُ طَالِبًا. وَلِمَنْ طَلَبَهُ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ مُسْتَكْرِيًا.
 وَلِمَنْ اسْتَكْتَرَتْ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ بِهِ عَامِلًا. وَأَنْ لَا يَطْلُبَ لِتَرْكِهِ
 اخْتِجَاجًا وَلَا لِلنَّقْصِيرِ فِيهِ عُدْرًا. وَلَا يُسَوِّفَ نَفْسَهُ بِالْمَوَاعِيدِ
 الْكَاذِبَةِ وَيُؤْنِسُهَا بِاتِّطَاعِ الْأَشْغَالِ الْمُتَّصِلَةِ فَإِنَّ لِكُلِّ
 وَقْتٍ شُغْلًا. وَلِكُلِّ زَمَانٍ عُدْرًا. وَقَالَ الشَّاعِرُ
 تَرُوحُ وَتَغْدُو لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةٌ مِنْ عَاشٍ لَا تَقْضِي

تَمُوتُ مَعَ الْهَرَّةِ حَاجَاتُهُ وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِيَ
وَأَنْ يَقْصِدَ طَلِبَ الْعِلْمِ وَاتِّقًا بِتَسِيرِ اللَّهِ قَاصِدًا وَجَهَ اللَّهِ
تَعَالَى بِنِيَّةٍ خَالِصَةٍ وَعَزِيمَةٍ صَادِقَةٍ وَهُوَ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ

الفصل الثاني

فِيهَا يَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ

يَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ لَا يَنْبَغِي فِي طَلْبِهِ . وَيَنْتَهَزُ الْفُرْصَةَ
بِهِ . فَرُبَّمَا شَحَّ الزَّمَانُ بِهَا سَمَحَ . وَضَنَّ بِهَا مَنَعَ . وَيَتَدَبَّرُ مِنْ
الْعِلْمِ بَأْوَالِهِ . وَيَأْتِيهِ مِنْ مَدْخَلِهِ . وَلَا يَتَشَاغَلُ بِطَلْبِ مَا لَا
يَضُرُّهُ جَهْلُهُ . فَيَمْنَعُهُ ذَلِكَ مِنْ إِدْرَاكِ مَا لَا يَسَعُهُ جَهْلُهُ .
فَإِنْ لِكُلِّ عِلْمٍ فُضُولًا مَذْهَلَةً . وَشُدُورًا مُشْغَلَةً . إِنْ صَرَفَ إِلَيْهَا
نَفْسَهُ قَطَعَتْهُ عَمَّا هُوَ أَهْلُهُ مِنْهَا . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ الْعِلْمُ أَكْثَرُ
مِنْ أَنْ يَحْصَى فَخُذُوا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ . وَقَالَ بَعْضُ
الْمُحْكَمَاءِ بَتْرِكِ مَا لَا يَعْنِيكَ . تَدْرِكِ مَا يُغْنِيكَ . وَلَا يَنْبَغِي أَنْ
يَدْعُوهُ ذَلِكَ إِلَى تَرْكِ مَا اسْتَنْصَبَ عَلَيْهِ إِشْعَارًا لِنَفْسِهِ أَنْ
ذَلِكَ مِنْ فُضُولٍ عَلَيْهِ وَإِعْذَارًا لَهَا فِي تَرْكِ الْأَشْتَغَالِ بِهِ
فَإِنَّ ذَلِكَ مَطِيَّةُ النَّوْكِ وَعِذْرُ الْمُقْصِرِينَ . وَمَنْ أَخَذَ مِنْ

الْعِلْمُ مَا تَسَهَّلَ وَتَرَكَ مِنْهُ مَا تَعَذَّرَ كَانَ كَالْفَنَاصِ إِذَا امْتَنَعَ
 عَلَيْهِ الصَّيْدُ تَرَكَهُ فَلَا يَرْجِعُ إِلَّا خَائِبًا إِذْ لَيْسَ يَرَى الصَّيْدَ
 إِلَّا مُسْتِنَاعًا كَذَلِكَ الْعِلْمُ كُلُّهُ صَعْبٌ عَلَى مَنْ جَهَلَهُ سَهْلٌ عَلَى
 مَنْ عَلِمَهُ. لِأَنَّ مَعَانِيَهُ الَّتِي يُوَصِّلُ إِلَيْهَا مُسْتَوْدَعَةٌ فِي كَلَامٍ
 مُتَرَجِمٍ عَنْهَا وَكُلُّ كَلَامٍ مُسْتَعْمَلٍ فَهُوَ يَجْمَعُ لَفْظًا مَسْمُوعًا وَمَعْنَى
 مَفْهُومًا فَالْلَفْظُ كَلَامٌ يُعْقَلُ بِالسَّمْعِ وَالْمَعْنَى تَحْتَ اللَّفْظِ يَفْهَمُ
 بِالْقَلْبِ. وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: الْعُلُومُ مَطَالِعُهَا مِنْ ثَلَاثَةِ
 أَوْجِهٍ: قَلْبٍ مُفَكِّرٍ. وَلِسَانٍ مُعْبِرٍ. وَبَيَانٍ مُصَوِّرٍ. فَهِنَّ عَقْلُ
 الْكَلَامِ يَسْمَعُهُ فَهْمٌ مَعَانِيَهُ بِقَلْبِهِ وَمَنْ فَهَمَ الْمَعَانِيَّ سَقَطَ عَنْهُ
 كَلْفُهُ اسْتَخْرَاجُهَا وَبَقِيَ عَلَيْهِ مُعَانَاةُ حِفْظِهَا وَاسْتِفْرَارُهَا لِأَنَّ
 الْمَعَانِيَّ شَوَارِدُ تَصِلُ بِالْإِغْفَالِ وَالْعُلُومَ وَخَشِيَّةُ تَنْفِرُ
 بِالْإِرْسَالِ. فَإِذَا حَفِظَهَا بَعْدَ الْفَهْمِ أُنِسَتْ وَإِذَا ذَكَرَهَا بَعْدَ
 الْإِنْسِ رَسَتْ. وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: مَنْ أَكْثَرَ الْمَذَاكِرَةَ
 بِالْعِلْمِ لَمْ يَنْسَ مَا عَلِمَ وَاسْتَفَادَ مَا لَمْ يَعْلَمْ. وَقَالَ الشَّاعِرُ
 إِذَا لَمْ يُذَكِّرْ ذُو الْعُلُومِ بِعِلْمِهِ وَلَمْ يَسْتَفِدْ عِلْمًا نَسِيَ مَا تَعَلَّمَا
 فَكَمْ جَامِعٌ لِلْكَتْبِ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ يَزِيدُ مَعَ الْيَوْمِ فِي جَمْعِهِ عَمَى
 وَإِنْ لَمْ يَفْهَمْ مَعَانِي مَا سَمِعَ كَشَفَ عَنِ السَّبَبِ الْمُبَاحِ مِنْهَا

لِيَعْلَمَ الْعِلَّةَ فِي تَعَدُّرِ فَهْمِهَا فَإِنَّ بِمَعْرِفَةِ أَسْبَابِ الْأَشْيَاءِ
وَعِلَلِهَا يُوصَلُّ إِلَى تَلَا فِي مَا شَدَّ وَصَلَا حِ مَا فَسَدَ وَلَيْسَ بِخُلُو
السَّبَبِ الْمَانِعِ مِنْ ذَلِكَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ إِمَّا أَنْ يَكُونَ لِعِلَّةٍ
فِي الْكَلَامِ الْمُتَرَجِّمِ عَنْهَا وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ لِعِلَّةٍ فِي الْمَعْنَى
الْمُسْتَوْدَعِ فِيهِ وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ لِعِلَّةٍ فِي السَّامِعِ الْمُسْتَخْرِجِ
فَإِنْ كَانَ السَّبَبُ الْمَانِعُ مِنْ فَهْمِهَا لِعِلَّةٍ فِي الْكَلَامِ الْمُتَرَجِّمِ
عَنْهَا لَمْ يَخْلُ ذَلِكَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ

أَحَدُهَا أَنْ يَكُونَ لِقَصْرِ اللَّفْظِ عَنِ الْمَعْنَى فَيَصِيرُ
تَقْصِيرُ اللَّفْظِ عَنْ ذَلِكَ الْمَعْنَى سَبَبًا مَانِعًا مِنْ فَهْمِ ذَلِكَ الْمَعْنَى
وَهَذَا يَكُونُ مِنْ أَحَدِ وَجْهَيْنِ إِمَّا مِنْ حَصْرِ الْمُتَكَلِّمِ وَعَيْهِ
وَإِمَّا مِنْ بِلَادَتِهِ وَقِلَّةِ فَهْمِهِ

أَمَّا الْإِنَانِي أَنْ يَكُونَ لِزِيَادَةِ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى
فَتَقْصِيرُ الزِّيَادَةِ عِلَّةً مَانِعَةً مِنْ فَهْمِ الْمَقْصُودِ مِنْهُ وَهَذَا قَدْ
يَكُونُ مِنْ أَحَدِ وَجْهَيْنِ إِمَّا مِنْ هَذَرِ الْمُتَكَلِّمِ وَإِكْثَارِهِ وَإِمَّا
لِسُوءِ ظَنِّهِ بِفَهْمِ سَامِعِهِ

وَأَمَّا الْثَالِثُ أَنْ يَكُونَ لِمَوَاضَعَةٍ يَقْصِدُهَا الْمُتَكَلِّمُ
بِكَلَامِهِ فَإِذَا لَمْ يَعْرِفْهَا السَّامِعُ لَمْ يَفْهَمْ مَعَانِيَهُ

وَأَمَّا تَقْصِيرُ اللَّفْظِ وَزِيَادَتُهُ فَمِنْ الْأَسْبَابِ الْخَاصَّةِ دُونَ
الْعَامَّةِ لِأَنَّكَ لَسْتَ تَجِدُ ذَلِكَ عَامًّا فِي كُلِّ الْكَلَامِ وَإِنَّمَا
تَجِدُهُ فِي بَعْضِهِ فَإِنْ عَدَلْتَ عَنِ الْكَلَامِ الْمُقْصَرِّ إِلَى الْكَلَامِ
الْمُسْتَوْفِي وَعَنِ الزَّائِدِ إِلَى الْكَافِي أَرَحْتَ نَفْسَكَ مِنْ تَكْلُفِ
مَا يَكُدُّ خَاطِرَكَ وَإِنْ أَقْبَتَ عَلَى اسْتِخْرَاجِهِ إِمَّا لِضَرُورَةٍ
دَعَاكَ إِلَيْهِ عِنْدَ إِعْوَازِ غَيْرِهِ أَوْ لِحَبِيَّةٍ دَاخَلَتْكَ عِنْدَ تَعَذُّرِ
فَهْمِهِ فَأَنْظُرْ فِي سَبَبِ الزِّيَادَةِ وَالْتَقْصِيرِ فَإِنْ كَانَ التَّقْصِيرُ
لِحَصْرِ الزِّيَادَةِ لِهَذَرٍ سَهْلٍ عَلَيْكَ اسْتِخْرَاجُ الْمَعْنَى مِنْهُ لِأَنَّ
مَا لَهُ مِنَ الْكَلَامِ مُحْصُولٌ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُخْتَلِ مِنْهُ أَكْثَرُ
مِنَ الصَّحِيحِ وَفِي الْأَكْثَرِ عَلَى الْأَقَلِّ دَلِيلٌ وَإِنْ كَانَتْ
زِيَادَةُ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى السُّوْطِظَنِ الْمُتَكَلِّمِ يَفْهَمُ السَّامِعُ كَانَ
اسْتِخْرَاجُهُ أَسْهَلَ وَإِنْ كَانَ تَقْصِيرُ اللَّفْظِ عَنِ الْمَعْنَى لِسُوءِ
فَهْمِ الْمُتَكَلِّمِ فَهُوَ أَصْعَبُ الْأُمُورِ حَالًا وَأَبْعَدُهَا اسْتِخْرَاجًا لِأَنَّ
مَا لَمْ يَفْهَمْهُ مُكَلِّبُكَ فَأَنْتَ مِنْ فَهْمِهِ أَبْعَدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ بِفَرْطِ
ذَكَائِكَ وَجُودَةِ خَاطِرِكَ تَنْبِيهُ بِإِشَارَتِهِ عَلَى اسْتِنْبَاطِ مَا عَجَزَ
عَنْهُ وَاسْتِخْرَاجِ مَا قَصُرَ فِيهِ فَتَكُونُ فَضِيلَةُ الْإِسْتِنْفَادِ لَكَ وَحَقُّ
التَّقْدِمِ لَهُ فَهَذَا تَعْلِيلُ مَا فِي الْكَلَامِ مِنَ الْأَسْبَابِ الْمَانِعَةِ

مِنْ فَهْمٍ مَعَانِيهِ

وَأَمَّا الْمَانِعُ مِنْ حِفْظِهِ بَعْدَ تَصَوُّرِهِ وَفَهْمِهِ فَهُوَ النِّسْيَانُ
الْمَحَادِثُ عَنْ غَفْلَةِ التَّقْصِيرِ وَإِهْمَالِ التَّوَانِي فَيَنْبَغِي لِمَنْ بُلِيَ
بِهِ أَنْ يَسْتَدْرِكَ تَقْصِيرَهُ بِكَثْرَةِ الدَّرْسِ وَيُوقِظَ غَفْلَتَهُ بِإِدَامَةِ
النَّظَرِ فَقَدْ قِيلَ لَا يَدْرِكُ الْعِلْمَ مَنْ لَا يُطِيلُ دَرَسَهُ وَيَكْدُ
نَفْسَهُ وَكَثْرَةُ الدَّرْسِ كَدٌّ لَا يَصْبِرُ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ يَرَى الْعِلْمَ
مَغْنَمًا وَالْجَهَالََةَ مَغْرَمًا. فَيَحْتَسِلُ تَعَبَ الدَّرْسِ لِيُدْرِكَ رَاحَةَ
الْعِلْمِ وَيَنْفِي عَنْهُ مَعْرَةَ الْجَهْلِ. فَإِنْ نَبَلَ الْعَظِيمُ بِأَمْرِ عَظِيمٍ
وَعَلَى قَدَرِ الرَّغْبَةِ تَكُونُ الْبَطَالِبُ وَبِحَسَبِ الرَّاحَةِ يَكُونُ
التَّعَبُ. وَقَدْ قِيلَ طَلَبُ الرَّاحَةِ قِلَّةُ الْإِسْتِرَاحَةِ. وَرُبَّمَا
اسْتَثْقَلَ التَّعَلُّمُ الدَّرْسَ وَالْحِفْظَ وَاتَّكَلَ بَعْدَ فَهْمِ الْمَعَانِي
عَلَى الرُّجُوعِ إِلَى الْكُتُبِ وَالْبَطَالَعَةِ فِيهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ فَلَا
يَكُونُ إِلَّا كَمَنْ أَطْلَقَ مَا صَادَهُ ثِقَةً بِالْقُدْرَةِ عَلَيْهِ بَعْدَ الْإِمْتِنَاعِ
مِنْهُ فَلَا تُعْقِبُهُ الثِّقَةُ إِلَّا خَجَلًا وَالتَّفْرِيطُ إِلَّا نَدَمًا. وَهَذِهِ حَالٌ
قَدْ يَدْعُو إِلَيْهَا أَحَدُ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ. إِمَّا الضَّجْرُ مِنْ مُعَانَاةِ
الْحِفْظِ وَمُرَاعَاتِهِ وَطُولِ الْأَمَلِ فِي التَّوْفُرِ عَلَيْهِ عِنْدَ نَشَاطِهِ
وَفَسَادِ الرَّأْيِ فِي عَزِيمَتِهِ وَلَيْسَ يَعْلَمُ أَنَّ الضَّجْرَ خَائِبٌ

وَأَنَّ الطُّوِيلَ الْأَمَلَ مَغْرُورٌ وَأَنَّ الْفَاسِدَ الرَّأْيَ مُصَابٌ
وَالْعَرَبُ تَقُولُ فِي أَمْثَالِهَا حَرْفٌ فِي قَلْبِكَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ فِي
كُتُبِكَ . وَقَالَ الشَّافِعِيُّ

عَلَيَّ مَعِيَ حَيْثُمَا يَهْتَبُ يَنْفَعُنِي

قَلْبِي وَعَالَمُهُ لَا بَطْنٌ صَدُوقِي

إِنْ كُنْتُ فِي الْبَيْتِ كَانَ الْعِلْمُ فِيهِ مَعِيَ

أَوْ كُنْتُ فِي السُّوقِ كَانَ الْعِلْمُ فِي السُّوقِ

وَرُبَّمَا أَغْنَى الْمُتَعَلِّمُ بِالْحِفْظِ مِنْ غَيْرِ تَصَوُّرٍ وَلَا فَهْمٍ

حَتَّى يَصِيرَ حَافِظًا لِلْأَفَاقِ الْمَعَانِي قِيَمًا بِتِلَاوَتِهَا وَهُوَ لَا

يَتَصَوَّرُهَا وَلَا يَفْهَمُ مَا تَضَمَّنَهَا . يَرْوِي بِغَيْرِ رَوِيٍّ وَيُخْبِرُ عَنْ غَيْرِ

خُبْرَةٍ . وَرُبَّمَا أَغْنَى عَلَى حِفْظِهِ وَتَصَوُّرِهِ وَأَغْلَى تَقْيِيدَ الْعِلْمِ

فِي كُتُبِهِ ثِقَةً بِمَا اسْتَقَرَّ فِي ذَهْنِهِ . وَهَذَا خَطَأٌ لَمَنَّهُ لِأَنَّ الشَّكْلَ

مُعْطَرِضٌ وَالنِّسْبَانِ طَارِقٌ . وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ إِنَّ هَذِهِ

الْأَكَابِرُ نَوَافِرُ تَنْدَعْنَ عَنِ عَقْلِ الْأَذْهَانِ فَأَجْعَلُوا الْكُتُبَ عَنْهَا

حِمَاةً . وَالْأَفْلَامَ لَهَا رِعَاةً

وَأَمَّا الشُّرُوطُ الَّتِي يَتَوَفَّرُ بِهَا عِلْمُ الطَّالِبِ وَيَنْتَهِي مَعَهَا

كَمَالُ الرَّغْبِ . مَعَ مَا يُلَاحَظُ بِهِ مِنَ التَّوْفِيقِ وَبِهَدْيِهِ مِنَ

الْبَعُونَةُ فَتَسْعَةُ شُرُوطٍ

أَحَدُهَا الْعَقْلُ الَّذِي يَدْرِكُ بِهِ حَقَائِقَ الْأُمُورِ * وَالثَّانِي
الْفِطْنَةُ الَّتِي يَتَصَوَّرُ بِهَا غَوَامِضَ الْعُلُومِ * وَالثَّالِثُ الذِّكَاةُ
الَّذِي يَسْتَقِرُّ بِهِ حِفْظُ مَا تَصَوَّرَهُ وَفَهْمُ مَا عَلَيْهِ * وَالرَّابِعُ
الشَّهْوَةُ الَّتِي يَدُومُ بِهَا الطَّلَبُ وَلَا يُسْرِعُ إِلَيْهِ الْهَلَكُ *
وَالْخَامِسُ الْإِكْتِفَاءُ بِمَادَّةٍ تُغْنِيهِ عَنْ كَلْبِ الطَّلَبِ *
وَالسَّادِسُ الْفَرَاغُ الَّذِي يَكُونُ مَعَهُ التَّوْفَرُّ وَيَحْصُلُ بِهِ
الِاسْتِكْثَارُ * وَالسَّابِعُ عَدَمُ الْقَوَاطِعِ الَّتِي تَهْلِكُ مِنْ هُمُومِ
وَأُمْرَاضٍ * وَالثَّامِنُ طُولُ الْعُمُرِ وَاتِّسَاعُ الْمُدَّةِ لِيَنْتَهِيَ
بِالِاسْتِكْثَارِ إِلَى مَرَاتِبِ الْكَمَالِ * وَالتَّاسِعُ الظَّفَرُ بِعَالِمِ
سَعْيٍ يَعْلَمُهُ مَتَانٌ فِي تَعْلِيمِهِ فَإِذَا اسْتَكْمَلَ هَذِهِ الشُّرُوطَ
التِّسْعَةَ فَهُوَ أَسْعَدُ طَالِبٍ وَاجِبٌ مُتَعَلِّمٍ فَاحْفَظُوا بِاللهِ التَّوْفِيقُ

الفصل الثالث

فِي أَوَائِلِ الْعِلْمِ وَمَتَاخِلِهِ

وَأَعْلَمُ أَنَّ لِلْعُلُومِ أَوَائِلَ تُؤَدِّي إِلَى آخِرِهَا وَمَتَاخِلَ
تُنْضِي إِلَى حَقَائِقِهَا، فَلْيَبْتَدِئِ طَالِبُ الْعِلْمِ بِأَوَائِلِهَا لِيَنْتَهِيَ إِلَى

وآخِرَهَا وَبِمَدَاخِلِهَا لِيُنْفِضِيَ إِلَى حَقَائِقِهَا. وَلَا يَطْلُبُ إِلَّا خِرَ قَبْلِ
 الْأَوَّلِ. وَلَا الْحَقِيقَةَ قَبْلَ الْمَدْخَلِ. فَلَا يُدْرِكُ الْآخِرَ وَلَا يَعْرِفُ
 الْحَقِيقَةَ لِأَنَّ الْبِنَاءَ عَلَى غَيْرِ اسٍ لَا يَبْنِي. وَالشَّرَّ مِنْ غَيْرِ غَرَسٍ
 لَا يَجْنِي

(من كتاب ادب الدنيا والدين)

الفصل الرابع

فِي مَا يَحِبُّ عَلَى الْمُعَلِّمِ وَفِي وَجْهِ الصَّوَابِ فِي تَعْلِيمِ الْعُلُومِ وَطَرِيقِ إِفَادَتِهِ
 إِيَّاهُمْ أَنَّ تَلْقِينَ الْعُلُومِ لِلْمُتَعَلِّمِينَ إِنَّمَا يَكُونُ مُفِيدًا إِذَا
 كَانَ عَلَى التَّدْرِيجِ شَيْئًا فَشَيْئًا وَقَلِيلًا قَلِيلًا يُلْقَى عَلَيْهِ أَوَّلًا
 مَسَائِلَ مِنْ كُلِّ بَابٍ مِنَ الْفَنِّ هِيَ أَصُولُ ذَلِكَ الْبَابِ وَيُقَرَّبُ
 لَهُ فِي شَرْحِهَا عَلَى سَبِيلِ الْأَجْمَالِ وَيُرَاعَى فِي ذَلِكَ قُوَّةُ عَقْلِهِ
 وَاسْتِعْدَادُهُ لِتَقْبُولَ مَا يَرُدُّ عَلَيْهِ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِ الْفَنِّ وَعِنْدَ
 ذَلِكَ يَحْصُلُ لَهُ مَلَكَةٌ فِي ذَلِكَ الْعِلْمِ إِلَّا أَنَّهَا جُزْئِيَّةٌ وَضَعِيفَةٌ
 وَغَائِبَتُهَا أَنَّهَا هَيَاثَةٌ لِفَهْمِ الْفَنِّ وَتَحْصِيلِ مَسَائِلِهِ ثُمَّ يَرْجِعُ بِهِ
 إِلَى الْفَنِّ ثَانِيَةً فَيَرْفَعُهُ فِي التَّلْقِينَ عَنْ تِلْكَ الرُّتْبَةِ إِلَى أَعْلَى
 مِنْهَا وَيَسْتَوْفِي الشَّرْحَ وَالْبَيَانَ وَيَخْرُجُ عَنِ الْأَجْمَالِ وَيَذْكُرُ
 لَهُ مَا هُنَاكَ مِنَ الْخِلَافِ وَوَجْهِهِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِ

الْفَنِّ فَتَجُودُ مَلَكَتُهُ ثُمَّ يَرْجِعُ بِهِ وَقَدْ شَدَا فَلَا يَتْرُكُ عَوِيصًا وَلَا
مُهْمًا وَلَا مُغْلَقًا إِلَّا وَضَحَهُ وَفَتَحَ لَهُ مُقْفَلَهُ فَيَخْلُصُ مِنَ الْفَنِّ وَقَدْ
اسْتَوَى عَلَى مَلَكَتِهِ هَذَا وَجْهَ التَّعْلِيمِ الْمُبِيدِ وَهُوَ كَمَا رَأَيْتَ
إِنَّمَا يَحْصُلُ فِي ثَلَاثِ تَكَرَّراتٍ وَقَدْ يَحْصُلُ لِلْبَعْضِ فِي أَقْلٍ
مِنْ ذَلِكَ بِحَسَبِ مَا يُخْلَقُ لَهُ وَيَتيسَّرُ عَلَيْهِ وَقَدْ شَاهَدْنَا كَثِيرًا
مِنَ الْمُعَلِّمِينَ لِهَذَا الْعَهْدِ الَّذِي أَدْرَكْنَا بَجَهْلُونَ طُرُقَ التَّعْلِيمِ
وَإِفَادَتِهِ وَيُحْضِرُونَ الْمُتَعَلِّمَ فِي أَوَّلِ تَعْلِيمِهِ الْمَسَائِلَ الْمُقْفَلَةَ
مِنَ الْعِلْمِ وَيُطَالِبُونَهُ بِإِحْضَارِ ذِمَّتِهِ فِي حِلِّهَا وَيَحْسِبُونَ ذَلِكَ
مَرَانَةً عَلَى التَّعْلِيمِ وَصَوَابًا فِيهِ وَيَكْلِفُونَهُ وَعِي ذَلِكَ وَتَحْصِيلَهُ
وَيَخْلُطُونَ عَلَيْهِ بِمَا يُلْقُونَ لَهُ مِنْ غَايَاتِ الْفَنُونِ فِي مَبَادِئِهَا
وَقَبْلَ أَنْ يَسْتَعِدَّ لِفَهْمِهَا فَإِنْ قَبِلَ الْعِلْمَ وَالْإِسْتِعْدَادَاتِ لِفَهْمِهِ
تَنَشَأَ تَدْرِيجًا وَيَكُونُ التَّعْلِيمُ أَوَّلَ الْأَمْرِ عَاجِزًا عَنِ الْفَهْمِ
بِالْجُمْلَةِ إِلَّا فِي الْأَقْلِ وَعَلَى سَبِيلِ التَّقْرِيبِ وَالْإِجْمَالِ
وَبِالْأَمْثَالِ الْخُصِيَّةِ ثُمَّ لَا يَزَالُ الْإِسْتِعْدَادُ فِيهِ يَتَدَرَّجُ قَلِيلًا
قَلِيلًا بِخَالَفَةِ مَسَائِلِ ذَلِكَ الْفَنِّ وَتَكَرُّرِهَا عَلَيْهِ وَالْإِتِّقَالِ
فِيهَا مِنَ التَّقْرِيبِ إِلَى الْإِسْتِعْيَابِ الَّذِي فَوْقَهُ حَتَّى تَمَّ الْمَلَكََةُ
فِي الْإِسْتِعْدَادِ ثُمَّ فِي التَّحْصِيلِ وَبِحِيطِهُ بِمَسَائِلِ الْفَنِّ وَإِذَا

الْقِيَتِ عَلَيْهِ الْغَايَاتُ فِي الْبِدَائَاتِ وَهُوَ حَيْثُ عَاجَزَ عَنِ
الْفَهْمِ وَالْوَعْيِ وَبَعِيدَ عَنِ الْأَسْتِعْدَادِ لَهُ كُلُّ ذِيهِ عَنْهَا وَحَسِبَ
ذَلِكَ مِنْ صُعُوبَةِ الْعِلْمِ فِي نَفْسِهِ فَتَكَاسَلَ عَنْهُ وَانْحَرَفَ عَنْ
قَبُولِهِ وَتَهَادَى فِي هِجْرَانِهِ وَإِنَّمَا أَتَى ذَلِكَ مِنْ سُوءِ التَّعْلِيمِ
وَلَا يَنْبَغِي لِلْمُعَلِّمِ أَنْ يَزِيدَ مُتَعَلِّمَهُ عَلَى فَهْمِ كِتَابِهِ الَّذِي أَكَبَّ
عَلَى التَّعْلِيمِ مِنْهُ بِحَسَبِ طَاقَتِهِ وَعَلَى نِسْبَةِ قَبُولِهِ لِلتَّعْلِيمِ مُبْتَدِئًا
كَانَ أَوْ مُتَمِّيًا وَلَا يَخْلُطُ مَسَائِلَ الْكِتَابِ بِغَيْرِهَا حَتَّى يَبْعِيَهُ
مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ وَبِحُصْلِ اغْتِرَاضِهِ وَيَسْتَوْلي مِنْهُ عَلَى مَلَكَةٍ
بِهَا يَنْفِذُ فِي غَيْرِهِ لِأَنَّ الْمُتَعَلِّمَ إِذَا حَصَلَ مَلَكَةٌ مَا فِي عِلْمِهِ
مِنَ الْعُلُومِ اسْتَعَدَّ بِهَا لِقَبُولِ مَا بَقِيَ وَحَصَلَ لَهُ نَشَاطٌ فِي طَلَبِ
الْمَزِيدِ وَالنُّهُوضِ إِلَى مَا فَوْقَ حَتَّى يَسْتَوْلي عَلَى غَايَاتِ الْعِلْمِ
وَإِذَا خِلَطَ عَلَيْهِ الْأُمُورُ عَجَزَ عَنِ الْفَهْمِ وَأَدْرَكَهُ الْكَلَالُ
وَأَنْطَمَسَ فِكْرُهُ وَيَسَّ مِنْ التَّحْصِيلِ وَهَجَرَ الْعِلْمَ وَالتَّعْلِيمَ
وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَكَذَلِكَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ لَا تُطَوِّلَ عَلَى
الْمُتَعَلِّمِ فِي الْفَنِّ الْوَاحِدِ بِتَفْرِيقِ الْعَجَائِلِ وَتَقْطِيعِ مَا بَيْنَهَا
لِأَنَّهُ ذَرِيعَةٌ إِلَى النِّسْيَانِ وَأَقْطَاعِ مَسَائِلِ الْفَنِّ بَعْضُهَا مِنْ
بَعْضٍ فَيَعْسُرُ حُصُولُ الْمَلَكَةِ بِتَفْرِيقِهَا وَإِذَا كَانَتْ أَوَائِلُ

العلم وأخيره حاضرة عند الفكرة مجانية للنسيان كانت
 الملكة أيسر حصولاً وأحكم ارتباطاً وأقرب صبغة لأن
 الملكات إنما تحصل بتتابع الفعل وتكراره وإذا تنويسي
 الفعل تنوسيت الملكة الناشئة عنه والله عليكم ما لم تكونوا
 تعلمون ومن المذاهب الحميدة والطرق الواجبة في التعلم
 أن لا يخلط على المتعلم علمان معاً فإنه حينئذ قل أن يظفر
 بواحد منها لهما فيه من تقسيم البال وأنصرافه عن كل واحد
 منها إلى فهم الآخر فيستغلغان معاً ويستصعبان ويعود منها
 بالتحية وإذا تفرغ الفكر لتعلم ما هو بسبيله مقتصر عليه
 فربما كان ذلك أجدر لحصيله والله سبحانه وتعالى الموفق
 للصواب

(عن ابن خلدون)

الفصل الخامس

في استعمال العلم

قال بعض البلغاء نيرة العلم أن يعمل به ونيرة
 العمل أن يوجر عليه وقيل من تمام العلم استنباله ومن
 تمام العمل استغلاله فمن استعمل عليه لم يخل من رشاد

وَمَنْ اسْتَقْلَّ عَمَلُهُ لَمْ يَقْصِرْ عَنْ مُرَادِهِ وَقَالَ أَبُو تَهْلُمٍ الطَّائِي
 وَلَمْ يَجْهَدُوا مِنْ عَالَمٍ غَيْرِ عَامِلٍ خَلَا قَاوِلًا مِنْ عَامِلٍ غَيْرِ عَالِمٍ
 رَأَوْا طُرُقَاتِ الْعَجَزِ عَوْجَافِطِيْعَةً وَأَفْطَحَ شَجَرِ عِنْدَهُمْ عَجَزَ حَازِمٍ
 وَقِيلَ فِي مَشُورِ الْحِكْمِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِعِلْمِهِ مَنْ تَرَكَ الْعَمَلَ بِهِ
 وَقِيلَ فِي مَشُورِ الْحِكْمِ أَيْضًا النَّارُ لَا يَنْقُصُهَا مَا أُخِذَ مِنْهَا وَلَكِنْ
 يَجْهَدُهَا أَنْ لَا تَجِدَ حَطْبًا كَذَلِكَ الْعِلْمُ لَا يُفْنِيهِ إِلَّا فِتْنَامُ وَلَكِنْ
 فَقَدْ أَلْحَامِلِينَ لَهُ سَبَبُ عَدَمِهِ فَيَاكَ وَالتَّجَلَّ بِهَا تَعْلَمُ

الفصل السادس

فِيهَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ الْعِلْمَاءُ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْمَجْدِبَةِ بِهِمْ
 أَمَّا مَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ الْعِلْمَاءُ مِنَ الْأَخْلَاقِ الَّتِي
 بِهِمْ الْبَقَاءُ وَلَهُمْ الزَّمُ فَالتَّوَاضُّعُ وَمُجَانِبَةُ الْعُجْبِ لِأَنَّ التَّوَاضُّعَ
 عَطُوفٌ وَالْعُجْبُ مُنْفِرٌ وَهُوَ بِكُلِّ أَحَدٍ قَبِيحٌ وَبِالْعِلْمَاءِ أَقْبَحُ لِأَنَّ
 النَّاسَ بِهِمْ يَقْتَدُونَ وَكَثِيرًا مَا يَدْخُلُهُمُ الْإِعْجَابُ لِتَوْحِيدِهِمْ
 بِفَضِيلَةِ الْعِلْمِ وَلَوْ أَنَّهُمْ نَظَرُوا حَقَّ النَّظَرِ وَعَمِلُوا بِهُ وَجَبَ
 الْعِلْمُ لَكَانَ التَّوَاضُّعُ بِهِمْ أَوَّلَى وَمُجَانِبَةُ الْعُجْبِ بِهِمْ أُخْرَى
 لِأَنَّ الْعُجْبَ تَقْصُّرٌ يَنَافِي الْفَضْلَ وَيَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ

النَّارُ الْحَطَبَ فَلَا يَفِي مَا أَدْرَكُوهُ مِنْ فَضِيلَةِ الْعِلْمِ بِهَا لِحَقِّهِمْ
 مِنْ نَقْصِ الْعَجَبِ * وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ تَعْلَمُوا الْعِلْمَ
 وَتَعْلَمُوا لِلْعِلْمِ السَّكِينَةَ وَالْحِلْمَ وَتَوَاضَعُوا لِلْمَنْ تَعْلَمُونَ وَلِيَتَوَاضَعَ
 لَكُمْ مَنْ تَعْلَمُونَهُ وَلَا تَكُونُوا مِنْ جَبَابِرَةِ الْعُلَمَاءِ فَلَا يَقُومُ عَلَيْكُمْ
 بِجَهْلِكُمْ * وَقَالَ الشَّعْبِيُّ الْعِلْمُ ثَلَاثَةُ أَشْبَارٍ فَهَنْ نَالَ مِنْهُ شِبْرًا
 سَخَّ بِأَنْفِهِ وَظَنَّ أَنَّه نَالَهُ . وَمَنْ نَالَ الشِّبْرَ الثَّانِي صَغُرَتْ
 إِلَيْهِ نَفْسُهُ وَعَلِمَ أَنَّه لَمْ يَنْلَهُ . وَأَمَّا الشِّبْرُ الثَّالِثُ فَهَيَّاتُ لَا
 يَنَالُهُ أَحَدٌ أَبَدًا

وَمِنْ أَوْضَحِ ذَلِكَ بَيَانًا اسْتِعَاذَةُ الْجَا حِظِّ فِي كِتَابِ الْبَيَانِ
 حَيْثُ يَقُولُ اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُودُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَوْلِ كَمَا نَعُودُ بِكَ
 مِنْ فِتْنَةِ الْعَمَلِ . وَنَعُودُ بِكَ مِنْ التَّكْلِيفِ لَهَا لَا نُحْسِنُ كَمَا
 نَعُودُ بِكَ مِنَ الْعَجَبِ بِهَا نُحْسِنُ . وَنَعُودُ بِكَ مِنْ شَرِّ السَّلَاطَةِ
 وَالْهَذَرِ كَمَا نَعُودُ بِكَ مِنْ شَرِّ الْعِيِّ وَالْخَصَرِ * وَقَالَ بَعْضُ
 الْحُكَمَاءِ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ لَا تَتَكَلَّمَ فِيهَا لَا تَعْلَمْ بِكَلَامٍ مَنْ يَعْلَمْ
 فَحَسْبُكَ جَهْلًا مِنْ عَقْلِكَ أَنْ تَنْطِقَ بِهَا لَا تَقُمْ . وَلَقَدْ أَحْسَنَ
 زُرَّارَةُ بْنُ زَيْدٍ حَيْثُ يَقُولُ

إِذَا مَا أَتَيْتُ عَلَى تَأْهِيتٍ عِنْدَهُ أَطَالَ فَأَمَلَى أَوْ تَنَاهَى فَأَقْصَرَ

وَيُخْبِرُنِي عَنْ غَائِبِ الْهَرِّ فِعْلُهُ

كَفَى الْفِعْلُ عَمَّا غَيَّبَ الْهَرُّ مُخْبِرًا

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ مِنْ فَضْلِ عَلَيْكَ اسْتِقْلَالُكَ لِعَلِّكَ
وَمِنْ كَمَالِ عَقْلِكَ اسْتَظْهَارُكَ عَلَى عَقْلِكَ . وَلَا يَنْبَغِي لِلْعَالِمِ
أَنْ يَجْهَلَ مِنْ نَفْسِهِ مَبْلَغَ عِلْمِهَا وَلَا يَتَجَاوَزُ بِهَا قَدْرَ حَقِّهَا وَلَا أَنْ
يَكُونَ بِهَا مُقْصِرًا فَيُذْعِنَ بِالِاتِّعَادِ أَوَّلَى مِنْ أَنْ يَكُونَ بِهَا
مُجَاوِزًا فَيَكُفَّ عَنِ الْإِزْدِيَادِ لِأَنَّ مَنْ جَهَلَ حَالَ نَفْسِهِ كَانَ
لِغَيْرِهَا أَجْهَلَ * وَقَدْ قَسَمَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ أَحْوَالَ النَّاسِ
فِيمَا عَلَيْهِمْ أَوْ جَهْلُهُمْ أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ مُتَقَابِلَةٍ لَا يَخْلُو الْإِنْسَانُ
مِنْهَا . فَقَالَ الرِّجَالُ أَرْبَعَةٌ رَجُلٌ يَدْرِي وَيَدْرِي أَنَّهُ يَدْرِي
فَذَلِكَ عَالِمٌ فَأَسْأَلُوهُ . وَرَجُلٌ يَدْرِي وَلَا يَدْرِي أَنَّهُ يَدْرِي
فَذَلِكَ نَاسٌ فَذَكَرُوهُ . وَرَجُلٌ لَا يَدْرِي وَيَدْرِي أَنَّهُ لَا يَدْرِي
فَذَلِكَ مُسْتَرْشِدٌ فَأَرْشَدُوهُ . وَرَجُلٌ لَا يَدْرِي وَلَا يَدْرِي أَنَّهُ
لَا يَدْرِي فَذَلِكَ جَاهِلٌ فَأَرْفَضُوهُ * وَأَنْشَدَا أَبُو الْقَاسِمِ الْأَمْدِيُّ

إِذَا كُنْتَ لَا تَدْرِي وَلَمْ تَكُ بِالَّذِي

يُسَائِلُ مَنْ يَدْرِي فَكَيْفَ إِذَنْ تَدْرِي

(من كتاب ادب الدنيا والدين)

الباب الثاني

وفيه عشرة فصول

الفصل الأول

في أركان الكتابة

إِعلم أنَّ أركان الكتابة التي لا بد من مراعاتها في كلِّ كتاب بلاغي ذي شأن ثلاثة

الأول أن يكون مطلع الكتاب عليه حدة ورشاقة
فإنَّ الكاتب من أجاد المطلع والمقطع. أو يكون مبنياً على
مقصد الكتاب ولهذا باب يسمى باب المبادئ والافتتاحات^(١)
فليجذ حذوه وهذا الركن يشترك فيه الكاتب والشاعر

الركن الثاني أن يكون خروج الكاتب من معنى إلى
معنى برابطة لتكون رقاب المعاني آخذاً بعضها ببعض ولا
تكون متقطعة ولذلك باب مفرد أيضاً يسمى باب التخلُّص
والإقتضاب^(٢). وهذا الركن أيضاً يشترك فيه الكاتب والشاعر

١ انظر الفصل الثامن من هذا الباب ٢ انظر الفصل التاسع

من هذا الباب

الرُّكْنُ الثَّالِثُ أَنْ تَكُونَ الْفَافُ الْكِتَابِ غَيْرَ مُخْلَقَةٍ
بِكَثْرَةِ الْإِسْتِعْمَالِ. وَلَا أُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ تَكُونَ الْفَافُ غَرِيبَةً
فَإِنَّ ذَلِكَ عَيْبٌ فَاحِشٌ بَلْ أُرِيدُ أَنْ تَكُونَ الْفَافُ الْمُسْتَعْمَلَةً
مَسْبُوكَةً سَبْكَاً غَرِيباً يَظُنُّ السَّامِعُ أَنَّهَا غَيْرُ مَا فِي أَيْدِي
النَّاسِ وَهِيَ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ. وَهَنَّاكَ مُعْتَرِكُ الْفَصَاحَةِ
الَّذِي تَظْهَرُ فِيهِ الْخَوَاطِرُ بِرَاعَتِهَا وَالْأَقْلَامُ شَجَاعَتِهَا كَمَا
قَالَ الْجَحْتَرِيُّ

بِالْفَافِ يَقْرُبُ فَمَهُ فِي بَعْدِهِ عَنَّا وَيَعْدُ نَيْلُهُ فِي قُرْبِهِ
وَهَذَا الْمَوْضِعُ بَعِيدُ الْمَنَالِ كَثِيرُ الْأَشْكَالِ يَحْتَاجُ إِلَى لُطْفِ
ذَوْقٍ وَشَهَامَةٍ خَاطِرٍ وَهُوَ شَبِيهُ بِالشَّيْءِ الَّذِي يُقَالُ إِنَّهُ لَا
دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَ الْعَالَمِ. فَلَفْظُهُ هُوَ الَّذِي يُسْتَعْمَلُ
وَلَيْسَ بِالَّذِي يُسْتَعْمَلُ أَيُّ إِنْ مُفْرَدَاتِ الْفَافِ هِيَ الْمُسْتَعْمَلَةُ
الْمَالُوفَةُ وَلَكِنْ سَبْكَهُ وَتَرْكِيبُهُ هُوَ الْغَرِيبُ الْعَجِيبُ. وَإِذَا
سَمَّوْتَ أَيُّهَا الْكَاتِبُ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ وَأَسْتَطَعْتَ طَعْمَ
هَذَا الْكَلَامِ الْمُبَارَكِ إِلَيْهِ عُلِمْتَ حِينَئِذٍ أَنَّهُ كَالرُّوحِ السَّائِكَةِ
فِي بَدَنِكَ الَّتِي قَالَ اللَّهُ فِيهَا قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَلَيْسَ
كُلُّ خَاطِرٍ بِرَاقٍ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ

يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ . وَمَعَ هَذَا فَلَا تَظُنَّ أَيُّهَا
 النَّاطِرُ فِي كِتَابِي أَنِّي أَرَدْتُ بِهَذَا الْقَوْلِ إِهْهَالَ جَانِبِ الْمَعْنَى
 بِجَيْثُ يُوْتَى بِاللَّفْظِ الْمَوْصُوفِ بِصِفَاتِ الْحُسْنِ وَالْمَلَاحَةِ وَلَا
 يَكُونُ نَحْنُهُ مِنَ الْمَعْنَى مَا يُهَائِلُهُ وَيُسَاوِيهِ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ
 كَانَ كَصُورَةِ حَسَنَةٍ بَدِيعَةٍ فِي حُسْنِهَا إِلَّا أَنَّ صَاحِبَهَا بَلِيدٌ
 أَهْلُهُ . وَهَذَا الرُّكْنُ أَيْضًا يَشْتَرِكُ فِيهِ الْكَاتِبُ وَالشَّاعِرُ
 (انتهى عن المثل السائر ببعض تصرف)

الفصل الثاني

في أدوات الكتابة

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الشَّيْبَانِيُّ إِنْ كَانَ لَا بُدَّ لَكَ مِنْ
 طَلَبِ أَدَوَاتِ الْكِتَابَةِ فَتَصَفَّحْ مِنْ رَسَائِلِ الْمُتَقَدِّمِينَ مَا يَعْتَمِدُ
 عَلَيْهِ وَمِنْ رَسَائِلِ الْمُتَأَخِّرِينَ مَا يَرْجِعُ إِلَيْهِ وَمِنْ نَوَادِرِ
 الْكَلَامِ مَا تَسْتَعِينُ بِهِ وَمِنْ الْأَشْعَارِ وَالْأَخْبَارِ وَالسِّيَرِ
 وَالْأَسْبَاءِ مَا يَتَسَعَّى بِهِ مَنْطِقُكَ وَيَطُولُ بِهِ قَلْبُكَ . وَانْظُرْ فِي
 كُتُبِ الْمَقَامَاتِ وَالْخُطَبِ وَمَجَاوِبَةِ الْعَرَبِ فِي حُرُوبِهِمْ
 وَأَمْثَالِ الْفَرَسِ وَرَسَائِلِهِمْ وَعَهْدِهِمْ وَسِيَرِهِمْ وَوَقَائِعِهِمْ

وَمَكَائِدِهِمْ فِي حُرُوبِهِمْ بَعْدَ أَنْ تَكُونَ مُتَوَسِّطًا عِلْمَ النَّحْوِ
وَالْغَرِيبِ وَكُتُبَ السَّجَلَاتِ وَالْأَمَانَاتِ لِتَكُونَ مَاهِرًا تَنْزِعُ
آيَ الْقُرْآنِ فِي مَوَاضِعِهَا وَأَخِلَافَ الْأَمْثَالِ فِي أَمَاكِينِهَا
وَقَرَضَ الشَّعْرِ الْحَيِّدِ وَعِلْمَ الْعُرُوضِ فَإِنَّ تَضْمِينَ الْمَثَلِ
السَّائِرِ وَالْبَيْتِ الْغَابِرِ الْبَارِعِ مَبَايِزُ كِتَابِكَ مَا لَمْ تُخَاطِبْ
خَلِيفَةً أَوْ مَلِكًا جَلِيلَ الْقَدْرِ فَإِنَّ أَجْنَلَابَ الشَّعْرِ فِي كُتُبِ
الْمُخْلِفَاءِ عَيْبٌ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْكَاتِبُ هُوَ الْقَارِضُ لِلشَّعْرِ
وَالصَّانِعُ لَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ يَزِيدُ فِي أَهْنِهِ

وَإِذَا اخْتَجَّتْ إِلَى مُخَاطَبَةِ الْمُلُوكِ وَالْوُزَرَاءِ وَالْعُلَمَاءِ
وَالْكَتَّابِ وَالْمُخْطَبَاءِ وَالْأَدَبَاءِ وَالشُّعْرَاءِ وَأَوْسَاطِ النَّاسِ
وَسُوقَتِهِمْ فَخَاطِبٌ كُلًّا عَلَى قَدْرِ أَهْنِهِ وَجَلَالَتِهِ وَعُلُوِّهِ
وَأَرْتِفَاعِهِ وَفِطْنَتِهِ وَأَنْتِبَاهِهِ وَتَخَيُّرٍ مِنَ الْأَلْفَاظِ أَرْجَحَهَا لَفْظًا
وَأَجْزَلَهَا وَأَشْرَفَهَا جَوْهَرًا وَأَكْرَمَهَا حَسَبًا وَأَلْيَقَهَا فِي مَكَانِهَا
وَأَشْكَلَهَا فِي مَوْضِعِهَا فَإِنْ حَاوَلْتَ صَنْعَ رِسَالَةٍ فَرِنِ اللَّفْظَةَ
قَبْلَ أَنْ تُخْرِجَهَا بِبِزَانِ النَّصْرِيفِ إِذَا عَرَضَتْ وَعَايِرِ الْكَلِمَةِ
بِمَعْيَارِهَا إِذَا سَنَحَتْ فَإِنَّهُ رَبُّهَا مَرَّةً بِكَ مَوْضِعٌ يَكُونُ مُخْرَجُ
الْكَلَامِ فِيهِ إِذَا كَتَبْتَ أَنَا فَاعِلٌ أَحْسَنَ مِنْ أَنْ تَكْتُبَ أَنَا

أَفْعَلُ وَمَوْضِعٌ آخَرُ يَكُونُ فِيهِ اسْتَفْعَلْتُ أَهْلَى مِنْ فَعَلْتُ .
 فَأَدِرَ الْكَلَامَ عَلَى أَعْكَانِهِ وَقَلْبِهِ عَلَى جَبِيعِ وَجْهِهِ فَأَيُّ لَفْظَةٍ
 رَأَيْتَهَا لَا تَقَعُ بِالْمَكَانِ الَّذِي نَدَبْتَهَا إِلَيْهِ فَأَنْزِعْهَا إِلَى الْمَكَانِ
 الَّذِي أَرَدْتَهَا لَهُ وَأَوْقِعْهَا فِيهِ وَلَا تَجْعَلِ اللَّفْظَةَ قَلْبَةً فِي
 مَوْضِعِهَا نَافِرَةً عَنْ مَكَانِهَا فَإِنَّكَ مَتَى فَعَلْتَ هَجَّجْتَ الْمَوْضِعَ
 الَّذِي حَاوَلْتَ تَحْسِينَهُ وَأَفْسَدْتَ الْمَكَانَ الَّذِي أَرَدْتَ
 إِصْلَاحَهُ . فَإِنَّ وَضْعَ الْأَلْفَاظِ فِي غَيْرِ أَمَاكِنِهَا وَقَصْدُكَ بِهَا
 إِلَى غَيْرِ مَصَابِيهَا إِنَّهَا هُوَ كَثْرَفِيعُ الثُّوبِ الَّذِي لَمْ تُشَابِهْهُ
 رِقَاعُهُ وَلَمْ تَقَارِبْ أَجْزَآؤُهُ وَخَرَجَ مِنْ حَدِّ الْجِدَّةِ وَتَغَيَّرَ
 حُسْنُهُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ

إِنَّ الْجَدِيدَ إِذَا مَا زِيدَ فِي خَلْقِ

يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ أَنَّ الثُّوبَ مَرْقُوعٌ

كَذَلِكَ كُلُّهَا أَهْلَى الْكَلَامِ وَعَذِبَ وَرَاقَ وَسَهَلَتْ

مَخَارِجُهُ كَانَ أَسْهَلَ وَلَوْ جَافِيَ الْأَسْبَاعِ وَأَشَدَّ اتِّصَالًا بِالْقُلُوبِ

وَأَخَفَ عَلَى الْأَفْوَاهِ وَلَا سِيَّيَا إِنْ كَانَ الْمَعْنَى الْبَدِيعُ مُنْزَجًا

بِلَفْظٍ مُؤْتَقٍ شَرِيفٍ وَمُعَايِرًا بِكَلَامٍ عَذِبٍ لَمْ يَسِبْهُ التَّكْلِيفُ

بِمِيسَرِهِ وَلَمْ يَفْسِدْهُ التَّعْقِيدُ بِاسْتِهْلَاكِهِ

وَقَدَرْنَا بِهِمْ شَبَهَ الْمَعْنَى الْخَفِيِّ بِالرُّوحِ الْخَفِيِّ وَاللَّفْظَ
الظَّاهِرَ بِالتَّجَسُّمِ الظَّاهِرِ وَإِذَا لَمْ يَنْهَضْ بِالْمَعْنَى الشَّرِيفِ
الْمَجْزُولِ لَفْظٌ شَرِيفٌ جَزَلٌ أَمْ تَكُنِ الْعِبَارَةُ وَاضِحَةً وَلَا النِّظَامُ
مُسْتَقِماً وَتَضَاهِلَ الْمَعْنَى الْحَسَنُ تَحْتَ اللَّفْظِ الْقَبِيحِ كَتَضَاهُلِ
الْحَسَنَاءِ فِي الْأَطْهَارِ الرَّثِيَّةِ (انتهى ملخصاً عن العقد العريد)

الفصل الثالث

فِي الصَّنَاعَةِ اللَّفْظِيَّةِ وَهِيَ قِسْمَانِ

القسم الأول

فِي اللَّفْظَةِ الْمَفْرَدَةِ

إِعْلَمْ أَنَّهُ يَحْتَاجُ صَاحِبُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ فِي تَأْلِيْفِهِ إِلَى ثَلَاثَةِ
أَشْيَاءَ. الْأَوَّلُ مِنْهَا اخْتِيَارُ الْأَلْفَاظِ الْمَفْرَدَةِ وَحُكْمُ ذَلِكَ
حُكْمُ اللَّائِي الْمَبْدُودَةِ فَإِنَّهَا تُخَيَّرُ وَتُسَوَّى قَبْلَ النَّظْمِ. الثَّانِي
نَظْمُ كُلِّ كَلِمَةٍ مَعَ اخْتِيَارِهَا فِي الْمَشَاكِلَةِ لَهَا لِئَلَّا يَجِيءَ الْكَلَامُ
قَلْبًا نَافِرًا عَنْ مَوَاضِعِهِ وَحُكْمُ ذَلِكَ حُكْمُ الْعَقْدِ الْمَنْظُومِ فِي
اِقْتِرَانِ كُلِّ لَوْوَةٍ مِنْهُ بِاخْتِيَارِ الْمَشَاكِلَةِ لَهَا. الثَّلَاثُ الْغَرَضُ

الْمَقْصُودُ مِنْ ذَلِكَ الْكَلَامِ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِ وَحُكْمِ
 ذَلِكَ حُكْمُ الْمَوْضِعِ الَّذِي يُوضَعُ فِيهِ الْعِقْدُ الْمَنْظُومُ فَتَارَةً
 يُجْعَلُ إِكْلِيلًا عَلَى الرَّأْسِ وَتَارَةً يُجْعَلُ فِلَادَةً فِي الْعُنُقِ وَتَارَةً
 يُجْعَلُ شَنْفًا فِي الْأُذُنِ وَلِكُلِّ مَوْضِعٍ مِنْ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ هَيْئَةٌ
 مِنَ الْحُسْنِ تَخَصُّصُهُ. فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ لَا بُدَّ لِلْخَطِيبِ وَالشَّاعِرِ
 مِنَ الْعِنَايَةِ بِهَا وَهِيَ الْأَصْلُ الْمَعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي تَأْلِيفِ الْكَلَامِ
 مِنَ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ. فَالْأَوَّلُ وَالثَّانِي مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ الْمَذْكُورَةِ
 هُمَا الْمُرَادُ بِالْفَصَاحَةِ. وَالثَّلَاثَةُ بِجِبِلَّتَيْهَا هِيَ الْمُرَادُ بِالْبَلَاغَةِ.
 وَهَذَا الْمَوْضِعُ يَضِلُّ فِي سُلُوكِ طَرِيقِهِ الْعُلَمَاءُ بِصِنَاعَةِ صَوْنِ
 الْكَلَامِ مِنَ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ فَكَيْفَ الْجُهَالُ الَّذِينَ لَمْ تَنْفَعَهُمُ
 رَاحَتُهُ. وَمَنْ الَّذِي يُؤْنِيهِ اللَّهُ فِطْرَةً نَاصِعَةً يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ
 وَلَوْ لَمْ تَمَسَّهُ نَارٌ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى أَسْرَارِ مَا يَسْتَعْمِلُهُ مِنْ
 الْأَلْفَافِ فَيَضَعُهَا فِي مَوَاضِعِهَا

وَقَدْ ذَكَرَ مَنْ تَقَدَّمَ مِنْ عُلَمَاءِ الْبَيَانِ لِلْأَلْفَافِ الْمَفْرَدَةِ
 خَصَائِصَ وَهَيْئَاتٍ تَتَصِفُ بِهَا وَاخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ وَاسْتَحْسَنَ
 أَحَدُهُمْ شَيْئًا فَخُولِفَ فِيهِ وَكَذَلِكَ اسْتَفْجَعَ الْآخَرُ شَيْئًا فَخُولِفَ
 فِيهِ. وَلَوْ حَقَّقُوا النَّظَرَ وَوَقَفُوا عَلَى السِّرِّ فِي اتِّصَافِ بَعْضِ

الْأَلْفَاظِ بِالْحُسْنِ وَبَعْضُهَا بِالْقُبْحِ لَهَا كَانَ بَيْنَهُمْ خِلَافٌ فِي
 شَيْءٍ مِنْهَا. وَقَدْ أَشْرْتُ إِلَى ذَلِكَ فِي الْفَصْلِ الثَّامِنِ مِنْ مُقَدِّمَةِ
 كِتَابِي هَذَا الَّذِي يَشْتَبِلُ عَلَى ذِكْرِ الْفَصَاحَةِ^(١) وَفِي الْوُقُوفِ
 عَلَيْهِ وَالْإِحَاطَةِ بِهِ غَنَى عَنْ غَيْرِهِ. وَلَكِنْ لَا بُدَّ أَنْ نَذْكُرَ هُنَا
 تَفْصِيلًا لَهَا أَجِبَلْنَاهُ هُنَاكَ لِأَنَّا ذَكَرْنَا فِي ذَلِكَ الْفَصْلِ أَنَّ
 الْأَلْفَاظَ دَاخِلَةً فِي حَيْزِ الْأَصْوَاتِ لَا نَهَا مُرَكَّبَةً مِنْ مَخَارِجِ
 الْحُرُوفِ فَمَا اسْتَلْذَهُ السَّمْعُ مِنْهَا فَهُوَ الْحَسَنُ وَمَا كَرِهَهُ وَنَبَا
 عَنْهُ فَهُوَ الْقُبْحُ. وَإِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ فَلَا حَاجَةَ إِلَى مَا ذَكَرَ مِنْ
 نِيْلِكَ الْخَصَائِصِ وَالْهَيْئَاتِ الَّتِي أَوْرَدَهَا عُلَمَاءُ الْبَيَانِ فِي
 كُتُبِهِمْ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ اللَّفْظُ لَدَيْنَا فِي السَّمْعِ كَارَةً حَسَنًا
 وَإِذَا كَانَ حَسَنًا دَخَلَتْ نِيْلِكَ الْخَصَائِصُ وَالْهَيْئَاتُ فِي
 ضَمَنِ حُسْنِهِ

وَقَدْ رَأَيْتُ جَمَاعَةً مِنَ الْجُهَالِ إِذَا قِيلَ لِأَحَدِهِمْ إِنَّ
 هَذِهِ اللَّفْظَةَ حَسَنَةٌ وَهَذِهِ قَبِيحَةٌ أَنْكَرَ ذَلِكَ وَقَالَ كُلُّ الْأَلْفَاظِ
 حَسَنٌ وَالْوَاضِعُ لَمْ يَضَعْ إِلَّا حَسَنًا وَمَنْ يَبْلُغُ جَهْلُهُ إِلَى أَنْ
 لَا يَفَرُقَ بَيْنَ لَفْظَةِ الْغُصْنِ وَلَفْظَةِ الْعُسْلُوجِ وَبَيْنَ لَفْظَةِ

الْمُدَامَةِ وَلَفْظَةُ الْإِسْفِنِطِ وَبَيْنَ لَفْظَةِ السِّيفِ وَلَفْظَةِ الْخَنْشَلِيلِ
وَبَيْنَ لَفْظَةِ الْأَسَدِ وَلَفْظَةِ الْفَدْوْكِسِ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُخَاطَبَ
بِخَطَابٍ وَلَا يُجَاوَبَ بِجَوَابٍ

وَقَدْ بَقِيََتْ هُنَاكَ أَوْصَافٌ أُخْرَى يَنْبَغِي أَنْ يُنَبِّهَ عَلَيْهَا.
فَمِنْهَا أَنْ لَا تَكُونَ الْكَلِمَةُ وَحْشِيَّةً. وَقَدْ خَفِيَ الْوَحْشِيُّ عَلَى
جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُتَشَبِّهِينَ إِلَى صِنَاعَةِ النِّظْمِ وَالنَّثْرِ وَظَنُوهُ الْمُسْتَفْهِجَ
مِنَ الْأَلْفَافِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ بَلِ الْوَحْشِيُّ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ أَحَدُهُمَا
غَرِيبٌ حَسَنٌ وَالْآخَرُ غَرِيبٌ قَبِيحٌ وَذَلِكَ أَنَّهُ مَنْسُوبٌ إِلَى
اسْمِ الْوَحْشِ الَّذِي يَسْكُنُ الْفِقَارَ وَلَيْسَ بِأَنْيَسٍ وَكَذَلِكَ
الْأَلْفَافُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَانُوسَةً إِلَّا سَتَعْبَالٍ. وَلَيْسَ مِنْ شَرْطِ
الْوَحْشِ أَنْ يَكُونَ مُسْتَفْهِجًا بَلِ أَنْ يَكُونَ نَافِرًا لَا يَأْلُ الْإِنْسَ
فِتَارَةً يَكُونُ حَسَنًا وَتَارَةً يَكُونُ قَبِيحًا. وَعَلَى هَذَا فَإِنَّ أَحَدَ قِسْمَيْ
الْوَحْشِيِّ وَهُوَ الْغَرِيبُ الْحَسَنُ يَخْتَلِفُ بِأَخْيَالِ الْنِسْبِ
وَالْإِضَافَاتِ وَأَمَّا الْقِسْمُ الْآخَرُ مِنَ الْوَحْشِيِّ الَّذِي هُوَ قَبِيحٌ
فَإِنَّ النَّاسَ فِي اسْتِقْبَاحِهِ سَوَاءٌ وَلَا يَخْتَلِفُ فِيهِ عَرَبِيٌّ بَادٍ وَلَا
قُرَوِيٌّ مُتَحَضِّرٌ وَأَحْسَنُ الْأَلْفَافِ مَا كَانَ مَالُوفًا مُتَدَاوِلًا لِأَنَّهُ
لَمْ يَكُنْ مَالُوفًا مُتَدَاوِلًا إِلَّا لِمَكَانٍ حُسْنِهِ وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى

ذَلِكَ فِي بَابِ الْفَصَاحَةِ^(١). فَإِنَّ أَرْبَابَ الْخَطَابَةِ وَالشِّعْرِ
 نَظَرُوا إِلَى الْأَلْفَاظِ وَتَقَبُّوا عَنْهَا ثُمَّ عَدَلُوا إِلَى الْأَحْسَنِ مِنْهَا
 فَأَسْتَعْمَلُوهُ وَتَرَكَوا مَا سِوَاهُ وَهُوَ أَيْضًا يَتَفَاوَتْ فِي دَرَجَاتٍ
 حُسْنِهِ فَأَلْفَاظُ إِذْنٍ تَقْسِمُ ثَلَاثَةً أَقْسَامٍ فِيسَمَانِ حَسَنَانِ
 وَفِسْمٍ قَبِيحٍ^٢. فَأَلْفِيسَمَانِ الْحَسَنَانِ أَحَدُهُمَا مَا تَدَاوَلَ اسْتِعْمَالُهُ
 الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ مِنَ الزَّمَنِ الْقَدِيمِ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا وَلَا يُطْلَقُ
 عَلَيْهِ أَنَّهُ وَحْشِيٌّ^٣. وَالْآخَرُ مَا تَدَاوَلَ اسْتِعْمَالُهُ الْأَوَّلُ دُونَ
 الْآخِرِ وَيَخْتَلِفُ فِي اسْتِعْمَالِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الزَّمَنِ وَأَهْلِهِ وَهَذَا
 هُوَ الَّذِي لَا يُعَابُ اسْتِعْمَالُهُ عِنْدَ الْعَرَبِ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ
 وَحْشِيًّا وَهُوَ عِنْدَنَا وَحْشِيٌّ. وَقَدْ تَضَمَّنَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مِنْهُ
 كَلِمَاتٍ مَعْدُودَةٌ وَهِيَ الَّتِي يُطْلَقُ عَلَيْهَا غَرِيبُ الْقُرْآنِ
 وَكَذَلِكَ تَضَمَّنَ الْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ مِنْهُ شَيْئًا وَهُوَ الَّذِي يُطْلَقُ
 عَلَيْهِ غَرِيبُ الْحَدِيثِ

وَلَا يَسْبِقُ وَهَبُكَ أَيُّهَا الْهَيَّامِلُ إِلَى قَوْلِ الْفَائِلِ الَّذِي
 غَلَبَ عَلَيْهِ غِلْظُ الطَّبَعِ وَفَجَاجَةُ الذِّهْنِ بِأَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ
 تَسْتَعْمِلُ مِنَ الْأَلْفَاظِ كَذَا وَكَذَا فَبِذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ حَسَنٌ بَلْ

يَنْبَغِي أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الَّذِي نَسْتَحْسِنُهُ نَحْنُ فِي زَمَانِنَا هَذَا هُوَ
الَّذِي كَانَ عِنْدَ الْعَرَبِ مُسْتَحْسَنًا وَالَّذِي نَسْتَقْبِهُ هُوَ الَّذِي
كَانَ عِنْدَهُمْ مُسْتَقْبًا. وَالْإِسْتِعْمَالُ لَيْسَ بِدَلِيلٍ عَلَى الْحُسْنِ
فَإِنَّا نَحْنُ نَسْتَعْمِلُ الْآنَ مِنَ الْكَلَامِ مَا لَيْسَ بِحَسَنِ وَإِنَّمَا
نَسْتَعْمِلُهُ لِضَرُورَةٍ فَلَيْسَ اسْتِعْمَالُ الْحُسْنِ بِمُمْكِنٍ فِي كُلِّ
الْأَحْوَالِ. وَهَذَا طَرِيقٌ يَضِلُّ بِغَيْرِ الْعَارِفِ بِمَسَالِكِهِ وَمَنْ لَمْ
يَعْرِفْ صِنَاعَةَ النِّظْمِ وَالنَّثْرِ وَمَا يَجِدُهُ صَاحِبُهَا مِنَ الْكُلْفَةِ فِي
صَوْنِ الْأَلْفَافِ وَأَخْيَارِهَا فَإِنَّهُ مَعْدُورٌ فِي أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ
لَا يَعْرِفُ الشُّوقَ إِلَّا مَنْ يَكَابِدُهُ وَلَا الصَّبَابَةَ إِلَّا مَنْ يُعَانِيهَا
وَمَعَ هَذَا فَإِنْ قَوْلَ الْقَائِلِ بِأَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ تَسْتَعْمِلُ مِنَ
الْأَلْفَافِ كَذَا وَكَذَا وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ حَسَنٌ قَوْلٌ فَاسِدٌ لَا
يَصْدُرُ إِلَّا عَنْ جَاهِلٍ فَإِنَّ اسْتِحْسَانَ الْأَلْفَافِ وَاسْتِفْبَاحَهَا لَا
يُؤْخَذُ بِالتَّقْلِيدِ مِنَ الْعَرَبِ لِأَنَّهُ شَيْءٌ لَيْسَ لِلتَّقْلِيدِ فِيهِ مَجَالٌ
وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ لَهُ خَصَائِصٌ وَهَيْئَاتٌ وَعَلَامَاتٌ إِذَا وَجِدَتْ
عِلْمَ حُسْنِهِ مِنْ قُبْحِهِ وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى ذَلِكَ فِي بَابِ
النِّصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ. وَأَمَّا الَّذِي تَقِلِدُ الْعَرَبَ فِيهِ مِنَ الْأَلْفَافِ
فَإِنَّمَا هُوَ الْإِسْتِشْهَادُ بِأَشْعَارِهَا عَلَى مَا يُنْقَلُ مِنْ لُغَتِهَا وَالْأَخْذُ

يَأْفَوَالِهَا فِي الْأَوْضَاعِ النَّحْوِيَّةِ فِي رَفْعِ الْفَاعِلِ وَنَصْبِ
الْمَفْعُولِ وَجَرِّ الْمُضَافِ إِلَيْهِ وَجَزْمِ الشَّرْطِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ
وَمَا عَدَاهُ فَلَا وَحُسْنُ الْأَلْفَاظِ وَفُجْهًا لَيْسَ إِضَافِيًّا إِلَى زَيْدٍ
دُونَ عَمْرٍو أَوْ إِلَى عَمْرٍو دُونَ زَيْدٍ لِأَنَّهُ وَصَفَ ذَوِي لَا
يَتَغَيَّرُ بِالْإِضَافَةِ. أَلَا تَرَى أَنَّ لَفْظَةَ الْمِزْنَةِ مَثَلًا حَسَنَةً عِنْدَ
النَّاسِ كَأَنَّهُ مِنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ وَهَلُمَّ جَرًّا لَا يَخْتَلِفُ أَحَدٌ فِي
حُسْنِهَا. وَكَذَلِكَ لَفْظَةُ الْبُعَاقِ فَإِنَّهَا قَبِيحَةٌ عِنْدَ النَّاسِ كَأَنَّهُ
مِنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ فَإِذَا اسْتَعْمَلْتَهَا الْعَرَبُ لَا يَكُونُ اسْتِعْمَالُهُمْ
إِيَّاهَا مَخْرَجًا لَهَا عَنِ الْقُبْحِ وَلَا يُلْتَفَتُ إِذْنٌ إِلَى اسْتِعْمَالِهِمْ
إِيَّاهَا بَلْ يُعَابُ اسْتِعْمَالُهَا وَيَخْلُطُ لَهُ الْكِبَرُ حَيْثُ اسْتَعْمَلَهَا
فَلَا تَنْظُرُ أَنَّ الْوَحْشِيَّ مِنَ الْأَلْفَاظِ مَا يَكْرَهُهُ سَمْعُكَ
وَيَقِيلُ عَلَيْكَ النُّطْقُ بِهِ وَإِنَّمَا هُوَ الْغَرِيبُ الَّذِي يَقِيلُ
اسْتِعْمَالُهُ فَتَارَةً يَخِفُّ عَلَى سَمْعِكَ وَلَا تَجِدُ بِهِ كِرَاهَةً وَتَارَةً يَثْقُلُ
عَلَى سَمْعِكَ وَتَجِدُ مِنْهُ الْكِرَاهَةَ. وَذَلِكَ فِي اللَّفْظِ عَيَانٌ أَحَدُهَا
أَنَّهُ غَرِيبٌ لَا اسْتِعْمَالَ وَالْآخَرُ أَنَّهُ ثَقِيلٌ عَلَى السَّمْعِ كَرِيهٌ
عَلَى الذَّوْقِ. وَإِذَا كَانَ اللَّفْظُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ فَلَا مَزِيدَ عَلَى
فَظَاطْنِهِ وَغِلَاطْنِهِ وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى الْوَحْشِيَّ الْغَلِيظَ وَيُسَمَّى

أَيْضًا لَمْ تَوْعَرْ وَلَيْسَ وَرَأَاهُ فِي الْقُبْحِ دَرَجَةٌ أُخْرَى وَلَا يَسْتَعْبِلُهُ
 إِلَّا أَجْهَلُ النَّاسِ مِمَّنْ لَمْ يَخْطُرْ بِأَلِهَ شَيْءٌ مِنْ مَعْرِفَةِ هَذَا
 الْفَنِّ أَصْلًا. فَإِنْ قِيلَ فَبِمَا هَذَا النَّوعُ مِنَ الْأَلْفَاظِ. قُلْتُ قَدْ
 ثَبَتَ لَكَ أَنَّهُ مَا كَرِهَهُ سَمْعُكَ وَثَقُلَ عَلَى لِسَانِكَ النُّطْقُ بِهِ.
 وَسَأَضْرِبُ لَكَ فِي ذَلِكَ مِثَالًا فَبَيْنَهُ مَا وَرَدَ لَنَا بَطْ شَرًّا فِي
 كِتَابِ الْحَبَاسَةِ

يَظَلُّ بِهَوْمَةٍ وَيُمْسِي بِغَيْرِهَا

جَحِيشًا وَيَعْرُورِي ظُهورَ الْهَسَالِكِ

فَإِنَّ لَفْظَةَ جَحِيشٍ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْمُنْكَرَةِ الْقَبِيحَةِ. وَيَا لِلَّهِ
 الْعَجَبُ أَلَيْسَ أَنَّهَا بِمَعْنَى فَرِيدٍ وَفَرِيدٌ لَفْظَةٌ حَسَنَةٌ رَاقِيَةٌ وَلَوْ
 وَضِعَتْ فِي هَذَا الْبَيْتِ مَوْضِعَ جَحِيشٍ لَهَا اخْتِلَافٌ شَيْءٌ مِنْ وَزْنِهِ.
 فَتَأْ بَطْ شَرًّا مَلُومٌ مِنْ وَجْهَيْنِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ
 اسْتَعْبِلَ الْقُبْحَ وَالْآخَرُ أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ مَنْدُوحَةٌ عَنْ اسْتِعْبَالِهِ
 فَلَمْ يَعْدِلْ عَنْهُ. وَمِمَّا هُوَ أَفْجَحُ مِنْهَا مَا وَرَدَ لِأَبِي تَهَامٍ قَوْلُهُ
 قَدْ قُلْتُ لَهَا أَطْلَحِمُ الْأُمْرَ وَأَنْبَعَثُ

عَشَوَاءَ تَالِيَةٍ غُبَسًا دَهَارِيَسَا

فَلَفْظَةُ أَطْلَحِمُ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْمُنْكَرَةِ الَّتِي جَمَعَتِ الْوَصْفَيْنِ

الْقَبِيحِينَ فِي أَنَّهَا غَرِيْبَةٌ وَأَنَّهَا غَلِيْظَةٌ فِي السَّمْعِ كَرِيْبَةٌ عَلَى
الذَّوْقِ . وَكَذَلِكَ لَفْظَةُ دَهَارِسَ أَيْضًا . وَعَلَى هَذَا وَرَدَ قَوْلُهُ
مِنْ آيَاتٍ يَصِفُ فَرَسًا مِنْ جُهْلَتِهَا

نَعَمْ مَنَاعُ الدُّنْيَا حَبَاكَ بِهِ أَرْوَعُ لَا جِدْرٌ وَلَا جِسْرُ
فَلَفْظَةُ جِدْرٍ غَلِيْظَةٌ . وَأَغْلَظُ مِنْهَا قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُنَبِّئِ
جَفَّتْ وَهُمْ لَا يَجْتَنُّونَ بِهَا بِهِمْ

شَيْمٌ عَلَى الْحَسْبِ الْأَغْرَ دَلَائِلُ

فَإِنَّ لَفْظَةَ جَفَّ مَرَّةً الطَّعْمُ وَإِذَا مَرَّتْ عَلَى السَّمْعِ أَفْشَعَرُ
مِنْهَا وَأَبُو الطَّيِّبِ فِي اسْتِعْمَالِهَا كَمَا اسْتَعْمَالَ تَابَطَ شَرًّا لَفْظَةُ
جَحِيْشٍ . فَإِنَّ تَابَطَ شَرًّا كَانَتْ لَهُ مَذْوُجَةٌ عَنْ اسْتِعْمَالِ
تِلْكَ اللَّفْظَةِ كَمَا أَشَرْنَا إِلَيْهِ فِيهَا تَقْدِمَ وَكَذَلِكَ أَبُو الطَّيِّبِ
فِي اسْتِعْمَالِ هَذِهِ اللَّفْظَةِ الَّتِي هِيَ جَفَّتْ فَإِنَّ مَعْنَاهَا فَخَرَتْ
وَالْجَفْحُ الْفَخْرُ يُقَالُ جَفَّ فُلَانٌ إِذَا فَخَرَ وَلَوْ اسْتَعْمَلَ عَوَضًا
عَنْ جَفَّتْ فَخَرَتْ لَا سِتْقَامَ وَزُنُ الْبَيْتِ وَحَظِي فِي اسْتِعْمَالِهِ
بِالْأَحْسَنِ وَمَا أَعْلَمُ كَيْفَ يَذْهَبُ هَذَا وَأَمَّا لَهُ عَلَى مِثْلِ هُوَ لَا
الْفُحُولِ مِنَ الشُّعْرَاءِ . وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْتُهُ وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهُ مِنَ
الْأَلْفَاظِ هُوَ الْوَحْشِيُّ الْغَلِيْظُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مَا يَدَانِيهِ فِي قُبْحِهِ

وَكَرَاهَتِهِ وَهَذِهِ الْأَمْثَلَةُ دَلِيلٌ عَلَى مَا أَرَدْنَاهُ. وَالْعَرَبُ إِذَنْ
لَا تُلَامُ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْغَرِيبِ الْحَسَنِ مِنَ الْأَلْفَاظِ وَإِنَّمَا
تُلَامُ عَلَى الْغَرِيبِ الْقَبِيحِ وَأَمَّا الْمُخَصَّرِيُّ فَإِنَّهُ يُلَامُ عَلَى
اسْتِعْمَالِ الْفُسْبَيْنِ مَعًا وَهُوَ فِي أَحَدِهِمَا أَشَدُّ مَلَامَةً مِنْهُ فِي
الْآخَرِ

(عن المثل السائر)

الْقِسْمُ الثَّانِي فِي الْكَلَامِ

قَدْ رَأَيْتُ جَمَاعَةً مِنْ مَدْعِي هَذِهِ الصَّنَاعَةَ يَعْتَقِدُونَ أَنَّ
الْكَلَامَ الْفَصِيحَ هُوَ الَّذِي يَعْرِضُ فِيهِ وَيَعْدُ مَنَاوِلُهُ وَإِذَا رَأَوْا
كَلَامًا وَحْشِيًا غَامِضَ الْأَلْفَاظِ يُعْجِبُونَ بِهِ وَيَصِفُونَهُ بِالْفَصَاحَةِ
وَهُوَ بِالضِدِّ مِنْ ذَلِكَ لِأَنَّ الْفَصَاحَةَ هِيَ الظُّهُورُ وَالْبَيَانُ
لَا الْغُحُوضُ وَالْخَفَاءُ. وَسَاءَ بَيْنَ لَكَ مَا تَعْبُدُ عَلَيْهِ فِي هَذَا
الْمَوْضِعِ فَأَقُولُ الْأَلْفَاظُ تَنْقَسِمُ فِي الْإِسْتِعْمَالِ إِلَى جَزَلَةٍ
وَرَفِيقَةٍ وَلِكُلِّ مِنْهُمَا مَوْضِعٌ يَحْسُنُ اسْتِعْمَالُهُ فِيهِ. فَأَتَجَزَّلُ
مِنْهَا يُسْتَعْمَلُ فِي وَصْفِ مَوَاقِفِ الْخُرُوبِ وَفِي قَوَارِعِ
الْتِهَادِ وَالْخَوْفِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ. وَأَمَّا الرِّفِيقُ مِنْهَا فَإِنَّهُ

يُسْتَعْمَلُ فِي وَصْفِ الْأَشْوَاقِ وَذِكْرِ أَيَّامِ الْعِبَادِ وَفِي اسْتِجْلَالِ
 الْمَوَدَّاتِ وَمُلَابَّاتِ الْأَسْطِطَافِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ . وَلَسْتُ
 أَغْنِي بِأَمْجَزٍ مِنَ الْأَلْفَافِ أَنْ يَكُونَ وَحْشِيًا مُتَوَعِّرًا عَلَيْهِ
 عُنْجَبَةُ الْبِدَاوَةِ بَلْ أَغْنِي بِأَمْجَزٍ أَنْ يَكُونَ مَتِينًا عَلَى عَذُوبِهِ
 فِي الْفَمِ وَلَذَائِثِهِ فِي السَّهْمِ . وَكَذَلِكَ لَسْتُ أَغْنِي بِالرَّقِيقِ
 أَنْ يَكُونَ رَكِيكًا سَفْسَافًا وَإِنَّمَا هُوَ اللَّطِيفُ الرَّفِيقُ الْحَاشِيَةُ
 النَّاعِمُ الْمَلِيسُ كَقَوْلِ أَبِي تَهَامٍ

نَاعِمَاتُ الْأَطْرَافِ لَوَ أَنَّهَا نَا بَسْ أَغْنَتْ عَنِ الْمَلَاءِ الرِّقَاقِ
 وَسَا ضَرِبْتُ لَكَ مِثَالًا لِلْجَزْلِ مِنَ الْأَلْفَافِ وَالرَّقِيقِ فَأَقُولُ
 أَنْظُرْ إِلَى قَوَارِعِ الْقُرْآنِ عِنْدَ ذِكْرِ الْحِسَابِ وَالْعَذَابِ
 وَالْهَيْزَانِ وَالصِّرَاطِ وَعِنْدَ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَمُفَارَقَةِ الدُّنْيَا وَمَا
 جَرَى هَذَا الْعَجْرَى فَإِنَّكَ لَا تَرَى شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ وَحْشِي
 الْأَلْفَافِ وَلَا مُتَوَعِّرًا . ثُمَّ أَنْظُرْ إِلَى ذِكْرِ الرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ
 وَالْمَغْفِرَةِ وَالْمَلَاطِفَاتِ فِي خِطَابِ الْأَنْبِيَاءِ وَخِطَابِ
 الْمُنِيِّينَ وَالنَّائِبِينَ مِنَ الْعِبَادِ وَمَا جَرَى هَذَا الْعَجْرَى فَإِنَّكَ
 لَا تَرَى شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ ضَعِيفَ الْأَلْفَافِ وَلَا سَفْسَافًا . فَمِثَالُ
 الْأَوَّلِ وَهُوَ أَمْجَزُ مِنَ الْأَلْفَافِ قَوْلُهُ تَعَالَى وَنُفِخَ فِي الصُّورِ

فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ
ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ ۚ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ
بِنُورٍ رَبَّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءُ وَقُضِيَ
بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۚ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ۚ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا
حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ
رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ
هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ۚ
قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى
الْمُتَكَبِّرِينَ ۚ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَىٰ الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا
جَاءَهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ
فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ
وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ
الْعَامِلِينَ ۚ فَتَأَمَّلْ هَذِهِ الْآيَاتِ الْبُصْرَةَ ذِكْرُ الْحَشْرِ عَلَى
تَفَاصِيلِ أَحْوَالِهِ وَذِكْرُ النَّارِ وَالْجَنَّةِ وَانْظُرْ هَلْ فِيهَا لَفْظَةٌ
إِلَّا وَهِيَ سَهْلَةٌ مُسْتَعْدْبَةٌ عَلَى مَا بَيَّاهُ مِنَ الْجَزَالِ ۚ وَكَذَلِكَ وَرَدَ
قَوْلُهُ تَعَالَى وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ

وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ
الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيهَا شُرَكَاءَ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ
مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ. وَأَمَّا إِثْمَالُ الثَّانِي وَهُوَ الرَّفِيقُ مِنَ الْأَلْفَاظِ
فَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي مَخَاطَبَةِ النَّبِيِّ وَالصَّحْبِيِّ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَا مَا
وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى إِلَى آخِرِ السُّورَةِ. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ
تَعَالَى فِي تَرْغِيبِ الْمَسْئَلَةِ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي
قَرِيبٌ أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ. وَهَكَذَا تَرَى سَبِيلَ
الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي كَلَامِ هَذَيْنِ الْحَاكِمَيْنِ مِنَ التَّجْزِئَةِ وَالرِّقَّةِ.
وَكَذَلِكَ كَلَامُ الْعَرَبِ الْأَوَّلِ فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ مِمَّا وَرَدَ
عَنْهَا نَثْرًا وَيَكْفِي مِنْ ذَلِكَ كَلَامُ فَيْصَةَ بْنِ نَعِيمٍ لَهَا قَدِيمٌ
عَلَى أَمْرِئِ الْقَيْسِ فِي أَشْيَاخِ ابْنِي أَسَدٍ يَسْأَلُونَهُ الْعَفْوَ عَنْ
دَمِ أَبِيهِ فَقَالَ لَهُ إِنَّكَ فِي الْحَلِّ وَالْقَدْرِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ
بِتَصَرُّفِ الدَّهْرِ وَمَا تُحْدِثُهُ أَيَّامُهُ وَتَتَقَلُّ بِهِ أَحْوَالُهُ يَحِثُّ لَا
تُحْتَاجُ إِلَى تَذْكِيرٍ مِنْ وَاعِظٍ وَلَا تَبْصِيرٍ مِنْ مُجَرِّبٍ. وَلَكَ مِنْ
سُودِ مَنْصِبِكَ وَشَرَفِ أَعْرَافِكَ وَكَرَمِ أَصْلِكَ فِي الْعَرَبِ
مُحَمَّدٌ بِحَسْبِ مَا حِيلَ عَلَيْهِ مِنْ إِفَالَةِ الْعَثَرَةِ وَالرَّجُوعِ عَنِ
الْهَفْوَةِ وَلَا تُجَاوِزُ الْهَيْمُ إِلَى غَايَةِ الْارْجَعَتْ إِلَيْكَ فَوَجَدَتْ

عِنْدَكَ مِنْ فَضِيلَةِ الرَّأْيِ وَبَصِيرَةِ الْفَهْمِ وَكَرَمِ الصَّغْمِ مَا
يَطُولُ رَغْبَاتِهَا وَيَسْتَعْرِقُ طَلِبَاتِهَا. وَقَدْ كَانَ الَّذِي كَانَ مِنْ
الْمُخْطَبِ الْجَلِيلِ الَّذِي عَثَّ رَزِيئَتُهُ نِزَارًا وَالْيَسَنَ وَلَمْ
يُخْصَصْ بِذَلِكَ كِنْدَةٌ دُونَ الشَّرَفِ الْبَارِعِ الَّذِي كَانَ لِلْحَجَرِ
وَلَوْ كَانَ يُفْدَى هَالِكٌ بِالْأَنْفُسِ الْبَاقِيَةِ بَعْدَهُ لَهَا بَخْلَتٌ أَكْرَمُنَا
بِهَا عَلَى مِثْلِهِ وَلَكِنَّهُ مَضَى بِهِ سَبِيلٌ لَا تَرْجِعُ أَخْرَاهُ عَلَى أَوْلَاهُ
وَلَا يَلْحِقُ أَقْصَاهُ أَدْنَاهُ. فَأَحَدُ الْحَالَاتِ فِي ذَلِكَ أَنْ تَعْرِفَ
الْوَاجِبَ عَلَيْكَ فِي إِحْدَى خِلَالِ ثَلَاثٍ إِمَّا أَنْ تَخْتَارَ مِنْ
بَنِي أَسَدٍ أَشْرَفَهَا بَيْنًا وَأَعْلَاهَا فِي بِنَاءِ الْهَكَرْمَاتِ صَوْتًا فَتَقْوَدَهُ
إِلَيْكَ بِنِسْعِهِ تَنْهَبُ مَعَ شَفَرَاتِ حُسَامِكَ بِيَاقِ قَصْرِنِهِ
فَتَقُولُ رَجُلٌ أَمْنَحِنَ بِهَا لِكَ عَزِيزٍ فَلَمْ يَسْتَلْ سَخِيمَتَهُ إِلَّا بِمَكْنِيهِ
مِنَ الْإِنْتِقَامِ. وَإِمَّا فِدَاءَ بِهَا بِرُوحٍ عَلَى بَنِي أَسَدٍ مِنْ نَعْمِهَا
فَهِيَ أَلْفٌ تُجَاوِزُ الْخَمْسَةَ فَيَكُونُ ذَلِكَ فِدَاءً تَرْجِعُ بِهِ
الْقَضْبُ إِلَى أَجْفَانِهَا. وَإِمَّا أَنْ تُوَادِعَنَا إِلَى أَنْ تَضَعَ أَمْحَوَامِلُ
فَتُسَدِّلُ الْأُزُرُ وَتُعْقِدُ الْخُمُرُ فَوْقَ الرِّايَاتِ. قَالَ فَبِكِي سَاعَةً
ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ الْعَرَبُ أَنَّهُ لَا كُفُوَ لِلْحَجَرِ فِي
دَمٍ وَإِنِّي لَنْ أَغْنَاكَ جَهْلًا وَلَا نَاقَةً فَأَكْتَسِبَ بِهِ سَبَّةَ الْأَبَدِ

وَفَتَّ الْعَصْدُ وَأَمَّا النَّظْرَةُ فَقَدْ أُوجِبَتْهَا الْأَجِنَّةُ فِي بُطُونِ
أُمَهَاتِهَا وَلَنْ أَكُونَ لِعَاطِبِهَا سَبَبًا وَسَتَعْرِفُونَ طَلَائِعَ كِنْدَةٍ
مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ تَحْمِلُ فِي الْقُلُوبِ حَقًّا وَفَوْقَ الْأَسِنَّةِ عِلْقًا

إِذَا جَالَتْ الْخَيْلُ فِي مَازِقِ

تُصَافِحُ فِيهِ الْهَنَائِيَا النُّفُوسَا

أَتَقْبَهُونَ أَمْ تَنْصَرِفُونَ. قَالُوا بَلْ تَنْصَرِفُ بِأَسْوَأِ الْأَخْيَارِ
وَأَبْلَى الْأَجْتِرَارِ يَهْكُرُونَ وَأَذِيَّةٌ وَحَرْبٌ وَبَلِيَّةٌ ثُمَّ نَهَضُوا
عَنْهُ وَقَبِيصَةٌ يَتَبَثَّلُ

لَعَلَّكَ أَنْ تَسْتَوْخِمْ الْوَرْدَ إِنْ عَدَتْ

كُنَائِبُنَا فِي مَازِقِ الْحَرْبِ تَهْطُرُ

فَقَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ لَا وَاللَّهِ وَلَكِنْ أَسْتَعِذُّهُ فَرَوَيْدًا يَنْفَرُجُ
لَكَ دُجَاهًا مِنْ فُرْسَانِ كِنْدَةٍ وَكُنَائِبِ حَمِيرٍ وَلَقَدْ كَانَ ذِكْرُ
غَيْرِ هَذَا بِأَوَّلِي إِذْ كُنْتُ نَازِلًا بِرَبْعِي وَلَكِنَّكَ قُلْتَ فَأَوْجِبْتَ

فَلِنَنْظُرُ إِلَى هَذَا الْكَلَامِ مِنَ الرَّجُلَيْنِ قَبِيصَةٌ وَأَمْرِي الْقَيْسِ
حَتَّى يَدَعَ الْمُنْعَبِقُونَ تَعْنِيهِمْ فِي أَسْتَعْمَالِ الْوَحْشِيِّ مِنَ
الْأَلْفَاطِ فَإِنَّ هَذَا الْكَلَامَ قَدْ كَانَ فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ قَبْلَ

الْإِسْلَامِ بِمَا شَاءَ اللَّهُ

وَإِذَا كَانَ هَذَا قَوْلَ سَاكِنٍ فِي الْفَلَاةِ لَا يَرَى إِلَّا شَجَةً
أَوْ قَيْصُومَةً وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا ضَبًّا أَوْ يَرْبُوعًا فَمَا بَالُ قَوْمٍ
سَكَنُوا الْحَضَرَ وَوَجَدُوا رِفَةَ الْعَيْشِ يَتَعَاطُونَ وَحَشِي الْأَلْفَاظِ
وَشَظَفَ الْعِبَارَاتِ وَمَا يَخْلِدُ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا مَا جَاهِلٌ بِأَسْرَارِ
النِّصَاحَةِ وَإِمَّا عَاجِزٌ عَنِ سُلُوكِ طَرِيقِهَا. فَإِنَّ كُلَّ أَحَدٍ
مِنْ شِدَا شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْأَدَبِ يَهْكُهُ أَنْ يَأْتِي بِالْوَحْشِيِّ
مِنْ الْكَلَامِ وَذَلِكَ أَنَّهُ يَلْتَقِطُهُ مِنْ كُتُبِ اللُّغَةِ أَوْ يَتَلَفَّهُ
مِنْ أَرْبَابِهَا. وَأَمَّا النَّصِيحُ الْمُتَصِفُ بِصِفَةِ الْمَلَاحَةِ فَإِنَّهُ لَا
يَقْدِرُ عَلَيْهِ وَلَوْ قَدَرَ عَلَيْهِ لَهَا عِلْمٌ أَيْنَ يَضَعُ يَدَهُ فِي تَأْلِيفِهِ
وَسَبْكِهِ فَإِنْ مَارَى فِي ذَلِكَ مَهَارًا فَلْيَنْظُرْ إِلَى أَشْعَارِ عُلَمَاءِ
الْأَدَبِ مِنْ كَانَ مُشَارًا إِلَيْهِ حَتَّى يَعْلَمَ صِحَّةَ مَا ذَكَرْتُهُ.
هَذَا أَتَى دُرَيْدٌ قَدْ قِيلَ إِنَّهُ أَشْعَرُ عُلَمَاءِ الْأَدَبِ وَإِذَا
نَظَرْتَ إِلَى شِعْرِهِ وَجَدْتَهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى شِعْرِ الشُّعْرَاءِ الْمُجِيدِينَ
مُنْخَطًا مَعَ أَنَّ أَوْلَئِكَ الشُّعْرَاءَ لَمْ يَعْرِفُوا مِنْ عِلْمِ الْأَدَبِ
عَشْرَ مِثَالِ مَا عَلَيْهِ. هَذَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَخْنَفِ قَدْ كَانَ
مِنْ أَوَائِلِ الشُّعْرَاءِ الْمُجِيدِينَ وَشِعْرُهُ كَبِيرٌ نَسِيمٌ عَلَى
عَذَبَاتِ أَغْصَانٍ وَكُلُوبَاتِ طَلٍّ عَلَى طُرَرِ رِيحَانٍ وَلَيْسَ فِيهِ

لَفْظَةٌ وَاحِدَةٌ غَرِيبَةٌ بِحِجَاجٍ إِلَى اسْتِخْرَاجِهَا مِنْ كُتُبِ اللُّغَةِ

(انتهى ملخصاً عن المثل السائر)

الفصل الرابع

في انقسام الكلام إلى فني النظم والنثر

اعلم أن لسان العرب وكلامهم على فنين فن الشعر
المنظوم وهو الكلام الموزون البقي ومعناه الذي تكون
أوزانه كلها على روي واحد وهو القافية. وفن النثر وهو
الكلام غير الموزون. وكل واحد من الفنين يشتمل على
فنون ومذاهب في الكلام. فاما الشعر فمِنْهُ المَدْحُ وَالْحِجَاءُ
وَالرِّثَاءُ. واما النثر فمِنْهُ السَّجْعُ الَّذِي يُرْتَى بِهِ قِطْعًا وَيُلْتَزَمُ
فِي كُلِّ كَلِمَتَيْنِ مِنْهُ قَافِيَةٌ وَاحِدَةٌ وَيُسَمَّى سَجْعًا وَمِنْهُ الْمُرْسَلُ
وهو الذي يُطْلَقُ فِيهِ الْكَلَامُ إِطْلَاقًا وَلَا يَقْطَعُ أَجْزَاءً بَلْ
يُرْسَلُ إِزْمَالًا مِنْ غَيْرِ تَقْيِيدٍ بِقَافِيَةٍ وَلَا غَيْرِهَا. وَيُسَمَّى
فِي الْخُطْبِ وَالْدُّعَاءِ وَتَرْغِيبِ الْجُمْهُورِ وَتَرْهِيْبِهِمْ. واما
الْقُرْآنُ فَهُوَ وَإِنْ كَانَ مِنَ الْمَشُورِ إِلَّا أَنَّهُ خَارِجٌ عَنِ
الْوَصْفَيْنِ وَلَيْسَ يُسَمَّى مَرْسَلًا مُطْلَقًا وَلَا مُسَجَّعًا بَلْ تَفْصِيلُ

آيَاتٍ يَنْتَهِي إِلَى مَقَاطِعَ يَشْهَدُ الذُّوقُ بِأَنْتِهَاءِ الْكَلَامِ عِنْدَهَا
 ثُمَّ يُعَادُ الْكَلَامُ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى بَعْدَهَا وَيَتَنَبَّهُ مِنْ غَيْرِ
 التَّزَامِ حَرْفٍ يَكُونُ سَجْعًا أَوْ قَافِيَةً وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى اللَّهُ
 نَزَلَ أَحْسَنَ الْخَبَرِ كِتَابًا مُشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ
 الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَقَالَ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ وَيُسَمَّى آخِرُ
 الْآيَاتِ مِنْهُ فَوَاصِلٌ إِذْ لَيْسَتْ أَسْجَاعًا وَلَا التَّزِمَ فِيهَا مَا
 يُلْتَزَمُ فِي السَّجْعِ وَلَا هِيَ أَيْضًا قَوَافٍ وَأُطْلِقَ اسْمُ الْمَثَانِي عَلَى
 آيَاتِ الْقُرْآنِ كُلِّهَا عَلَى الْعَبُومِ لِمَا ذَكَرْنَاهُ وَأَخْصَصْتُ بِاسْمِ
 الْقُرْآنِ لِلْعَلَبَةِ فِيهَا كَالنَّجْمِ لِلثَّرْيَا وَلِهَذَا سُمِّيَتْ السَّبْعُ الْمَثَانِي
 وَأَنْظَرُ هَذَا مَعَ مَا قَالَهُ الْمَفْسِرُونَ فِي تَعْلِيلِ تَسْمِيَّتِهَا بِالْمَثَانِي
 يَشْهَدُ لَكَ الْحَقُّ بِرُجْحَانِ مَا قُلْنَاهُ وَأَعْلَمُ أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ
 هَذِهِ الْفُنُونِ أَسَالِيبَ تَخْصُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِهِ وَلَا تَصْلُحُ لِلْفَنِّ
 الْآخَرِ وَلَا تَسْتَعْمَلُ فِيهِ مِثْلُ النَّسِيبِ الْخُصِّ بِالشَّعْرِ
 وَالْحَمْدِ وَالِدُعَاءِ الْخُصِّ بِالْخُطْبِ وَالِدُعَاءِ الْخُصِّ
 بِالْخَاطِبَاتِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَقَدْ اسْتَعْمَلَ الْمَتَاخِرُونَ
 أَسَالِيبَ الشَّعْرِ وَمَوَازِينَهُ فِي الْمَشُورِ مِنْ كَثَرَةِ الْأَسْجَاعِ
 وَالتَّزَامِ التَّقْفِيَةِ وَتَقْدِيمِ النَّسِيبِ بَيْنَ يَدَيِ الْأَغْرَاضِ وَصَارَ

هَذَا الْمَشُورُ إِذَا تَأَمَّلْنَاهُ مِنْ بَابِ الشَّعْرِ وَفَتْهُ وَلَمْ يَفْتَرِ قَائِلًا إِلَّا
 فِي الْوَزْنِ وَأَسْتَهْرَ الْمَتَأَخِّرُونَ مِنَ الْكِتَابِ عَلَى هَذِهِ
 الطَّرِيقَةِ وَاسْتَعْمَلُوهَا فِي الْخُطَبَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ وَقَصَرُوا
 الْأَسْتِعْمَالَ فِي الْمَشُورِ كُلِّهِ عَلَى هَذَا الْفَرْقِ الَّذِي أَرْتَضُوهُ
 وَخَلَطُوا الْأَسَالِيبَ فِيهِ وَهَجَرُوا الْمُرْسَلَ وَتَنَاسَوْهُ وَخُصُوصًا
 أَهْلَ الْمَشْرِقِ وَصَارَتْ الْخُطَبَاتُ السُّلْطَانِيَّةُ لِهَذَا الْعَهْدِ
 عِنْدَ الْكِتَابِ الْغَفْلِ جَارِيَةً عَلَى هَذَا الْأَسْلُوبِ الَّذِي أَشَرْنَا
 إِلَيْهِ. وَهُوَ غَيْرُ صَوَابٍ مِنْ جِهَةِ الْبَلَاغَةِ لِمَا يُلَاحَظُ فِي
 تَطْبِيقِ الْكَلَامِ عَلَى مُقْتَضَى أَمْحَالٍ مِنْ أَحْوَالِ الْخُطَابِ
 وَالْخُطَابِ. وَهَذَا الْفَرْقُ الْمَشُورُ الْمُبْقَى أُدْخِلَ الْمَتَأَخِّرُونَ
 فِيهِ أَسَالِيبَ الشَّعْرِ فَوَجَبَ أَنْ تُنَزَّهَ الْخُطَبَاتُ السُّلْطَانِيَّةُ
 عَنْهُ إِذَا أَسَالِيبُ الشَّعْرِ تَنَافَيْهَا اللَّوْذَعِيَّةُ وَخَلَطُ الْجِدِّ بِالْهَزْلِ
 وَالْإِطْنَابُ فِي الْأَوْصَافِ وَضَرْبُ الْأَمْثَالِ وَكَثْرَةُ التَّشْبِيهَاتِ
 وَالْإِسْتِعَارَاتِ حَيْثُ لَا تَدْعُو ضَرُورَةٌ إِلَى ذَلِكَ فِي الْخُطَابِ
 وَالنَّحْوِ فِي الْخُطَبَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ التَّرْسَلُ وَهُوَ إِطْلَاقُ
 الْكَلَامِ وَإِرْسَالُهُ مِنْ غَيْرِ تَسْجِيعٍ إِلَّا فِي الْأَقْلِ النَّادِرِ
 وَحَيْثُ تُرْسِلُهُ الْمَلَكَةُ إِرْسَالًا مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ لَهُ ثُمَّ يُعْطَاهُ

الْكَلَامَ حَتَّى فِي مُطَابَقَتِهِ لِمُقْتَضَى اِتِّحَالِ فَإِنَّ الْمَقَامَاتِ
 مُخْتَلِفَةً وَلِكُلِّ مَقَامٍ أُسْلُوبٌ بَخْصُهُ مِنْ إِيظَابٍ أَوْ إِيحَازٍ أَوْ
 حَذْفٍ أَوْ إِيظَابٍ أَوْ تَصْرِيجٍ أَوْ إِشَارَةٍ وَكِنَايَةٍ وَاسْتِعَارَةٍ
 وَأَمَّا إِجْرَاءُ الْخُاطِبَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ عَلَى هَذَا النُّحْوِ الَّذِي هُوَ
 عَلَى أَسَالِيبِ الشَّعْرِ فَهَذَا مَوْمٌ وَمَا حَلَّ عَلَيْهِ أَهْلُ الْعَصْرِ
 إِلَّا أَسْنِيْلَاءُ الْعُجْبَةِ عَلَى أَسْنِيْتِهِمْ وَقُصُورُهُمْ لِذَلِكَ عَنْ
 إعْطَاءِ الْكَلَامِ حَتَّى فِي مُطَابَقَتِهِ لِمُقْتَضَى اِتِّحَالٍ فَعَجَزُوا عَنْ
 الْكَلَامِ الْمُرْسَلِ لِبُعْدِ أَمْدِهِ فِي الْبَلَاغَةِ وَأَنْفَسَاحِ خَطْوَتِهِ
 وَوَلَعُوا بِهَذَا الْمُسْجَعِ يَلْقَوْنَ بِهِ مَا تَقْصَمُ مِنْ تَطْبِيقِ الْكَلَامِ
 عَلَى الْمَقْصُودِ وَمُقْتَضَى اِتِّحَالٍ فِيهِ وَيَجْبِرُونَهُ بِذَلِكَ الْقَدْرِ
 مِنَ التَّزْيِينِ بِالْأَسْجَاعِ وَالْأَلْقَابِ الْبَدِيعَةِ وَيَغْفُلُونَ عَنْهَا
 سِوَى ذَلِكَ. وَأَكْثَرُ مَنْ أَخَذَ بِهَذَا الْفَنِّ وَبَالَغَ فِيهِ فِي سَائِرِ
 أَنْحَاءِ كَلَامِهِمْ كُتَّابُ الْمَشْرِقِ وَشُعْرَاؤُهُ لِهَذَا الْعَهْدِ حَتَّى
 إِنَّهُمْ لَيُخْلُونَ بِالْإِعْرَابِ فِي الْكَلِمَاتِ وَالتَّصْرِيفِ إِذَا دَخَلَتْ
 لَهُمْ فِي تَجْنِيسٍ أَوْ مُطَابَقَةٍ لَا يَجْهَلُونَ مَعَهَا فَيَرْجَحُونَ ذَلِكَ
 الصِّنْفَ مِنَ التَّجْنِيسِ وَيَدْعُونَ الْأِعْرَابَ وَيُسَيِّدُونَ بِنِيَةِ
 الْكَلِمَةِ عَسَا مَا تُصَادِفُ التَّجْنِيسَ. فَتَأَمَّلْ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْنَاهُ

لَكَ تَقِفْ عَلَى صِحِّهِ مَا ذَكَرْنَاهُ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ إِلَى الصَّوَابِ
بِهِ وَكَرَمِهِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ
(عن ابن خلدون)

الفصل الخامس

في السبع

إِعْلَمْ أَنَّ السَّبْعَ قَدْ يَنْقَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ. الْأَوَّلُ أَنْ
يَكُونَ الْفَصْلَانِ مُتَسَاوَيْنَيْنِ لَا يَزِيدُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ كَقَوْلِهِ
تَعَالَى فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ وَقَوْلِهِ
تَعَالَى وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا فَالْمُغِيرَاتِ
ضُبْحًا فَانْمُوتْنَّ بِهِ تَغْمًا فَوْسَطُنَّ بِهِ جَمْعًا. الْآخَرُ كَيْفَ
جَاءَتْ هَذِهِ الْفُصُولُ مُتَسَاوِيَةً الْأَجْزَاءُ حَتَّى كَانَتْهَا أَفْرَعَتْ
فِي قَالِبٍ وَاحِدٍ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كَثِيرَةٌ
وَهُوَ أَشْرَفُ السَّبْعِ مَنْزِلَةٌ لِلْإِعْنِدَالِ الَّذِي فِيهِ

الْقِسْمُ الثَّانِي أَنْ يَكُونَ الْفَصْلُ الثَّانِي أَطْوَلَ مِنَ
الْأَوَّلِ لَا طَوْلًا يَخْرُجُ بِهِ عَنِ الْإِعْنِدَالِ خُرُوجًا كَثِيرًا فَإِنَّهُ
يَقْبُحُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيُسْكَرُهُ وَيَعْدُّ عَيْبًا. فِيمَا جَاءَ مِنْ ذَلِكَ
قَوْلُهُ تَعَالَى بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْنَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ

سَعِيرًا. إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا.
وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا. إِلَّا
نَرَى أَنْ الْفَصْلَ الْأَوَّلَ ثَمَانِي لَفْظَاتٍ وَالْفَصْلَ الثَّانِي
وَالثَّلَاثَ تِسْعَ تِسْعٍ وَيُسْتَشْنَى مِنْ هَذَا الْقِسْمِ مَا كَانَ مِنَ السَّجْعِ
عَلَى ثَلَاثٍ فَقَرِ فَإِنَّ الْفَقْرَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ مُحْسَبَانِ فِي عِدَّةٍ وَاحِدَةٍ
ثُمَّ تَأْتِي الثَّلَاثَةُ فَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ طَوِيلَةً طَوِيلًا يَزِيدُ عَلَيْهِمَا
فَإِذَا كَانَتْ الْأُولَى وَالثَّانِيَةُ أَرْبَعَ لَفْظَاتٍ أَرْبَعَ لَفْظَاتٍ
تَكُونُ الثَّلَاثَةُ عَشَرَ لَفْظَاتٍ أَوْ إِحْدَى عَشْرَةَ. إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي
أَنْ تَجْعَلَ ذَلِكَ فِيسًا مُطَرِّدًا فِي السَّجْعَاتِ الثَّلَاثِ أَيْنَ
وَقَعَتْ مِنَ الْكَلَامِ بَلْ تَعْلَمْ أَنَّ الْجَوَازَ يَحْتَمِلُ الْجَانِبَيْنِ مِنَ
التَّسَاوِي فِي السَّجْعَاتِ الثَّلَاثِ وَمِنْ زِيَادَةِ السَّجْعَةِ الثَّلَاثَةِ.
أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَدْ وَرَدَ ثَلَاثُ سَجْعَاتٍ مُتَسَاوِيَاتٍ فِي الْقُرْآنِ
الْكَرِيمِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ
فِي سِدْرِ مَحْضُودٍ. وَطَلْحٍ مَبْضُودٍ. وَظِلِّ مَبْذُودٍ. فَهَذِهِ السَّجْعَاتُ
كُلُّهَا مِنْ لَفْظَتَيْنِ لَفْظَتَيْنِ وَلَوْ جُعِلَتِ الثَّلَاثَةُ مِنْهَا خَمْسَ
لَفْظَاتٍ أَوْ سِتًّا لَهَا كَانَ ذَلِكَ مَعِيًّا
الْقِسْمُ الثَّلَاثُ أَنْ يَكُونَ الْفَصْلُ الْآخِرُ أَقْصَرَ مِنْ

الْأَوَّلُ هُوَ عِنْدِي عَيْبٌ فَاحِشٌ وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ السَّجْعَ
يَكُونُ قَدْ اسْتَوْفَى أَمَدَهُ مِنَ الْفَصْلِ الْأَوَّلِ بِحُكْمِ طُولِهِ ثُمَّ
يَجِيءُ الْفَصْلُ الثَّانِي قَصِيرًا عَنِ الْأَوَّلِ فَيَكُونُ كَالشَّيْءِ الْمُبْتَدِئِ
فَيَبْقَى الْإِنْسَانُ عِنْدَ سَمَاعِهِ كَمَنْ يُرِيدُ الْإِنْتِهَاءَ إِلَى غَايَةٍ
فَيَعْتَرِذُ وَنَهَا

وَإِذَا انْتَهَيْنَا إِلَى هُنَا وَبَيْنَا أَقْسَامَ السَّجْعِ وَلَبَهُ وَقُشُورُهُ
فَسَتَقُولُ فِيهِ قَوْلًا كَلْبًا وَهُوَ أَنَّ السَّجْعَ عَلَى اخْتِلَافِ أَقْسَامِهِ
ضَرْبَانِ أَحَدُهُمَا يُسَمَّى السَّجْعَ الْقَصِيرَ وَهُوَ أَنْ تَكُونَ كُلُّ
وَاحِدَةٍ مِنَ السَّجْعَتَيْنِ مُؤَلَّفَةً مِنَ الْفَاطِ قَلِيلَةٍ وَكُلُّهَا فَلَتْ
الْأَلْفَاطُ كَانَ أَحْسَنَ لِقُرْبِ الْفَوَاصِلِ الْمَسْجُوعَةِ مِنْ سَمْعِ
السَّامِعِ وَهَذَا الضَّرْبُ أَوْعَرُ السَّجْعِ مَذْهَبًا وَأَبْعَدُهُ مَتَنَاوَلًا
وَلَا يَكَادُ اسْتِعْمَالُهُ بَقِيَ إِلَّا نَادِرًا وَالضَّرْبُ الْآخَرُ يُسَمَّى
السَّجْعَ الطَّوِيلَ وَهُوَ ضِدُّ الْأَوَّلِ لِأَنَّهُ أَسْهَلُ مَتَنَاوَلًا وَإِنَّمَا
كَانَ الْقَصِيرُ مِنَ السَّجْعِ أَوْعَرَ مَسْلَكًا مِنَ الطَّوِيلِ لِأَنَّ الْمَعْنَى
إِذَا صِغَ بِأَلْفَاطٍ قَصِيرَةٍ عَزَّ مُؤَانَاةُ السَّجْعِ فِيهِ لِقَصَرِ نَلَكِ
الْأَلْفَاطِ وَضِيقِ الْجَمَالِ فِي اسْتِعْمَالِهِ وَأَمَّا الطَّوِيلُ فَإِنَّ
الْأَلْفَاطَ تَطُولُ فِيهِ وَيُسْتَجَلَبُ لَهُ السَّجْعُ مِنْ حَيْثُ وَلَيْسَ كَمَا

يَقَالُ وَكَانَ ذَلِكَ سَهْلًا. وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذَيْنِ الضَّرْبَيْنِ
تَفَاوُثٌ دَرَجَاتُهُ فِي عِدَّةِ الْأَلْفَاظِ. أَمَّا السَّجْعُ الْقَصِيرُ فَأَحْسَنُهُ
مَا كَانَ مُؤَلَّفًا مِنْ لَفْظَتَيْنِ لَفْظَتَيْنِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَاللَّهُ رُسُلَاتِ
عُرْفًا. فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا. وَقَوْلِهِ تَعَالَى يَا أَيُّهَا الْهَدَّيرُ. فَمِنْ
فَأَنْذِرْ. وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ. وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ. وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ. وَمِنْهُ
مَا يَكُونُ مُؤَلَّفًا مِنْ ثَلَاثَةِ الْأَفْظَانِ أَرْبَعَةٍ وَخَمْسَةٍ وَكَذَلِكَ
الْعَشْرَةُ وَمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ مِنَ السَّجْعِ الطَّوِيلِ. فَبِمَا جَاءَ
مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى. مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى.
وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى. وَقَوْلُهُ تَعَالَى أَقْرَبَتْ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ
النَّجْمُ وَإِنْ يَدْرَأَ آيَةً يَعْزِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَعْتَبٌ. وَكَذَّبُوا
وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَعْتَبٌ. وَأَمَّا السَّجْعُ الطَّوِيلُ فَإِنْ
دَرَجَاتِهِ تَفَاوُثٌ فِي الطُّولِ أَيْضًا فَبَيْنَهُ مَا يَقْرُبُ مِنَ السَّجْعِ
الْقَصِيرِ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ ثَلَاثَةً مِنْ إِحْدَى عَشْرَةٍ إِلَى اثْنَتَيْ
عَشْرَةٍ لَفْظَةً وَأَكْثَرُهُ خَمْسَ عَشْرَةٍ لَفْظَةً كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَلَئِنْ
أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْكُمْ كَفُورٌ
وَلَئِنْ أَذَقْنَا نِعْمَاءَ بَعْدَ ضَرْآءٍ مَسْنَةٍ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ
عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ. فَالْأَوَّلَى إِحْدَى عَشْرَةَ لَفْظَةً وَالثَّانِيَةُ

ثَلَاثَ عَشْرَةَ لَفْظَةً . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ
 مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ
 رَؤُوفٌ رَحِيمٌ . فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ . وَمِنْ السَّبْعِ الطَّوِيلِ
 مَا يَكُونُ تَأْلِيفُهُ مِنَ الْعِشْرِينَ لَفْظَةً فَهَا حَوْلَهَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى
 إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَيْتُمْ كَثِيرًا نَفْسِتُمْ
 وَلَنَنَازِعَنَّ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ
 وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ
 لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ . وَمِنْ
 السَّبْعِ الطَّوِيلِ أَيْضًا مَا يَزِيدُ عَلَى هَذِهِ الْعِدَّةِ الْمَذْكُورَةِ وَهُوَ
 غَيْرُ مُضْبُوطٍ

(عن المثل السائر)

• الْفَصْلُ السَّادِسُ •

فِي كَيْفِيَّةِ عَمَلِ الشَّعْرِ وَوَجْهِ تَعْلِيهِ

إِعْلَمْ أَنَّ لِعَمَلِ الشَّعْرِ وَإِحْكَامِ صِنَاعَتِهِ شُرُوطًا أَوَّلَهَا
 الْحِفْظُ مِنْ جِنْسِهِ أَيْ مِنْ جِنْسِ شَعْرِ الْعَرَبِ حَتَّى تَنْشَأَ فِي
 النَّفْسِ مَلَكَ يَنْسُجُ عَلَى مَنَوَالِهَا وَيُخَيِّرُ الْحَفُوظَ مِنَ الْحَرِّ

النَّعْيِ الْكَثِيرِ الْأَسَايِبِ . وَهَذَا الْمُحْفُوظُ الْمُخْتَارُ أَقْلُ مَا
 يَكْفِي فِيهِ شِعْرُ شَاعِرٍ مِنَ الْفُحُولِ الْأَسْلَامِيِّينَ مِثْلِ ابْنِ أَبِي
 رَبِيعَةَ وَكَثِيرٍ وَذِي الرُّمَّةِ وَجَرِيرٍ وَأَبِي نُوَّاسٍ وَحَبِيبِ
 وَابْنِ جُرَيْجٍ وَالرَّضِيِّ وَأَبِي فِرَاسٍ وَأَكْثَرُهُ شِعْرُ كِتَابِ
 الْأَغَانِي لِأَنَّهُ جَمَعَ شِعْرَ أَهْلِ الطَّبَقَةِ الْأِسْلَامِيَّةِ كُلِّهِ وَالْمُخْتَارُ
 مِنْ شِعْرِ الْجَاهِلِيَّةِ . وَمَنْ كَانَ خَالِيًا مِنَ الْمُحْفُوظِ فَتَنْظُهُ قَاصِرٌ
 رَدِيٌّ وَلَا يُعْطِيهِ الرُّوْنَقُ وَالْحَلَاوَةُ إِلَّا كَثَرَةُ الْمُحْفُوظِ .
 فَمَنْ قَلَّ حِفْظُهُ أَوْ عَدِمَ لَمْ يَكُنْ لَهُ شِعْرٌ وَإِنَّمَا هُوَ نَظْمٌ
 سَاقِطٌ وَأَجْنَابُ الشِّعْرِ أُولَى بَيْنَ لَمْ يَكُنْ لَهُ مُحْفُوظٌ ثُمَّ بَعْدَ
 الْأَمْثَلَاءِ مِنَ الْحِفْظِ وَتَحْذِ الْقَرِيحَةَ لِلنَّسِجِ عَلَى الْمِنَوَالِ يُقْبَلُ
 عَلَى النَّظْمِ وَبِالْإِكْتَارِ مِنْهُ تَسْتَحْكِمُ مَلَكَتُهُ وَتَرْسُخُ . وَرَبَّمَا
 يَقَالُ إِنَّ مِنْ شَرْطِهِ نِسْيَانُ ذَلِكَ الْمُحْفُوظِ لِتُسْمَى رِسْمُهُ
 الْحَرْفِيَّةُ الظَّاهِرَةُ إِذْ هِيَ صَادَةٌ عَنْ اسْتِعْمَالِهَا بِعَيْنِهَا فَإِذَا نَسِيَهَا
 وَقَدْ تَكَيَّفَتِ النَّفْسُ بِهَا انْتَقَشَ الْأُسْلُوبُ فِيهَا كَأَنَّهُ مِثْوَالٌ
 يَأْخُذُ فِي النَّسِجِ عَلَيْهِ بِأَمْثَالِهَا مِنْ كَلِمَاتٍ أُخْرَى ضَرُورَةٌ .
 ثُمَّ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْخُلُوعِ وَاسْتِحْبَادَةِ الْمَكَانِ الْمَنْظُورِ فِيهِ مِنَ
 الْبَيَاءِ وَالْأَزْهَارِ وَكَذَا الْمَسْبُوعِ لِاسْتِنَارَةِ الْقَرِيحَةِ بِاسْتِجْبَاعِهَا

وَتَشْيِطَهَا بِمَلَاذِ السُّرُورِ ثُمَّ امْعَ هَذَا كُلِّهِ فَشَرْطُهُ أَنْ يَكُونَ
 عَلَى جِهَامٍ وَنَشَاطٍ فَذَلِكَ أَجْمَعٌ لَهُ وَأَنْشَطُ لِلْفَرِيحَةِ أَنْ تَأْتِيَ
 بِمِثْلِ ذَلِكَ الْمِنْوَالِ الَّذِي فِي حِفْظِهِ قَالُوا وَخَيْرُ الْأَوْقَاتِ
 لَذَلِكَ أَوْقَاتُ الْبَكْرِ عِنْدَ الْهَيُوبِ مِنَ النَّوْمِ وَفَرَاغِ الْعَمَلِ
 وَنَشَاطِ الْفِكْرِ وَفِي هَؤُلَاءِ الْجِهَامُ وَرُبَّمَا قَالُوا إِنْ مِنْ
 بَوَاعِيهِ الْعَشْقِ وَالْإِنْتِشَاءِ ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ رَشِيْقٍ فِي كِتَابِ
 الْعَمَلِ وَهُوَ الْكِتَابُ الَّذِي أَنْفَرَدَ بِهِ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ وَإِعْطَاءُ
 حَقِّهَا وَلَمْ يَكْتُبْ فِيهَا أَحَدٌ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ قَالُوا فَإِنْ
 اسْتَصْعَبَ عَلَيْهِ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ فَلْيَتَرَكْهُ إِلَى وَقْتٍ آخَرَ وَلَا
 يُكْرِهْ نَفْسَهُ عَلَيْهِ وَأَيُّكُنْ بِنَاءَ الْبَيْتِ عَلَى الْقَافِيَةِ مِنْ أَوَّلِ
 صَوْنِهِ وَتَسْجِيهِ يَضَعُهَا وَيُنِي الْكَلَامَ عَلَيْهَا إِلَى آخِرِهِ لِأَنَّهُ
 إِنْ غَفَلَ عَنْ بِنَاءِ الْبَيْتِ عَلَى الْقَافِيَةِ صَعَبَ عَلَيْهِ وَضَعُهَا فِي
 مَحَلِّهَا فَرُبَّمَا تَحْيِي نَافِرَةٌ قَلِقَةٌ وَإِذَا سَمِعَ الْخَطَاطِرُ بِالْبَيْتِ وَلَمْ
 يَنْاسِبِ الَّذِي عِنْدَهُ فَلْيَتَرَكْهُ إِلَى مَوْضِعِهِ الْأَلْيَقِ بِهِ فَإِنْ كَلَّ
 بَيْتٌ مُسْتَقِلٌ بِنَفْسِهِ وَلَمْ تَبْقَ إِلَّا الْمُنَاسِبَةُ فَلْيَتَخَيَّرْ فِيهَا كَمَا
 يَشَاءُ وَلْيُرَاجِعْ شِعْرَهُ بَعْدَ الْخُلَاصِ مِنْهُ بِالتَّنْفِيحِ وَالْقَدْرِ وَلَا
 يَضُنَّ بِهِ عَلَى التَّرَكِّ إِذَا لَمْ يَلْغُ الْإِجَادَةَ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ

مَفْتُونٌ بِشِعْرِهِ إِذْ هُوَ بَنَاتُ فِكْرِهِ وَاخْتِرَاعُ فَرِيحَتِهِ وَلَا
يَسْتَعِيلُ فِيهِ مِنَ الْكَلَامِ إِلَّا الْأَفْصَحَ مِنَ التَّرَاكِيِبِ وَالْخَالِصَ
مِنَ الضَّرُورَاتِ اللِّسَانِيَّةِ فَلْيَهْجُرْهَا فَإِنَّهَا تَنْزِلُ بِالْكَلَامِ عَنْ
طَبَقَةِ الْبَلَاغَةِ . وَقَدْ حَظَرَ أَثْبَةُ اللِّسَانِ عَلَى الْهَوْلِدِ أَنْ يَكْتُبَ
الضَّرُورَةَ إِذْ هُوَ فِي سَعَةٍ مِنْهَا بِالْعُدُولِ عَنْهَا إِلَى الطَّرِيقَةِ
الْمُثَلَّى مِنَ الْمَلَكَةِ . وَيَجْتَنِبُ أَيْضًا الْمُعَقَّدَ مِنَ التَّرَاكِيِبِ
جَهْدَهُ وَإِنَّهَا يَقْصِدُ مِنْهَا مَا كَانَتْ مَعَانِيهِ تُسَابِقُ الْفَازَةَ إِلَى
الْفَهْمِ وَكَذَلِكَ كَثْرَةُ الْمَعَانِي فِي الْبَيْتِ الْوَاحِدِ فَإِنْ فِيهَا نَوْعٌ
تَعْقِيدٌ عَلَى الْفَهْمِ وَإِنَّهَا الْخُتَارُ مِنْ ذَلِكَ مَا كَانَتْ الْفَازَةُ
طَبَقًا عَلَى مَعَانِيهِ أَوْ أَوْفَى فَإِنْ كَانَتْ الْمَعَانِي كَثِيرَةً كَانَ حَشْوًا
وَأَسْتَعِيلُ الذِّهْنَ بِالْغَوْصِ عَلَيْهَا فَتَبْعَ الذَّوْقِ عَنْ اسْتِيفَاءِ
مُذْرَكِهِ مِنَ الْبَلَاغَةِ . وَلَا يَكُونُ الشِّعْرُ سَهْلًا إِلَّا إِذَا كَانَتْ
مَعَانِيهِ تُسَابِقُ الْفَازَةَ إِلَى الذِّهْنِ وَلِهَذَا كَانَ شَيْوْخُنَا رَحِمَهُمُ
اللَّهُ يُعَيِّبُونَ شِعْرَ أَبِي بَكْرٍ بْنِ خَفَاجَةَ شَاعِرِ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ
لِكَثْرَةِ مَعَانِيهِ وَأَزْدِحَامِهَا فِي الْبَيْتِ الْوَاحِدِ كَمَا كَانُوا يُعَيِّبُونَ
شِعْرَ الْمُتَنَبِّيِّ وَالْمَعَرِّيِّ بِعَدَمِ الشَّجِّ عَلَى الْأَسَالِيبِ الْعَرَبِيَّةِ

كَمَا مَرَّ فَكَانَ شِعْرُهُمَا كَلَامًا مَنظُومًا نَازِلًا عَن طَبَقَةِ الشَّعْرِ
 وَاتِّحَاكِمُ بِذَلِكَ هُوَ الذَّوْقُ. وَلَيُجَنَّبِ الشَّاعِرُ أَيْضًا الْحُوشِيَّ
 مِنَ الْأَلْفَاظِ وَالْمُقَصِّرِ وَكَذَلِكَ السُّوْقِيُّ الْمُبْتَدِلُ فَإِنَّهُ يَنْزِلُ
 بِالتَّكْلَامِ عَن طَبَقَةِ الْبَلَاغَةِ أَيْضًا فَيَصِيرُ مُبْتَدِلًا وَيَقْرُبُ مِنْ
 عَدَمِ الْإِفَادَةِ كَقَوْلِهِمُ النَّارُ حَارَّةٌ وَالسَّمَاءُ فَوْقَنَا وَبِقَدَارِ
 مَا تَقَرَّبُ مِنْ طَبَقَةِ عَدَمِ الْإِفَادَةِ يَبْعُدُ عَن رُتْبَةِ الْبَلَاغَةِ إِذْ
 هُمَا طَرَفَانِ. وَلِهَذَا كَانَ الشَّعْرُ فِي الرِّبَاطِيَّاتِ وَالنَّبَوِيَّاتِ
 قَلِيلَ الْإِجَادَةِ فِي الْغَالِبِ وَلَا يَحْدِفُهُ إِلَّا الْفُحُولُ لِأَنَّ مَعَانِيَهَا
 مُتَدَاوِلَةٌ بَيْنَ الْجَهْلِيِّينَ فَتَصِيرُ مُبْتَدِلَةٌ لِذَلِكَ. وَإِذَا تَعَذَّرَ
 الشَّعْرُ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ فَلْيُرَاضْهُ وَيُعَاوِدْهُ فَإِنَّ الْقَرِيبَةَ مِثْلُ
 الضَّرْعِ يَدِرُّ بِالْأَمْتَرَاءِ وَيَجِفُّ بِالْتَّرْكِ. وَبِالْجُهْلَةِ فَهَذِهِ
 الصَّنَاعَةُ وَتَعْلُمُهَا مُسْتَوْفَى فِي كِتَابِ الْعُمْدَةِ لِابْنِ رَشِيقٍ
 وَقَدْ ذَكَرْنَا مِنْهَا مَا حَضَرَنَا بِحَسَبِ الْجُهْدِ وَمَنْ أَرَادَ اسْتِيفَاءَ
 ذَلِكَ فَعَلَيْهِ بِذَلِكَ الْكِتَابِ فِيهِ الْبَغْيَةُ مِنْ ذَلِكَ وَهَذِهِ
 نَبْذَةٌ كَافِيَةٌ وَاللَّهُ الْمُبِينُ

(عن ابن خلدون)

قَالَ الْوَلِيدُ بْنُ عُبَيْدٍ الْبُحَيْرِيُّ كُنْتُ فِي حَدَاثَتِي أَرُومُ
 الشَّعْرَ وَكُنْتُ أَرْجُحُ فِيهِ إِلَى طَبْعِي وَلَمْ أَكُنْ أَقِفُ عَلَى
 تَسْهِيلِ مَا خَذَهُ وَوُجُوهُ أَقْضَايِهِ حَتَّى فَصَدْتُ أَبَا تَهَامٍ
 وَأَتَقَطَعْتُ فِيهِ إِلَيْهِ وَأَتَكَلَّمْتُ فِي تَعْرِيفِهِ عَلَيْهِ فَكَانَ أَوَّلُ مَا
 قَالَ لِي يَا أَبَا عِبَادَةَ تَخَيَّرَ الْأَوْقَاتِ وَأَنْتَ قَلِيلُ الْغُيُومِ صِفْرُ
 مِنَ الْغُيُومِ وَأَعْلَمُ أَنَّ الْعَادَةَ جَرَتْ فِي الْأَوْقَاتِ أَنْ يَقْصِدَ
 الْإِنْسَانُ لِتَأْلِيفِ شَيْءٍ أَوْ حِفْظِهِ فِي وَقْتِ السَّحْرِ وَذَلِكَ أَنَّ
 النَّفْسَ تَكُونُ قَدْ أَخَذَتْ حَظَّهَا مِنَ الرَّاحَةِ وَفَسَطَهَا مِنَ النَّوْمِ
 وَإِنْ أُرِدْتَ التَّشْيِيبَ فَأَجْعَلِ اللَّفْظَ رَقِيقًا وَالْمَعْنَى رَشِيقًا
 وَأَكْثِرْ فِيهِ مِنْ بَيَانِ الصَّبَابَةِ وَتَوَجَّعِ الْكَأَبَةِ وَفَلَقِ الْأَشْوَاقِ
 وَلَوْعَةِ الْفِرَاقِ فَإِذَا أَخَذْتَ فِي مَدِيجِ سَيِّدِ ذِي أَبَادٍ فَأَشْهَرِ
 مَنَافِيهَ وَأَظْهَرِ مَعَاسِيهَ وَأَبْنِ مَعَالِيهَ وَشَرَفِ مَقَامِهِ وَتَضِدِ
 الْبَعْلَانِي وَأَحْذِرِ الْعَجْهُولَ مِنْهَا وَإِيَّاكَ أَنْ تَشِينَ شِعْرَكَ
 بِالْأَلْفَاظِ الرَّدِيقَةِ وَكُنْ كَأَنَّكَ خِيَّاطٌ يَقْطَعُ الثِّيَابَ عَلَى
 مَقَادِيرِ الْأَجْسَادِ وَإِذَا عَارَضَكَ الضَّجْرُ فَأَرِحْ نَفْسَكَ وَلَا
 تَعْمَلْ شِعْرَكَ إِلَّا وَأَنْتَ فَارِغُ الْقَلْبِ وَأَجْعَلْ شَهْوَتَكَ لِقَوْلِ

الشعر الذريعة إلى حسن نظيره فإن الشهوة نعم المعين
 وجبلة الحال أن تغير شعرك بما سلفت من شعر الماضين
 فما استحسن العلماء فأقصده وما تركوه فأجنبه ترشد
 إن شاء الله. قال فأعملت نفسي في ما قال فوفقت على
 السياسة (من كتاب زهر الآداب)

الفصل السابع

في النصيحة والبلادة وفيه فستان

القسم الأول

في النصيحة

اعلم أن هذا باب متعذر على الواجب ومسلك متوعر على
 الناهج ولم يزل العلماء من قديم الوقت وحديثه يكتثرون
 القول فيه والبحث عنه ولم أجِدْ من ذلك ما يعول عليه إلا
 القليل. وغاية ما يقال في هذا الباب أن النصيحة هي
 الظهور والبيان في أصل الوضع اللغوي يقال أفصح

الصَّحِيحُ إِذَا ظَهَرَ ثُمَّ إِنَّهُمْ يَقْنُونَ عِنْدَ ذَلِكَ وَلَا يَكْشِفُونَ عَنِ
 السِّرِّ فِيهِ. وَبِهَذَا الْقَوْلِ لَا تُشَيَّبُ حَقِيقَةُ الْفَصَاحَةِ لِأَنَّهُ
 يُعْتَرَضُ عَلَيْهِ بِوُجُوهِ مِنَ الْأَعْتِرَاضَاتِ. أَحَدُهَا أَنَّهُ إِذَا لَمْ
 يَكُنِ اللَّفْظُ ظَاهِرًا بَيْنًا لَمْ يَكُنْ فَصِيحًا ثُمَّ إِذَا ظَهَرَ وَتَبَيَّنَ
 صَارَ فَصِيحًا. أَلْوَجْهُ الثَّانِي أَنَّهُ إِذَا كَانَ اللَّفْظُ الْفَصِيحُ هُوَ
 الظَّاهِرُ الْبَيِّنُ فَقَدْ صَارَ ذَلِكَ بِالنِّسْبِ وَالْإِضَافَاتِ إِلَى
 الْأَشْخَاصِ فَإِنَّ اللَّفْظَ قَدْ يَكُونُ ظَاهِرًا لَزَيْدٍ وَلَا يَكُونُ ظَاهِرًا
 لِعَبْرٍ وَهُوَ إِذَنْ فَصِيحٌ عِنْدَ هَذَا وَغَيْرُ فَصِيحٍ عِنْدَ هَذَا. وَلَيْسَ
 كَذَلِكَ بَلِ الْفَصِيحُ هُوَ فَصِيحٌ عِنْدَ الْجَمِيعِ لَا خِلَافَ فِيهِ
 بِحَالٍ مِنْ الْأَحْوَالِ لِأَنَّهُ إِذَا تَحَقَّقَ حَدُّ الْفَصَاحَةِ وَعُرِفَ
 مَا هِيَ لَمْ يَتَّقَ فِي اللَّفْظِ الَّذِي يَخْتَصُّ بِهِ خِلَافٌ. أَلْوَجْهُ
 الثَّلَاثُ أَنَّهُ إِذَا جِيَ بِلَفْظٍ فَصِيحٍ يَنْبُوعُهُ السَّمْعُ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ
 ظَاهِرٌ بَيْنٌ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فَصِيحًا وَلَيْسَ كَذَلِكَ لِأَنَّ الْفَصَاحَةَ
 وَصْفٌ حَسَنٌ لِلْفِظِ لَا وَصْفٌ قُبْحٌ. فَهَذِهِ الْأَعْتِرَاضَاتُ الثَّلَاثَةُ
 وَارِدَةٌ عَلَى قَوْلِ الْقَائِلِ إِنَّ اللَّفْظَ الْفَصِيحَ هُوَ الظَّاهِرُ الْبَيِّنُ
 مِنْ غَيْرِ تَفْصِيلٍ. وَلَكِنَّا وَقَفْتُ عَلَى أَقْوَالِ النَّاسِ فِي هَذَا

أَلْبَابِ مَلَكَتْنِي الْحَيَرَةُ فِيهَا وَلَمْ يَثْبُتْ عِنْدِي مِنْهَا مَا أُعَوِّلُ
 عَلَيْهِ وَلِكثْرَةِ مَلَابَسَتِي هَذَا الْفَنَّ وَمَعَارَكِي إِيَّاهُ انْكَشَفَ لِي
 السِّرُّ فِيهِ وَمَا وَضِئَتْ فِي كِتَابِي هَذَا وَأَحَقُّ الْقَوْلِ فِيهِ فَأَقُولُ
 إِنَّ الْكَلَامَ الْفَصِيحَ هُوَ الظَّاهِرُ الْبَيِّنُ وَأَعْنِي بِالظَّاهِرِ الْبَيِّنِ
 أَنْ تَكُونَ الْفَازَةُ مَهْمَةً لَا يَجُنَاجُ فِي فَهْمِهَا إِلَى اسْتِخْرَاجِ
 مِنْ كِتَابِ لُغَةٍ. وَإِنَّمَا كَانَتْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ لِأَنَّهَا تَكُونُ مَأْلُوفَةً
 الْإِسْتِعْمَالِ بَيْنَ أَرْبَابِ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ دَائِرَةً فِي كَلَامِهِمْ.
 وَإِنَّمَا كَانَتْ مَأْلُوفَةً الْإِسْتِعْمَالِ دَائِرَةً فِي الْكَلَامِ دُونَ
 غَيْرِهَا مِنْ الْأَلْفَازِ لِمَكَانِ حُسْنِهَا. وَذَلِكَ أَنَّ أَرْبَابَ النَّظْمِ
 وَالنَّثْرِ غَرِبُوا اللَّغَةَ بِأَعْيَارِ الْفَازِهَا وَسَبَرُوا وَقَسَّوْا
 فَأَخْتَارُوا الْحَسَنَ مِنَ الْأَلْفَازِ فَأَسْتَعْمَلُوهُ وَنَفَوْا الْفَصِيحَ مِنْهَا
 فَلَمْ يَسْتَعْمِلُوهُ فَحَسُنَ الْإِسْتِعْمَالُ سَبَبُ اسْتِعْمَالِهَا دُونَ غَيْرِهَا
 وَاسْتِعْمَالُهَا سَبَبُ ظُهورِهَا وَبَيَانِهَا. فَأَنْفَصِحُ إِذَنْ مِنَ الْأَلْفَازِ
 هُوَ الْحَسَنُ. فَإِنْ قِيلَ مِنْ أَيْ وَجْهِ عِلْمِ أَرْبَابِ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ
 الْحَسَنَ مِنَ الْأَلْفَازِ حَتَّى اسْتَعْمَلُوهُ وَعَلِمُوا الْفَصِيحَ مِنْهَا حَتَّى
 نَفَوْهُ وَلَمْ يَسْتَعْمِلُوهُ. قُلْتُ فِي الْجَوَابِ إِنَّ هَذَا مِنَ الْأُمُورِ

الْحَسُوسَةُ الَّتِي شَاهِدَهَا مِنْ نَفْسِهَا لِأَنَّ الْأَلْفَاظَ دَاخِلَةً فِي
 حَيْزِ الْأَصْوَاتِ فَالَّذِي يَسْتَلِذُّ السَّمْعُ مِنْهَا وَيَبِيلُ إِلَيْهِ هُوَ
 الْحَسَنُ وَالَّذِي يَكْرَهُهُ وَيَنْفِرُ عَنْهُ هُوَ الْقَبِيحُ. أَلَا تَرَى أَنَّ
 السَّمْعَ يَسْتَلِذُّ صَوْتَ الْبَلْبَلِ مِنَ الطَّيْرِ وَصَوْتَ الشَّجَرِ
 وَيَبِيلُ إِلَيْهَا وَيَكْرَهُ صَوْتَ الْغُرَابِ وَيَنْفِرُ عَنْهُ وَكَذَلِكَ
 يَكْرَهُ نَهيقَ الْحِمَارِ وَلَا يَجِدُ ذَلِكَ فِي صَهِيلِ الْفَرَسِ. وَالْأَلْفَاظُ
 جَارِيَةٌ هَذَا الْعَجْرَى فَإِنَّهُ لَا خِلَافَ فِي أَنَّ لَفْظَةَ الْهَزْنَةِ
 وَالذِّبَةِ حَسَنَةٌ يَسْتَلِذُّهَا السَّمْعُ وَأَنَّ لَفْظَةَ الْبُعَاقِ قَبِيحَةٌ
 يَكْرَهُهَا السَّمْعُ. وَهَذِهِ اللَّفْظَاتُ الثَّلَاثُ مِنْ صِفَةِ الْبَطْرِ وَهِيَ
 تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ وَمَعَ هَذَا فَإِنَّكَ تَرَى لَفْظَتِي الْهَزْنَةِ
 وَالذِّبَةِ وَمَا جَرَى مَجْرَاهُمَا مَا لَوْ فَنِي الْأَسْتِعْمَالِ وَتَرَى لَفْظَ
 الْبُعَاقِ وَمَا جَرَى مَجْرَاهُ مَتْرُوكًا لَا يَسْتَعْمَلُ وَإِنْ اسْتَعْمِلَ
 فَإِنَّهَا يَسْتَعْمِلُهُ جَاهِلٌ بِحَقِيقَةِ الْفَصَاحَةِ أَوْ مَنْ ذَوْقُهُ غَيْرُ
 ذَوْقِ سَلِيمٍ وَإِنْ كَانَ عَرَبِيًّا مُحْصًا مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأَقْدَمِينَ
 فَإِنَّ حَقِيقَةَ الشَّيْءِ إِذَا عَلِمَتْ وَجَبَ الْوُقُوفُ عِنْدَهَا وَلَمْ
 يُعْرِجْ عَلَى مَا خَرَجَ عَنْهَا

(عن المثل السائر)

الْقِسْمُ الثَّانِي

فِي الْبَلَاغَةِ

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ حَبِيبٍ الْبَصْرِيُّ
 الْمَاورِثِيُّ لَيْسَ يَصِحُّ اخْتِيَارُ الْكَلَامِ إِلَّا لِمَنْ أَخَذَ نَفْسَهُ
 بِالْبَلَاغَةِ وَكَلَّفَهَا لُزُومَ الْفَصَاحَةِ حَتَّى يَصِيرَ مُتَدَرِّجًا بِهَا
 مُعَانِدًا لَهَا فَلَا يَأْتِي بِكَلَامٍ مُسْتَكْرَهٍ اللَّفْظِ وَلَا مُخْتَلٍّ الْمَعْنَى
 لِأَنَّ الْبَلَاغَةَ لَيْسَتْ عَلَى مَعَانٍ مُفْرَدَةٍ وَلَا لِأَلْفَافِهَا غَايَةٌ
 وَإِنَّمَا الْبَلَاغَةُ تَكُونُ بِالْمَعَانِي الصَّحِيحَةِ مُسْتَوْدَعَةً فِي الْأَفَافِ
 فَصِيحَةٍ فَتَكُونُ فَصَاحَةً الْأَلْفَافِ مَعَ صِحَّةِ الْمَعَانِي هِيَ الْبَلَاغَةُ
 وَقَدْ قِيلَ لِلْيُونَانِيِّ مَا الْبَلَاغَةُ قَالَ اخْتِيَارُ الْكَلَامِ وَتَصْنِيعُ
 الْأَقْسَامِ. وَقِيلَ ذَلِكَ لِلرُّومِيِّ فَقَالَ حُسْنُ الْإِخْتِصَارِ عِنْدَ
 الْبَدِيَّةِ وَالْغَزَارَةِ يَوْمَ الْإِطَالَةِ. وَقِيلَ لِلْعَرَبِيِّ فَقَالَ مَا حَسَنُ
 إِيجَازِهِ وَقُلْ مَجَازُهُ. وَقِيلَ لِلْبَدَوِيِّ فَقَالَ مَا دُونَ السَّحْرِ
 وَفَوْقَ الشَّعْرِ يَنْتِ الْخَرْدَلُ وَبِحِطِّ الْجَنْدَلِ. وَقِيلَ لِلْحَضْرِيِّ
 فَقَالَ مَا كَثُرَ إِعْجَازُهُ وَتَنَاسَبَتْ صُدُورُهُ وَأَعْجَازُهُ. وَسَأَلَ
 التَّجَّاجُ ابْنَ الْفَرِيَّةِ عَنِ الْإِيجَازِ قَالَ أَنْ تَقُولَ فَلَا تُبْطِئَ

وَأَنْ تُصِيبَ فَلَا تُخْطِ. وَقَالَ الشَّاعِرُ

خَيْرُ الْكَلَامِ قَلِيلٌ عَلَى كَثِيرٍ دَلِيلٌ

وَالْعِيُّ مَعْنَى قَصِيرٌ بِجَوْرِهِ لَفْظٌ طَوِيلٌ

وَفِي الْكَلَامِ فُصُولٌ وَفِيهِ قَالٌ وَقِيلٌ

وَأَمَّا صِحَّةُ الْمَعَانِي فَتَكُونُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ أَحَدُهَا إِيضَاحُ

تَفْسِيرِهَا حَتَّى لَا تَكُونَ مُشْكِلَةً وَلَا مُجْهَلَةً. وَالثَّانِي أَسْنِيفَاءُ

تَفْسِيرِهَا حَتَّى لَا يَدْخُلَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا وَلَا يَخْرُجَ عَنْهَا مَا

هُوَ فِيهَا. وَالثَّالِثُ صِحَّةُ مُقَابَلَاتِهَا وَالْمُقَابَلَةُ تَكُونُ مِنْ وَجْهَيْنِ

أَحَدُهَا مُقَابَلَةُ الْمَعْنَى بِهَا بِوُافِقَةٍ وَحَقِيقَةٍ هَذِهِ الْمُقَابَلَةُ لِأَنَّ

الْمَعَانِي تُصِيرُ مُتَشَاكِلَةً. وَالثَّانِي مُقَابَلَتُهُ بِهَا بِضَادَةٍ وَهُوَ حَقِيقَةُ

الْمُقَابَلَةِ وَلَيْسَ لِلْمُقَابَلَةِ إِلَّا أَحَدُ هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ الْمُوَافَقَةُ

فِي الْأَثْنَاءِ وَالْبُضَادَةُ مَعَ الْأَخْيَافِ. فَأَمَّا فَصَاحَةُ

الْإِلْفَاطِ فَتَكُونُ بِثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ أَحَدُهَا مُجَانِبَةُ الْغَرِيبِ

الْوَحْشِيِّ حَتَّى لَا يَعْجَبُ سَمْعٌ وَلَا يَنْفِرَ مِنْهُ طَبْعٌ. وَالثَّانِي تَنَكُّبُ

الْلَفْظِ الْمُبْتَدَلِ وَالْعُدُولُ عَنِ الْكَلَامِ الْمُسْتَرْذَلِ حَتَّى لَا

يَسْتَسْقِطَهُ خَاصِيٌّ وَلَا يَبْزُوعَهُ فَهَمٌّ عَامِيٌّ كَمَا قَالَ الْمُجَاحِظُ

فِي كِتَابِ الْبَيَانِ. أَمَّا أَنَا فَلَمْ أَرِ قَوْمًا أَمِثَلَ طَرِيقَةَ فِي
 الْبَلَاغَةِ مِنَ الْكُتَّابِ. وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَدِ اتَّهَمُوا مِنْ الْأَلْفَاظِ
 مَا لَمْ يَكُنْ مُتَوَعِّرًا وَخَشِيًّا وَلَا سَافِطًا عَامِيًّا. وَالثَّالِثُ أَنْ
 يَكُونَ بَيْنَ الْأَلْفَاظِ وَمَعَانِيهَا مَنَاسِبَةٌ وَمُطَابَقَةٌ. أَمَّا الْمُطَابَقَةُ
 فَهِيَ أَنْ تَكُونَ الْأَلْفَاظُ كَالْقَوَالِبِ لِمَعَانِيهَا فَلَا تَزِيدُ عَلَيْهَا
 وَلَا تَقْصُصُ عَنْهَا. وَقَالَ بَشْرُ بْنُ الْمَعْتَمِرِ فِي وَصِيَّتِهِ فِي
 الْبَلَاغَةِ إِذَا لَمْ تَجِدِ اللَّفْظَةَ وَاقِعَةً مَوْقِعَهَا وَلَا صَائِرَةً إِلَى
 مُسْتَقَرِّهَا وَلَا حَالَةً فِي مَرْكَزِهَا بَلْ وَجَدْتَهَا قَلْبَةً فِي مَكَانِهَا
 نَافِرَةً عَنْ مَوْضِعِهَا فَلَا تُكْرِهْهَا عَلَى الْفَرَارِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا
 فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَتَعَاطَ قَرْضَ الشَّعْرِ الْمَوْزُونِ وَلَمْ تَتَكَلَّفِ
 اخْتِيَارَ الْمَشُورِ لَمْ يَعْيبَكَ بِتَرْكِ ذَلِكَ أَحَدٌ وَإِذَا أَنْتَ
 تَكَلَّفْتَهَا وَلَمْ تَكُنْ حَازِقًا فِيهَا عَابَكَ مَنْ أَنْتَ أَقْلُ عِيَا
 مِنْهُ وَأَزْرَى عَلَيْكَ مَنْ أَنْتَ فَوْقَهُ. وَأَمَّا الْمَنَاسِبَةُ فَهِيَ أَنْ
 يَكُونَ الْمَعْنَى يَلِيْقُ بِبَعْضِ الْأَلْفَاظِ إِمَّا لِعُرْفٍ مُسْتَعْمَلٍ أَوْ
 لِاتِّفَاقٍ مُسْتَحْسَنِ حَتَّى إِذَا ذَكَرْتَ نِلْكَ الْمَعْنَى بِغَيْرِ نِلْكَ
 الْأَلْفَاظِ كَانَتْ نَافِرَةً عَنْهَا وَإِنْ كَانَتْ أَفْصَحَ وَأَوْضَحَ لِاعْتِبَادِ

مَا سِوَاهَا . وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ لَا يَكُونُ الْبَلِيغُ بَلِيغًا حَتَّى
يَكُونَ مَعْنَى كَلَامِهِ أَسْبَقَ إِلَى فَهْمِكَ مِنْ لَفْظِهِ إِلَى سَمْعِكَ
(من كتاب ادب الدنيا والدين)

الفصل الثامن

في الْبَيَادِي وَالْإِفْتِاحَاتِ

إِعْلَمْ أَنَّ حَقِيقَةَ هَذَا النَّوعِ أَنْ يُجْعَلَ مَطْلَعُ الْكَلَامِ مِنَ
الشَّعْرِ أَوْ الرِّسَائِلِ دَالًّا عَلَى الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ مِنْ ذَلِكَ
الْكَلَامِ إِنْ كَانَ فَتَحًا فَتَحًا وَإِنْ كَانَ هَنَاءً فَهَنَاءً أَوْ كَانَ
عَزَاءً فَعَزَاءً وَكَذَلِكَ يَجْرِي الْحُكْمُ فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَانِي
وَفَائِدَتُهُ أَنْ يُعْرَفَ مِنْ مَبْدَأِ الْكَلَامِ مَا الْمُرَادُ بِهِ . وَحُكْمُ هَذَا
النَّوعِ وَالْقَاعِدَةُ الَّتِي يَتَنَبَّهُ عَلَيْهَا أَاسَاسُهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الشَّاعِرِ
إِذَا نَظَّمَ فَصِيدَةً أَنْ يَنْظُرَ فَإِنْ كَانَتْ مَدِيحًا صَرَفًا لَا يَخْتَصُّ
بِحَادِثَةٍ مِنَ الْحَوَادِثِ فَهُوَ مُخْبِرٌ بَيْنَ أَنْ يَفْتَحَهَا بِغَزَلٍ أَوْ لَا
يَفْتَحَهَا بِغَزَلٍ بَلْ يَرْتَجِلُ الْهَدِيحَ أَرْتَجَالًا مِنْ أَوَّلِهَا كَقَوْلِ الْفَائِلِ

إِنْ حَارَتْ أَلْبَابُ كَيْفَ تَقُولُ
 فِي ذَا الْهَمَامِ فَعُذْرُهَا مَقْبُولُ
 سَاحِجُ بِنَفْضِكَ مَا دَحِيكَ فَمَا لَهُمْ
 أَبَدًا إِلَى مَا تَسْتَحِقُّ سَبِيلُ
 إِنْ كَانَ لَا يُرْضِيكَ إِلَّا مُحْسِنُ
 فَالْمُحْسِنُونَ إِذَنْ لَدَيْكَ قَلِيلُ
 فَإِنَّ هَذَا الشَّاعِرَ أَرْتَجَلَ الْهَدِيحَ مِنْ أَوَّلِ الْقَصِيدَةِ فَأَتَى بِهِ
 كَمَا تَرَى حَسَنًا لَا تَبًا. وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْقَصِيدُ فِي حَادِثَةٍ مِنْ
 الْحَوَادِثِ كَقَتْلِ مُقْتَلٍ أَوْ هَزِيمَةِ جَيْشٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا
 يَنْبَغِي أَنْ يَبْدَأَ فِيهِ بِغَزَلٍ وَإِنْ فَعَلَ ذَلِكَ دَلٌّ عَلَى ضَعْفِ
 قَرَبَةِ الشَّاعِرِ وَقُصُورِهِ عَنِ الْغَايَةِ أَوْ عَلَى جَهْلِهِ بِوَضْعِ
 الْكَلَامِ فِي مَوَاضِعِهِ. فَإِنْ قِيلَ إِنَّكَ قُلْتَ بِحُبٍّ عَلَى الشَّاعِرِ
 كَذَا وَكَذَا فَلِمَ ذَلِكَ قُلْتَ فِي الْجَوَابِ إِنَّ الْغَزَلَ رِفَةٌ
 مُحَضَّةٌ وَالْأَلْفَاظُ الَّتِي تُنْظَمُ فِي الْحَوَادِثِ الْمُبْشَارِ إِلَيْهَا
 مِنْ فَحْلِ الْكَلَامِ وَمَتِينِ الْقَوْلِ وَهِيَ ضِدُّ الْغَزَلِ. وَأَيْضًا
 فَإِنَّ الْأَسْمَاعَ تَكُونُ مُتَطَلِّعَةً إِلَى مَا يُقَالُ فِي نِلِكَ الْحَوَادِثِ

وَالْإِبْدَاءُ بِالنَّحْوِ فِي ذِكْرِهَا لَا الْإِبْدَاءُ بِالْفَرْقِ إِذِ
 اللَّهُمَّ وَاجِبُ التَّقْدِيمِ

وَمِنْ أَدَبِ هَذَا النَّوعِ أَنْ لَا يَذْكُرَ الشَّاعِرُ فِي افْتِتَاحِ
 قَصِيدَةٍ بِالْهَدِيجِ مَا يُطَيِّرُ مِنْهُ. وَهَذَا يَرْجِعُ إِلَى أَدَبِ النَّفْسِ
 لَا إِلَى أَدَبِ الدَّرْسِ فَيَنْبَغِي أَنْ يُحْتَرَزَ مِنْهُ فِي مَوَاضِعِهِ
 كَوَصْفِ الدِّيَارِ بِالدُّثُورِ وَالْمَنَازِلِ بِالْعَفَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ
 مِنْ تَشْتِ الْأَلْفِ وَذَمِّ الزَّمَانِ وَلَا سِيَّهَا إِذَا كَانَ فِي
 النِّهَائِيِّ فَإِنَّهُ يَكُونُ أَشَدَّ قُبْحًا وَإِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ ذَلِكَ فِي
 الْخُطُوبِ النَّازِلَةِ وَالنَّوَائِبِ الْحَادِثَةِ وَمَتَى كَانَ الْكَلَامُ فِي
 الْهَدِيجِ مُفْتَتِحًا بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ تَطَيَّرَ مِنْهُ سَامِعُهُ

وَإِنَّمَا خُصَّتِ الْإِبْدَاءَاتُ بِالْإِخْبَارِ لِأَنَّهَا أَوَّلُ مَا
 يَطْرُقُ السَّمْعَ مِنَ الْكَلَامِ فَإِذَا كَانَ الْإِبْدَاءُ لَا تَقًا بِالْمَعْنَى
 الْوَارِدِ بَعْدَهُ تَوَفَّرَتِ الدَّوَاعِي عَلَى اسْتِمَاعِهِ. وَمِنْ قَبِيحِ
 الْإِبْدَاءَاتِ قَوْلُ ذِي الرُّمَّةِ مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا أَلْبَاءُ
 يَنْسَكِبُ لِأَنَّ مَقَابِلَةَ الْهَدُوحِ بِهَذَا الْخِطَابِ لَا خَفَاءَ بِقُبْحِهِ
 وَكَرَاهَتِهِ. وَمِثْلُهُ قَوْلُ أَبِي تَهَامٍ تَجْرِغُ أَسَى فَدَأْفَرُ الْأَجْرُغِ

الْفَرْدُ . وَإِنَّمَا أَلْفَى أَبَا تَهَامٍ فِي مِثْلِ هَذَا الْهَكَرُ وَهُوَ تَبَعُهُ
 لِلتَّجْنِيسِ بَيْنَ تَجَرُّعٍ وَالْأَجْرَعِ . وَكَذَلِكَ اسْتَفْجَحَ قَوْلُ
 الْبَحْتَرِيِّ قُوَادٌ مَلَأَهُ الْحُزْنُ حَتَّى تَصَدَّعَا . فَإِنْ أَبْدَاءَ
 الْمَدِجِ بِمِثْلِ هَذَا طِيرَةٍ يَبُوءُ عَنْهَا السَّمْعُ وَهُوَ أَجْدَرُ بِأَنْ
 يَكُونَ أَبْدَاءَ مَرْتَبَةٍ لَا مَدِجٍ . وَمَا أَعْلَمُ كَيْفَ يَخْفَى هَذَا عَلَى
 مِثْلِ الْبَحْتَرِيِّ وَهُوَ مِنْ مُفْلِي الشُّعْرَاءِ . وَحَكِي أَنَّهُ لَهَا فَرَعٌ
 الْمُعْتَصِمُ مِنْ بِنَاءِ فَصْرِهِ بِالْهَيْدَانِ جَلَسَ فِيهِ وَجَمَعَ
 أَهْلَهُ وَأَصْحَابَهُ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا فِي زِيَّتِهِمْ فَهَا رَأَى
 النَّاسُ أَحْسَنَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ فَأَسْنَأَذَنَ إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ
 الْمَوْصِلِيُّ فِي الْإِنْشَادِ فَأَذِنَ لَهُ فَأَنشَدَ شِعْرًا حَسَنًا أَجَادَ فِيهِ
 إِلَّا أَنَّهُ اسْتَفْتَحَهُ بِذِكْرِ الدِّيَارِ وَعَفَاءِهَا فَقَالَ

يَا دَارُ غَيْرِكَ أَلْبِي وَمَحَاكِ

يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي أَهْلَاكَ .

فَطَبَّرَ الْمُعْتَصِمُ بِذَلِكَ وَتَغَامَزَ النَّاسُ عَلَى إِسْحَقَ كَيْفَ
 ذَهَبَ عَلَيْهِ مِثْلُ ذَلِكَ مَعَ مَعْرِفَتِهِ وَعِلْمِهِ وَطُولِ خِدْمَتِهِ
 لِلْمُلُوكِ . فَإِذَا أَرَادَ الشَّاعِرُ أَنْ يَذْكُرَ دَارًا فِي مَدِيحِهِ فَلْيَذْكُرْ

كَمَا ذَكَرَ أَشْجَعُ السُّلَيْمِيُّ حَيْثُ قَالَ
 فَصَّرَ عَلَيْهِ نَحِيَّةً وَسَلَامٌ خَلَعَتْ عَلَيْهِ جَبَالَهَا الْيَوْمَ
 وَمَا أَجْدَرُ هَذَا الْبَيْتَ بِمُسْتَفْعٍ شِعْرِ اسْتَحَقَّ بِنِ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي
 أَنْشَدَهُ لِلْمُعْتَصِمِ فَإِنَّهُ لَوْ ذَكَرَ هَذَا أَوْ جَرَى مَجْرَاهُ لَكَانَ
 حَسَنًا لَا تَبْهًا. وَسُئِلَ بَعْضُهُمْ عَنْ أَحَدِ الشُّعْرَاءِ فَقَالَ مَنْ
 أَجَادَ الْإِبْدَاءَ وَالْمَطْلَعِ. أَلَا تَرَى إِلَى فَصِيدَةِ أَبِي نُوَّاسٍ
 الَّتِي أَوَّلَهَا

يَا دَارُ مَا فَعَلْتَ بِكَ الْيَوْمَ لَمْ يَبْقَ فِيكَ بَشَاشَةٌ تَسْتَامُ
 فَإِنَّهَا مِنْ أَشْرَفِ شِعْرِهِ وَأَعْلَاهُ مَنْزِلَةٌ وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ مُسْتَكْرَهَةٌ
 الْإِبْدَاءَ لِأَنَّهَا فِي مَدْحِ الْخَلِيفَةِ الْأَمِينِ وَافْتِخَاحِ الْمَدِيحِ
 بِذِكْرِ الدِّيَارِ وَدُثُورِهَا مِمَّا يَطِيرُ مِنْهُ وَلَا سِيَّهَا فِي مُشَافَهَةِ
 الْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ وَلِهَذَا يُنْتَارُ فِي ذِكْرِ الْأَمَاكِينِ وَالْمَنَازِلِ
 مَا رَقَّ لَفْظُهُ وَحَسُنَ النُّطْقُ بِهِ كَالْعَذِيبِ وَالْغَوِيرِ وَرَامَةً
 وَبَارِقٍ وَالْعَفِيقِ وَأَشْبَاهَ ذَلِكَ

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَرْطِ الْإِبْدَاءِ أَنْ لَا يَكُونَ مِمَّا
 يَطِيرُ مِنْهُ فَقَطُّ فَإِنَّ مِنَ الْإِبْدَاءِ مَا يُسْتَفْعَى وَإِنْ لَمْ
 يَطِيرْ مِنْهُ كَقَوْلِ أَبِي تَهَامٍ فَذَكَ أَثَبَّ أَرَبَيْتَ فِي الْغُلُوءِ

وَكَقُولِهِ قَتِي جَحَائِي لَسْتُ طَوَّعَ مُؤَنِّي وَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ
 الْمُتَنَبِّيِّ أَقْلُ فَعَالِي بَلَهْ أَكْثَرُهُ مَجْدُ. وَالْعَجَبُ أَنَّ هَذَيْنِ
 الشَّاعِرَيْنِ الْمُفْلِقَيْنِ يَتَدَثَّانِ بِمِثْلِ ذَلِكَ وَلَهُمَا مِنَ الْإِبْدَاءَاتِ
 الْحَسَنَةِ مَا أَذْكُرُهُ. أَمَّا أَبُو تَهَامٍ فَإِنَّهُ أَفْتَحَ فَصِيدَتَهُ الَّتِي مَدَحَ
 بِهَا الْمُعْتَصِمَ عِنْدَ فَتْحِهِ مَدِينَةَ عَمُورِيَّةَ فَقَالَ

السِّيفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ
 فِي حَدِّهِ التَّحْدُ بَيْنَ التَّجْدِ وَاللَّعِبِ
 بِيضُ الصَّفَاحِ لَا سُودُ الصَّحَائِفِ فِي

مُتَوَنِّهِنَّ جِلَاءُ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ
 فَلَمَّا فَتَحَتْ بَنَى أَبُو تَهَامٍ مَطْلَعَ فَصِيدَتِهِ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى
 وَجَعَلَ السِّيفَ أَصْدَقَ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي خَبَّرَتْ بِامْتِنَاعِ
 الْبَلَدِ وَأَعْنِصَامِهَا. وَقَوْلُهُ فِي أَوَّلِ مَرثِيَةِ
 أَصَمِّ بِكَ النَّاعِي وَإِنْ كَانَ أَسْبَعَا
 وَأَصْحَجَ مَعْنَى التَّجُودِ بِعَدِّكَ بَلَقَعَا .

وَأَمَّا أَبُو الطَّيِّبِ فَإِنَّهُ أَكْثَرَ مِنَ الْإِبْدَاءَاتِ الْحَسَنَةِ فِي
 شِعْرِهِ كَقَوْلِهِ فِي فَصِيدَةِ يَهْدُحُ بِهَا كَافُورًا وَكَأَنَّ قَدْ جَرَتْ
 بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ سَيِّدِهِ تَرْغَةً فَبَدَأَ فَصِيدَتَهُ بِذِكْرِ الْغَرَضِ

الْمَقْصُودُ فَقَالَ

حَسَمَ الصَّلَحُ مَا أَشْنَهَتْهُ الْأَعَادِي

وَأَذَاعَتْهُ السُّنُ الْخُسَادِ

وَهَذَا مِنْ بَدِيعِ الْإِبْدَاءِ وَنَادِرِهِ وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُهُ فِي

سَيْفِ الدَّوْلَةِ وَكَانَ ابْنُ الشُّشْتِيقِ حَلَفَ لَيْلَيْتُهُ كِفَاحًا

فَلَهَا النَّقْبَا لَمْ يُطَقْ ذَلِكَ وَوَلَّى هَارِبًا فَأَفْتَحَ أَبُو الطَّيِّبِ

قَصِيدَتَهُ بِفَحْوَى الْأَمْرِ فَقَالَ

عُتِيَ الْبَيِّنِ عَلَى عُتِي الْوَعَى نَدَمُ

مَاذَا يَزِيدُكَ فِي إِقْدَامِكَ الْقَسَمُ

وَفِي الْبَيِّنِ عَلَى مَا أَنْتَ أَوَاعِدُهُ

مَا دَلَّ أَنَّكَ فِي الْبِعَادِ مَتَهُمُ

وَمِنْ الْبَدِيعِ النَّادِرِ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُهُ مُتَغَزِلًا فِي مَطْلَعِ

قَصِيدَتِهِ الْقَافِيَةِ وَهِيَ

أُتْرَاهَا لِكَثْرَةِ الْعُشَّاقِ نَحْسَبُ الدَّمْعَ خِلْقَةً فِي الْهَاقِ

وَهَذَا الْقَدَرُ مِنَ الْأَمْثَلِ كَافٍ لِلْمُنْعَلَمِ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ

(انتهى ملخصاً ببعض تصرف عن المثل السائر)

الفصل التاسع

في التلخيص والإقتضاب

اعلم أن التلخيص هو أن يأخذ مؤلف الكلام في معنى
 من المعاني فبيناً هو فيه إذ أخذ في معنى آخر غيره
 وجعل الأول سبباً إليه فيكون بعضه أخذاً برفق بـ بعض
 من غير أن يقطع كلامه ويستأنف كلاماً آخر بل يكون
 جميع كلامه كأنها أفرغ إفراراً وذلك مما يدل على
 حنق الشاعر وقوة تصرفه من أجل أن نطاق الكلام
 يضيق عليه ويكون متبعاً للوزن والقافية فلا توانيه
 الألفاظ على حسب إرادته وأما الناثر فإنه مطلق العنان
 ينهي حيث شاء فلذلك يشق التلخيص على الشاعر أكثر
 مما يشق على الناثر .

وأما الإقتضاب فإنه ضد التلخيص وذلك أن يقطع
 الشاعر كلامه الذي هو فيه ويستأنف كلاماً آخر غيره من
 مدح أو هجاء أو غير ذلك ولا يكون للثاني علاقة بالأول
 وهو مذهب العرب ومن يليهم من المخضرمين . وأما

الْعَدُّونَ فَإِنَّهُمْ تَصَرَّفُوا فِي التَّخْلِصِ فَأَبْدَعُوا وَأَظْهَرُوا مِنْهُ

كُلَّ غَرِيبَةٍ فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي تَهَامٍ

يَقُولُ فِي قَوْمِ صَحْبِي وَقَدْ أَخَذَتْ

مِنَا السَّرَى وَخَطَى الْمَهْرِيَّةَ الْقُودِ

أَمَطَّعَ الشَّهْسِ تَبَغَّى أَنْ تَوْمَ بِنَا

فَقُلْتُ كَلَّا وَلَكِنْ مَطَّعَ الْحُودِ

وَقَوْلُهُ

غِيْدَاءَ جَادَ وَلِيَّ الْحُسْنِ سُنَّتَهَا

فَصَاغَهَا بِدَيْهِ رَوْضَةً أَنفَا

يُضْحِي الْعَدُولُ عَلَى نَائِبِيهِ كَلِفَا

بِعُذْرِ مَنْ كَانَ مَشْغُوفًا بِهَا كَلِفَا

وَدَّعَ فُؤَادَكَ تَوْدِيعَ الْفِرَاقِ فَمَا

أَرَاهُ مِنْ سَفَرِ التَّوْدِيعِ مُنْصَرِفَا

بِحَاوِلِ الشَّوْقِ طَوْرًا نَمَّ بِجَذْبِهِ

جِهَادُهُ لِلْفَوَافِي فِي أَبِي دَلَفَا

وَمَا جَاءَ مِنَ التَّخْلِصَاتِ الْحَسَنَةِ قَوْلُ الْهَيْتِيِّ فِي قَصِيدَتِهِ

الدَّالِيَةِ

خَلِيلِي إِنِّي لَا أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ
فَلَمْ مِنْهُمْ الدَّعْوَى وَمِنِّي الْقَصَائِدُ
فَلَا تَعْجَبَا إِنَّ السُّيُوفَ كَثِيرَةٌ

وَلَكِنْ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ وَاحِدٌ

وَهَذَا هُوَ الْكَلَامُ الْآخِذُ بَعْضُهُ بِرِقَابِ بَعْضٍ أَلَا تَرَى إِلَى
الْخُرُوجِ إِلَى مَدْحِ الْمَهْدُوحِ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ كَأَنَّهُ أَفْرَغَ
فِي قَالِبٍ وَاحِدٍ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ أَيْضًا وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ مَا
أَنَى بِهِ مِنَ التَّخْلِصَاتِ وَهُوَ فِي قَصِيدَتِهِ الثَّانِيَةِ

وَمَطَالِبٍ فِيهَا الْهَلَاكُ أَتَيْتَهَا نَبَتْ الْجَنَانِ كَأَنِّي لَمْ أَتَيْتَهَا
وَمَقَانِبٍ بِمَقَانِبٍ غَادَرْتَهَا أَقْوَاتٌ وَخَشِ كُنْ مِنْ أَقْوَاتِهَا
أَقْبَلْتُهَا غُرَّرَ الْحَيَادِ كَأَنَّمَا أَيْدِي بَنِي عِمْرَانَ فِي جَبَاهِهَا
الْثَّانِيْنَ فُرُوسَةٌ كَجُلُودِهَا فِي ظَهْرِهَا وَالطَّعْنُ فِي لَبَائِهَا
فَكَأَنَّمَا تُجَبُّ فَيَأْمَا تَحْنُهُمْ وَكَأَنَّهُمْ وَلِدُوا عَلَى صَهَوَاتِهَا
تِلْكَ النَّفُوسُ الْغَالِبَاتُ عَلَى الْعُلَى وَالْعَبْدُ يَغْلِبُهَا عَلَى شَهَوَاتِهَا
سُقِيتْ مَنَابِتُهَا الَّتِي سَقَّتِ الْوَرَى بِيَدِي أَبِي أَيُّوبَ خَيْرَ نَبَاتِهَا
فَانْظُرْ إِلَى هَذَيْنِ التَّخْلِصَيْنِ الْبَدِيعَيْنِ فَالْأَوَّلُ خَرَجَ بِهِ
إِلَى مَدْحِ قَوْمِ الْمَهْدُوحِ وَالثَّانِي خَرَجَ بِهِ إِلَى نَفْسِ

الْمَسْنُوحِ وَكَلَامَهَا قَدْ أَغْرَبَ فِيهِ كُلُّ الْإِغْرَابِ . وَعَلَى هَذَا
جَاءَ قَوْلُهُ

إِذَا صَلَّيْتُ لَمْ أَتْرُكْ مَصَالًا لِفَانِكَ

وَإِنْ قُلْتُ لَمْ أَتْرُكْ مَقَالًا لِعَالِمِ

وَالَا فَخَاتَنِي الْقَوَافِي وَعَافِي

عَنِ ابْنِ عَمِيدٍ اللَّهُ ضَعُفُ الْعَزَائِمِ

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ يَقْصِدُ الشَّاعِرُ التَّخْلُصَ فَيَأْتِي بِهِ قَبِيحًا

كَمَا فَعَلَ فَقَالَ عِنْدَ الْخُرُوجِ مِنَ الْغَزْلِ إِلَى الْهَدِجِ

غَدَا بِكَ كُلُّ خَلْوٍ مُسْتَهَامًا وَأَصْبَحَ كُلُّ مَسْتَوِرٍ خَلِيعًا

أُحْبِكَ أَوْ يَقُولُوا جَرَّ نَهْلٍ ثَبِيرَ أَوْ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ رِيْعًا

وَهَذَا تَخْلُصٌ كَمَا تَرَاهُ بَارِدٌ لَيْسَ عَلَيْهِ مِنْ مَسْحَةِ الْجَهَالِ

شَيْءٌ وَهَذَا يَكُونُ الْإِفْتِضَابُ أَحْسَنَ مِنَ التَّخْلُصِ . فَيَنْبَغِي

لِسَائِلِكَ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَا يَصُوغُهُ فَإِنْ أَنَاهُ

التَّخْلُصُ حَسَنًا كَمَا يَنْبَغِي وَإِلَّا فَلْيَدَعُهُ وَلَا يَسْتَكْرِهْهُ حَتَّى

يَكُونَ مِثْلَ هَذَا كَمَا فَعَلَ الْمُسَنِّيُّ

وَقَدْ اسْتَعْمَلَ ذَلِكَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي

أَوَّلَهَا أَحْيَا وَأَيْسَرُ مَا فَاسَيْتُ مَا قَتَلَا فَقَالَ

عَلَّ الْأَمِيرَ يَرَى ذُلِّي فَيَشْفَعُ لِي
 إِلَى إِلَهِ تَرَكَتَنِي فِي الْهَوَى مَثَلًا
 وَالْإِضْرَابُ عَنْ مِثْلِ هَذَا التَّخْلِصِ خَيْرٌ مِنْ ذِكْرِهِ وَمَا الْقَاءُ
 فِي هَذِهِ الْهَوَى إِلَّا أَبُو نُؤَاسٍ فَإِنَّهُ قَالَ
 سَأَشْكُو إِلَى الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ
 هَوَاكَ لَعَلَّ الْفَضْلَ يَجْمَعُ بَيْنَنَا
 وَلِهَذَا نَظَائِرُ وَأَشْبَاهُ فَلْيَخَيَّرِ النَّاضِجُ
 وَالْإِقْتِصَابُ الْوَارِدُ فِي الشِّعْرِ كَثِيرٌ لَا يُحْصَى وَالْتَّخْلِصُ
 بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ قَطْرَةٌ مِنْ بَحْرِ وَلَا يَكَادُ يُوْجَدُ التَّخْلِصُ فِي شِعْرِ
 الشَّاعِرِ الْمُجِيدِ إِهْ قَلِيلًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمُقْتَضَبِ مِنْ شِعْرِهِ
 فَهِنَّ الْإِقْتِصَابُ قَوْلُ أَبِي نُؤَاسٍ فِي قَصِيدَتِهِ النُّونِيَّةِ الَّتِي
 أَوَّلُهَا يَا كَثِيرَ النُّوحِ فِي الدِّمَنِ وَهَذِهِ الْقَصِيدَةُ هِيَ عَيْنُ
 شِعْرِهِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكْمِلْ حُسْنَهَا بِالتَّخْلِصِ مِنَ الْغَزْلِ إِلَى
 الْمَدِيحِ بَلْ أَقْتَضَبَهُ أَقْتِصَابًا فَبَيْنَا هُوَ يَصِفُ الْخَمْرَ وَيَقُولُ
 فَاسْتَفْنِي كَأَسَا عَلَى عَذَلٍ كَرِهْتَ مَسْبُوعَهُ أَذْنِي
 مِنْ كَهَيْتِ اللَّوْنِ صَافِيَةٍ خَيْرٌ مَا سَلَسَلْتَ فِي بَدَنِي
 مَا اسْتَفَرَّتْ فِي فُؤَادِي فَتَى فَدَرَى مَا لَوْعَةُ الْحَزَنِ

حَتَّى قَالَ

تَضَحَّكَ الدُّنْيَا إِلَى مَلِكٍ قَامَ بِالْآثَارِ وَالسُّنَنِ
 سَنَّ لِلنَّاسِ النَّدَى فَتَدَوَّاهَا فَكَأَنَّ الْبُخْلَ لَمْ يَكُنْ
 فَأَكْثَرَ مَدَاحِ أَبِي نُوَّاسٍ مُقْتَضِبَةً هَكَذَا وَمِنْ هَذَا الْبَابِ
 قَوْلُ الْبُخْتَرِيِّ فِي قَصِيدَتِهِ الشَّهْرُورَةِ بِالْحُجُوتِ الَّتِي مَدَحَ
 بِهَا الْفَتْحَ بْنَ خَاقَانَ وَذَكَرَ لِقَاءَهُ الْأَسَدَ وَقَتْلَهُ إِيَّاهُ وَأَوَّلُهَا
 أَجْدَكَ مَا يَنْفَكُ يَسْرِي لِيَزِينَا وَهِيَ مِنْ أُمِّهَاتِ شِعْرِهِ وَمَعَ
 ذَلِكَ لَمْ يُوَفَّقْ فِيهَا لِلتَّخْلِصِ مِنَ الْغَزْلِ إِلَى الْهَدِيحِ فَإِنَّهُ
 يَبْنَاهَا هُوَ فِي تَغَزُّلِهِ وَهُوَ يَقُولُ

عَهْدُكَ إِنَّمَا مَنِيَتْ مَنِيَتْ مَوْعِدًا
 جَهَامًا وَإِنْ أَبْرَفْتَ أَبْرَفْتَ خُلْبًا
 وَكُنْتُ أَرَى أَنَّ الصُّدُودَ الَّذِي مَضَى
 دَلَالٌ فَمَا إِنْ كَانَ إِلَّا تَجَنُّبًا
 فَوَا أَسْفَا حَسَامَ أَسْأَلُ مَا نَعَا
 وَأَمِنْ خَوَانَا وَأَعْنِبُ مُذْنِبًا
 حَتَّى قَالَ فِي أَثَرِ ذَلِكَ

أَقُولُ لِرَكَبٍ مُّعْتَفِينَ تَدْرَعُوا
عَلَى عَجَلٍ فِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ غَيْبًا
رِدُوا نَائِلَ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ إِنَّهُ

أَعْمَ نَدَى فَيْكُرٍ وَابْسَرُ مَطْلَبًا
فَخَرَجَ إِلَى الْهَدِيجِ بِغَيْرِ وَصْلَةٍ وَلَا سَبَبٍ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي
فَصِيدَتِهِ الشَّهْرَةِ بِأَنْجُودَةٍ الَّتِي مَدَحَ بِهَا الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ
أَيْضًا وَأَوَّلَهَا مَتَى لَاحَ بَرَقَ أَوْ بَدَا طَلَّلَ قَفَرٌ فَبَيْنَا هُوَ فِي
غَزَاهَا حَتَّى قَالَ

لَعَبْرُكَ مَا الدُّنْيَا بِنَاقِصَةٍ أَمْجَدَى
إِذَا بَقِيَ الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ وَالْقَطْرُ
فَخَرَجَ إِلَى الْهَدِيجِ مُقْتَضِبًا لَا مُتَعَلِّقًا بِهِ . وَأَمَّا هَذَا فِي
شِعْرِهِ كَثِيرٌ

وَالْتَخَلُّصُ غَيْرُ مُمَكِّنٍ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ وَهُوَ مِنْ
مُسْتَصْعَبَاتِ عِلْمِ الْبَيَانِ فَلْيَتَدَبَّرِ الشَّاعِرُ وَبِهِذَا الْقَدْرِ مِنَ
الْأَمْثَلَةِ كِفَايَةٌ لِلطَّالِبِ

(انتهى ملخصاً عن المثل السائر)

الفصل العاشر

في الختام

هذا النوع ينبغي للشاعر والنائر أن يتأتما فيه غابة
التأني ويجودا فيه ما استطاعا لأنه آخر ما ينتهي إلى السمع
ويتردد صده في الأذن ويعلق بجواشي الذكر فهو كمنقطع
الشراب يكون آخر ما يهر بالفم ويعرض على الذوق
فيشعر منه بما لا يشعر من سواه حتى لو كان في الشراب
بعض مرارة وكان حلو الشها له طيب المنزعة ستر هذا
الحلو تلك المرارة وكان هو الباقي وهي الزاهية ولذلك
ينبغي أن يكون الختام مبرزاً عن سائر الكلام قبله ينكته
لطيفة أو أسلوب رشيق أو معنى بليغ ويختار له من اللفظ
الرفيق الحاشية الخفيف التحليل على السمع السهل الورد
على الطبع ويتجافى به عن الإسهاب والتعقيد والتقل وغير
ذلك مما تنبوعه الأذن وتثقل مؤوته على الذكر فتذهب
طلاوته وتضيع به محاسن ما قبله لأن كل نال مما سبقه
يحوثر ما تلاه فإن لم يكن في الآخر ما يخلف تلك
المحاسن كلها ذهبت بأسرها طلقاً ومتى جود الشاعر أو

النَّائِرُ فِي آخِرِ كَلَامِهِ كَانَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى سَعَةِ صَدْرِهِ وَقُوَّةِ
ضَرَبَتِهِ وَأَنَّهُ لَمْ يُسْرِعْ إِلَيْهِ الضَّجْرُ وَلَمْ يَسْتَوِلْ عَلَيْهِ الْحَصَرُ
وَلَمْ يَنْتَزِفْ مَادَّةُ الْإِنْفَاقِ وَيَكُونَ مَثَلُهُ مَثَلُ الْفَرَسِ الْجَوَادِ
كُلَّمَا ذَهَبَ مِنْهُ جَرِيٌّ نَشِطَ لِغَيْرِهِ وَكَانَ فِي آخِرِ شَوَاطِئِهِ
أَفْوَى مِنْهُ فِي أَوَّلِهِ

وَحُكْمُ الْخِتَامِ أَنْ يَكُونَ مُؤَدِّنًا بِتَهَامِ الْكَلَامِ بِحَيْثُ يَكُونُ
وَاقِعًا عَلَى آخِرِ الْمَعْنَى فَلَا يَتَّظَرُ السَّامِعُ شَيْئًا بَعْدَهُ وَأُظْهِرُ
مَا يَكُونُ هَذَا فِي الْقِصَصِ الْمَسْقُوفَةِ كَمَا فِي الْمَقَامَاتِ مَثَلًا
فَإِنَّ نِهَآيَةَ الْوَاقِعَةِ تَدُلُّ عَلَى خِتَامِ الْمَعْنَى فَيُخْتَمُ بِهِ اللَّفْظُ .
وَإِذَا لَمْ يَكُنِ الْمَعْنَى دَالًّا بِنَفْسِهِ عَلَى الْخِتَامِ حَسُنَ أَنْ يُدَلَّ
عَلَيْهِ بِكَلَامٍ آخَرَ يُذَكِّرُ عَلَى عَقِبِ الْفَرَاغِ مِنْ سِيَاقَةِ الْأَغْرَاضِ
السَّابِقَةِ وَحُكْمُهُ أَنْ يَكُونَ مُتَزَعًا مِمَّا سَبَقَهُ فَيَقْنَى بِهِ تَقْرِيرًا
لِشَيْءٍ مِنْ تِلْكَ الْأَغْرَاضِ أَوْ إِجْمَالًا لِتَفْصِيلِهَا مُوردًا عَلَى
وَجْهِ مِنْ وَجُوهِ الْبَلَاغَةِ أَوْ الْكَلَامِ الْجَمَاعِ أَوْ مُخْرِجًا مُخْرَجَ
الْمَثَلِ أَوِ الْحِكْمَةِ أَوْ مَا شَاكَلَ ذَلِكَ مِمَّا تَعْلُقُهُ الْخَوَاطِرُ
وَتَقْبِدُهُ الْأَذْهَانُ . وَهَذَا مِنْ أَوْعَرِ مَسَالِكِ هَذَا النُّوعِ
وَالظَّافِرُونَ بِقِلَائِدِهِ قَلِيلٌ لِعِزِّهِ وَامْتِنَاعِهِ وَكَثْرَتِ مَا يَجِبُ

فِي الشَّعْرِ أَوْ مَا يُجْنَى فِيهِ مَنَاحَهُ مِنْ مَقَامَاتِ الْبَلَاغَةِ وَالْجَزَالَةِ
وَذَلِكَ كَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ الْمَتَنِبِيِّ
وَمَا أَخْصَكَ فِي بَرْءٍ بِنَهْشَةٍ
إِذَا سَلَيْتَ فَكُلُّ النَّاسِ قَدْ سَلِمُوا

وَقَوْلِ أَبِي تَهَامٍ
أُولَى الْبَرِيَّةِ حَقًّا أَنْ تُرَاعِيَهُ
عِنْدَ السُّرُورِ الَّذِي آسَاكَ فِي الْحَزَنِ
إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا أَسْهَلُوا ذَكَرُوا

مَنْ كَانَ يَأْلَهُمْ فِي الْهَنْزِلِ الْخَشِينُ
وَقَوْلِ الزَّمَخْشَرِيِّ فِي خِيَامٍ إِحْدَى مَقَالَاتِهِ إِنَّ الطَّبِشَ
فِي الْكَلَامِ يُتَرْجِمُ عَنْ خِفَةِ الْأَحْلَامِ وَمَا دَخَلَ الرِّفْقُ شَيْئًا
إِلَّا زَانَهُ وَمَا زَانَ الْمُنْكَلِمَ إِلَّا الرِّزَانَهُ. وَقَوْلُهُ فِي خِيَامٍ
أُخْرَى وَمَنْ جَاءَ بِالْدَّعْوَةِ بِخَفِيهَا وَيَخَافُ الدَّعْوَةَ فِيهَا
فَيَأْتِيهَا مُحْكَمَةً ذَاتَ نِيرِينَ مُشْرِقَةً ذَاتَ نُورِينَ قَدْ أَخْرَجَتْهَا
الْخَفِيَّةُ مِنْ بَابِ الرِّثَاءِ وَأَدْخَلَتْهَا الْخَفِيَّةُ فِي بَابِ الْإِتْقَانِ
وَلَكِنَّ النَّاسَ عَنِ التَّحْقِيقِ رُقُودٌ وَالنَّظَرِ الصَّحِيحِ بَيْنَهُمْ
مَقُودٌ. وَأَمَّا فِي غَيْرِ ذَلِكَ فَالْأَكْثَرُ فِي هَذَا الضَّرْبِ أَنْ

يُضَيِّنْ غَرَضًا آخَرَ مِنَ الدُّعَاءِ أَوْ عَرَضَ النَّفْسِ عَلَى خِدْمَةِ
الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ أَوْ تَوَقُّعِ الْجَوَابِ مِنْهُ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِنْهَا تَحْصِيلُهُ
مَقَامَاتُ الْكَلَامِ وَتَقْنِصِيهِ دَوَائِي أَلْحَالٍ وَهِيَ طَرِيقَةُ الْكِتَابِ
وَالْمَوْلَدِينَ مِنَ الشُّعْرَاءِ ذَهَابًا إِلَى الْفَالِ أَوْ التَّبَرُّكِ أَوْ
زِيَادَةِ التَّحَبُّبِ وَالتَّقَرُّبِ مِنْ مَقَامِ الْخُطَابِ أَوْ الْبَهْدُوحِ
وَأَكْثَرُ مَا يَخْتَصِمُونَ فِي النَّثْرِ بَعْدَ الْأَغْرَاضِ الَّتِي ذُكِّرَتْ
بِقَوْلِهِمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَوْ بَيْنَ اللَّهِ وَقَضِيهِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ
وَالْأَمْثَلُ عَلَى جَمِيعِ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ مُسْتَفِضَةٌ كَقَوْلِ الْقَاضِي
مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الظَّاهِرِ فِي خِتَامِ صُورَةِ عَهْدِ لِلْمَلِكِ
الْأَشْرَفِ صَلَاحِ الدِّينِ خَلِيلٍ وَاللَّهُ تَعَالَى بِجَعْلِ اسْتِخْلَافِهِ
هَذَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا وَلِلْمُعْتَدِينَ أَنْفِصَامًا وَيُطْفِئُ بِهَا سَيُوفِهِ
نَارَ كُلِّ حَطَبٍ حَتَّى تُصْبِحَ كَمَا أَصْبَحَتْ نَارُ سَمِيهِ بَرْدًا وَسَلَامًا
وَقَوْلِ الْوَزِيرِ أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ الْقَاسِمِ فِي خِتَامِ جَوَابِهِ وَإِنْ
قَسَمْتُكَ الْعَجَلَ لِقَدْرِكَ وَحَبِيبَكَ الْمُنَاهِي فِي بَرِّكَ
تَصْنَعُ تَنَاءَكَ مَجْدًا وَطَوْلًا وَأَسْتَوْضِحْ إِخَاءَكَ عَقْدًا وَقَوْلًا
وَأَعْطَاكَ صَفْقَةً يَهْبِيهِ عَلَى الْهَوْدَةِ وَالْإِكْبَارِ وَوَلَاكَ صِفْوَةً
يَقِينُهُ صَادِقَةً الْإِعْلَانِ وَالْإِسْرَارِ فَلَنْ تَزَالَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ

تَجِدُهُ حَيْثُ تَنْشُدُهُ وَتَعْبُدُهُ عَلَى أَيْرٍ مَا تَعْتَقِدُهُ إِنْ شَاءَ
 اللَّهُ. وَقَوْلِ الْبَدِيعِ الْهَيْدَانِيِّ فِي خِتَامِ رِسَالَةِ وَالشَّيْخِ
 الرَّئِيسِ فِي تَشْرِيفِي بِأَنْجَوَابٍ وَتَعْرِيفِي بِسَارِ الْأَخْبَارِ
 وَتَكْلِيفِي سَوَاحِجَ الْأَوْطَارِ وَتَصْرِيفِي عَلَى الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ
 رَأْيُهُ الْمَوْفُوقُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. وَمِنْ أَمْثَلِيهِ فِي الشِّعْرِ
 قَوْلُ الْهَيْدَانِيِّ

فَلَا حَظَّ لَكَ الْهَيْبَاءُ سَرَجًا
 وَلَا ذَاقَتْ لَكَ الدُّنْيَا فِرَاقًا

وَقَوْلُهُ
 أَنْتُمْ سَعْدُكُمْ مَنْ أَعْطَاكَ أَوَّلَهُ
 وَلَا أَسْتَرِدُّ حَيَاةً مِنْكَ مُعْطِيهَا

وَقَوْلُ ابْنِ الْوَرْدِيِّ
 سَلَامٌ عَلَيْكُمْ مَا أَحَبَّ وَصَالَكُمْ
 وَغَايَةُ مَجْهُودِ الْبَقْلِ سَلَامٌ
 وَكَثِيرًا مَا بَخِمُ النَّائِرُ بِقَوْلِهِ وَالسَّلَامُ وَهُوَ مِنْ مَقَامَاتِ
 الْإِخْتِصَارِ وَالْإِبْجَازِ وَيَكْثُرُ اسْتِعْمَالُهُ فِي رِسَائِلِ الْعُتْبِ
 وَالْمَوْجِدَةِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ. وَقَدْ بَخِمُ بِلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ

إِلَّا بِاللهِ أَوْ بِقَوْلِهِ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ أَوْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَوْ وَاللهُ
 أَعْلَمُ أَوْ غَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا تَدْعُو إِلَيْهِ الْخَالُ . وَرَبُّهَا خَتَمَ بِمِثْلِ
 أَوْ بَيْتٍ مِنَ الشَّعْرِ وَذَلِكَ كَقَوْلِ الْخَوَارِزْمِيِّ فِي خِتَامِ
 رِسَالِهِ وَلَقَدْ سَلَكَ الْأَمِيرُ مِنَ الْكُرَمِ طَرِيقًا يَسْتَوْحِشُ
 فِيهَا لِقَلَّةِ سَالِكِيهَا وَبَيْتُهُ فِي قِفَارِهَا لِدُرُوسِ آثَارِهَا
 وَأَنْهَدَامِ مَنَارِهَا أَعَانَهُ اللهُ عَلَى صُعُوبَةِ الطَّرِيقِ وَقِلَّةِ الرَّفِيقِ
 وَالْهَمَّةِ صَبْرًا يَهْوَنُ عَلَيْهِ أَحْيَالُ الْهَغَارِمِ وَيُقَرِّبُ عَلَيْهِ
 مَسَافَةَ الْهَكَارِمِ فَيَا لَصَبْرٍ تَنَالِ الْعُلَى وَعِنْدَ الصَّبَاحِ بِحَمْدِ
 الْقَوْمِ السُّرَى . وَقَوْلِهِ أَيْضًا فِي خِتَامِ تَسْلِيَةٍ وَلَكِنَّ الْغَضَبَ
 يُنْسِي الْحُرْمَاتِ وَيَذْفِنُ السَّيِّئَاتِ وَيَخْلُقُ لِلْبَرِيءِ جَنَابَاتِ
 وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَفَعَلَهُ

لَكَالْدَهْرِ لَا عَارَ بِمَا فَعَلَ الدَّهْرُ

إِنْتَهَى وَفِي هَذَا الْقَدَرِ غِنَى لِلْبَصِيرِ وَفِي تَتَبُعِ رَسَائِلِهِمْ
 وَخُطْبِهِمْ وَدَوَائِبِ الشُّعْرَاءِ مِنْهُمْ قَدِيمًا وَحَدِيثًا مُؤَوَّنَةً
 كَافِيَةً بِهَدَايَةِ اللهِ وَتَسْدِيدِهِ

(مصحح)

الْقِسْمُ الثَّانِي

فِي شَذَرَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ أَقْوَالِ الْكُتَّابِ
وَفِيهِ فُصُولٌ

فَصْلٌ

فِي حُسْنِ التَّوَاصُلِ

كُتِبَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُحَمَّدٌ بْنُ طَاهِرٍ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ
كَتَبْتُ أَعَزَّكَ اللَّهُ عَنْ ضَمِيرٍ أُنَدِمُ عَلَى سِرِّ اعْتِقَادِكَ
دُرَّهُ وَتَبَجُّ فِي أَفْقٍ وَدَادِكَ بَدْرُهُ وَسَالَ عَلَى صَفَحَاتِ
ثَنَائِكَ مِسْكُهُ وَصَارَ فِي رَاحَتِي سَنَائِكَ مِلْكُهُ وَلَمَّا
ظَهَرْتُ بِفُلَانٍ حَمَلْتُهُ مِنْ تَحِيَّتِي زَهْرًا جَنِيًّا بِوَأْفِيكَ عَرَفْتُهُ
ذَكِيًّا وَبِوَالِيكَ أُنْسُهُ نَحِيًّا وَبِقَضِيٍّ مِنْ حَقِّكَ فَرَضًا مَا نَبِيًّا
عَلَى أَنَّ شَخْصَ جَلَالِكَ لِي مَائِلٌ وَبَيْنَ ضُلُوعِي نَازِلٌ لَا
يَبْلُغُهُ خَاطِرٌ وَلَا يَبْسُغُهُ عَرَضٌ دَائِرٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

وَكُتِبَ أَبُو الْفَضْلِ بْنُ الْعَبِيدِ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ

قَدْ قَرُبَ أَيْدِكَ اللَّهُ مُحَلِّكَ عَلَى تَرَاحِيهِ وَتَصَاقِبِ

مُسْتَفْرَكٌ عَلَى تَنَائِيهِ لِأَنَّ الشُّوقَ يُبْهِلُكَ وَالذِّكْرَ يُخَيِّلُكَ
فَنَحْنُ فِي الظَّاهِرِ عَلَى افْتِرَاقٍ وَفِي الْبَاطِنِ عَلَى تَلَاقٍ وَفِي
التَّسْبِيهِ مُتَبَايِنُونَ وَفِي الْمَعْنَى مُتَوَاصِلُونَ وَلَكِنْ تَفَارَقَتْ
الْأَشْبَاحُ لَقَدْ تَعَاثَتْ الْأَرْوَاحُ

وكتب بديع الزمان المهدي* الى القاسم الكرجي

يَعِزُّ عَلَيَّ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الشَّيْخِ الرَّئِيسِ أَنْ يَنْوِبَ
فِي خِدْمَتِهِ قَلْبِي عَنْ قَدَمِي وَيَسْعِدَ بِرُؤْيَيْهِ رَسُولِي دُونَ
وُصُولِي وَيَرِدَ مَشْرَعَةَ الْأَنْسِ بِهِ كِتَابِي قَبْلَ رِكَابِي وَلَكِنْ
مَا الْحِيلَةُ وَالْعَوَائِقُ جَهَّةً

وَعَلَيَّ أَنْ أُسْعَى وَلَيْسَ عَلَيَّ إِدْرَاكُ النَّجَاحِ
وَقَدْ حَضَرْتُ دَارَهُ وَقَبِلْتُ جِدَارَهُ وَمَا بِي حُبُّ الْحَيِّطَانِ
وَلَكِنْ شَغَفًا بِالْقُطَّانِ وَلَا عِشْقُ الْجُدْرَانِ وَلَكِنْ شَوْقًا إِلَى
السَّكَّانِ وَحِينَ عَدَّتِ الْعَوَادِي عَنْهُ أَمَلْتُ ضَمِيرَ الشُّوقِ
عَلَى لِسَانِ الْقَلَمِ مُعْتَذِرًا إِلَى الشَّيْخِ عَلَى الْحَقِيقَةِ عَنْ تَقْصِيرِ
وَقَعَ وَفُتُورٍ فِي الْخِدْمَةِ عَرَضَ وَلَكِنِّي أَقُولُ
إِنْ يَكُنْ تَرْكِي لِنَصْدِكَ ذَنْبًا فَكَفَى أَنْ لَا أَرَاكَ عِقَابًا

وكتب أبو محمد عبد الله الطليوسي إلى أبي الحسن بن الأخضر
 يَا سَيِّدِي الْأَعْلَى وَعِبَادِي الْأَسْنَى وَحَسَنَةَ الدَّهْرِ
 الْحُسْنَى الَّذِي جَلَّ قَدْرُهُ وَسَارَ مَسِيرُ الشَّمْسِ ذِكْرُهُ وَمَنْ
 أَطَالَ اللَّهُ بَقَاةَهُ لِفَضْلِ يُعْلِي مَنَارَهُ وَعِلْمٍ يُجِي آثَارَهُ نَحْنُ
 أَعَزُّكَ اللَّهُ تَدَانِي إِخْلَاصًا وَإِنْ تَنَاوَيْنَا اشْتَخَاصًا وَبَجَعْنَا
 الْأَدَبُ وَإِنْ فَرَّقْنَا النَّسَبُ فَالْأَشْكَالُ أَقَارِبُ وَالْأَدَابُ
 مَنَاسِبُ وَلَيْسَ يَضُرُّ تَنَاسُّهُ الْأَشْبَاحُ إِذَا تَقَارَبَتِ الْأَرْوَاحُ
 وَمَا مَثَلْنَا فِي هَذَا الْإِتِّظَامِ إِلَّا كَمَا قَالَ أَبُو تَهَامٍ
 نَسِيبِي فِي رَأْيِي وَعِلِّي وَمَذْهَبِي
 وَإِنْ بَاعَدْتَنِي فِي الْأَصُولِ الْمَنَاسِبُ

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِمَا تَرِكَ ذَاكِرٌ وَلِمَا خَرِكَ نَاشِرٌ إِلَّا ذُو الْوِزَارَتَيْنِ
 أَبُو فَلَانٍ أَبَقَاهُ اللَّهُ لِقَامَ لَكَ مَقَامَ سَحْبَانَ وَائِلٍ وَأَغْنَاكَ
 عَنْ قَوْلِ كُلِّ قَائِلٍ فَإِنَّهُ يَهْدِي فِي مِضَارِ ذِكْرِكَ بَاعًا رَحِيبًا
 وَيَقُومُ بِغُرْكَ فِي كُلِّ نَادٍ خَطِيْبًا حَتَّى يَنْتَهِى إِلَيْكَ الْأَحْدَاقُ
 وَيَلْوِي نَحْوَكَ الْأَعْنَاقُ فَكَيْفَ وَمَا يَنْطِقُ إِلَّا بِالَّذِي عَلِمَتْ
 سَعْدٌ وَمَا تَقَرَّرَ فِي النُّفُوسِ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ فَذِكْرُكَ قَدْ
 أَنْجَدَ وَأَغَارَ وَلَمْ يَسِرْ فَلَكَ حَيْثُ سَارَ وَإِنْ لَيْلَ جَهْلٍ

أُطْلِعْتَ فِيهِ فَجَرَ تَبْصِيرِكَ لِحْدِيرٍ بِأَنْ يَصِيرَ نَهَارًا وَإِنْ نَبَعَ
فِكْرَ قَدَحِهِ بِتَذْكِيرِكَ لِحْدِيرٍ بِأَنْ يَعُودَ مَرَحًا وَعَفَارًا فَهَنِيئًا
لَكَ الْفَضْلُ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ رَاسِخُ الْقَدَمِ شَاخُ الْعِلْمِ
مَنْشُورُ الْإِلَوهِ مَشْهُورُ الذِّكَاةِ مُلَيَّتِ الْآدَابِ عُمْرِكَ
وَلَا عَدِمْتَ الْآلِبَابُ ذِكْرَكَ وَرَفِيتَ مِنَ الْهَرَاتِبِ أَعْلَاهَا
وَلَقِيتَ مِنَ الْهَارِبِ أَفْصَاهَا بِفَضْلِ اللَّهِ

ولصحو الى صديق له

مَا زِلْتُ أَدَافِعُ النَّفْسَ فِيهَا تَقَاضَايَ مِنْ شَكْوَى
أَسْوَاقِهَا وَفِي الشُّكْوَى شِفَاءٌ وَاسْتِنْزَالٌ أَنْتَ مِنْ لَدُنْكَ تَعَلَّلُ
بِهِ مَسَافَةَ الْبَيْنِ إِلَى أَنْ يَمُنَّ اللَّهُ بِاللِّقَاءِ وَمِنْ دُونِ إِجَابَتِهَا
مَشَادَةٌ قَدْ شَغَلَتْ الذَّرْعَ وَشَوَاعِلُ قَدْ فَرَّغَ مِنْ دُونِهَا الْوَسْعُ
إِلَى أَنْ غَلَبَ جَيْشُ الْوَجْدِ عَلَى مَعَاوِلِ الصَّبْرِ وَزَاحَمَ مَنَاكِبَ
الْعُدُوِّ حَتَّى ضَرَبَ أَطْنَابَهُ بَيْنَ الْحِجَابِ وَالصَّدْرِ فَاتَّخَذَتْ
هَذِهِ الرُّقْعَةَ أَزْجِيهَا إِلَيْكَ وَفِيهَا مِنْ وَفْرِ الشُّوقِ مَا يَنْوِي
بِرَسُولِهَا وَمِنْ رِقَّةِ الصَّبَابَةِ مَا يَكَادُ يَطِيرُ بِهَا أَوْ يَخْلِفُهَا
فِيصَافِحُ الْأَغْنَابِ قَبْلَ وُصُولِهَا رَاجِيًا لَهَا أَنْ تُتَلَقَّى بِمَا عَاهَدَ
فِي سَيِّدِي مِنَ الطَّلَاقَةِ وَالْبِشْرِ وَأَنْ لَا يَضُنَّ عَلَيْهَا بِمَا

عَوْدِي مِنْ تَهْيِيدِ الْعُذْرِ وَبَصْلِي مِنْ بَعْدِهَا بِأَنْبَاءِ الطَّيِّبَةِ
عَائِدَةٍ عَنْهُ بِمَا يَكُونُ لِلنَّاطِرِ قُرَّةً وَلِلخَاطِرِ مَسْرَةً إِنْ شَاءَ اللَّهُ

وله

وَإِنِّي كِتَابُكَ الْعَزِيزُ فَأَهْلًا بِأَكْرَمِ رَسُولٍ جَاءَ
بَيِّنَاتِ الْإِخْلَاصِ وَالْوَفَاءِ مُصَدِّقًا لَهَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ
ذِمَّةِ الْوَدَادِ وَالْإِخَاءِ يَتْلُو عَلَيَّ مِنْ حَدِيثِ الشُّوقِ مَا شَهِدَ
بَصِحِّهِ سَفِيهِ وَهَتَفَ مُؤَذِّنُهُ فِي كُلِّ مَفْصِلٍ مِنْ جِسْمِي
وَيُذَكِّرُنِي مِنْ عَهْدِكَ مَا طَالَهَا أَذْكَرُنِيهِ الْبَرْقُ إِذَا لَمَعَ
وَالْبَرْقُ إِذَا طَلَعَ وَالْقَهْرِيُّ إِذَا سَجَعَ وَإِنَّمَا عَدَانِي عَنْكَ
مَا أَنَا فِيهِ مِنْ مَجَادِبَةِ الشَّوَاعِلِ وَمَسَاوِرَةِ الْبَلَابِلِ
وَفِي الْقَلْبِ مَا فِي الْقَلْبِ مِنْ شَجَنِ الْهَوَى
تَبَدَّلَتْ أَمْحَالَاتُ وَهُوَ مُقِيمٌ

وَأَنَا عَلَى مَا بِي مِنْ غَلِّ الْبَنَانِ وَشُغْلِ الْجَنَانِ مَا زَالَتْ
أَنْبَاءُكَ عِنْدِي لَا يَخْطِئُنِي بَرِيدُهَا وَلَا يَنْقَطِعُ عَنِّي وَرُودُهَا
أَهْنَى النَّفْسِ مِنْهَا بِهَا تَسْنَى لَكَ مِنْ سَلَامَةٍ لَا يَرِثُ لَهَا شِعَارٌ
وَإِفْبَالٌ لَا يَعْتَرِضُهُ بِإِذْنِ اللَّهِ إِدْبَارٌ وَقُصَارَى الْهَامُولِ
فِي كَرَمِكَ أَنْ تُعَامِلَنِي بِهَا سَبَقَ لَكَ مِنْ جَبِيلِ الصِّلَةِ إِلَى

أَنْ يَهْزَأَ اللَّهُ بِالْإِجْمَاعِ وَيُغْنِيَ بِالْعِيَانِ عَنِ السَّمْعِ
وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ

وكتب أبو بكر الخوارزمي إلى أبي الوفاء صاحب جيش عضد الدولة
كتابي وأنا بها يبلغني من صالح أخبار الشيخ مغتبط
مسرور وبها يعرفه الزمان وأهله من أغنيادي به مصون
موفور والله على الأولي محمود وعلى الأخرى مشكور
التطفل وإن كان محظورا في غير موطنه فإنه مباح في
أماكنه وهو وإن كان في بعض الأحوال يجمع عارا ووزرا
فإنه في بعضها يجمع فخرا وذخرا ورب فعل يصاب به
وقته فيكون سنة وهو في غير وقته بدعة وقد تطفلت على
الشيخ بهذه الأحرف أخطب بها مودته إليه وأعرض
فيها مودتي عليه وأسأله أن يرسم لي في لساني وقلبي رسما
ويختتم عليهما ختما فقد جعلتهما باسميه وقصرتهما على
حكميه وسأضعهما تحت خديه وبرئت إليه منهما وصرت
وكيله فيهما فهما على غيره حتى لا يقرب وبجيرة لا تحلب
ولا تتركب ولما نظرت إلى آثار الشيخ على الأحرار
ونشرت طراز محاسنه من أيدي القاصدين والزوار رأيت

نَفْسِي غَفْلًا مِنْ سِمَةِ مَوَدَّتِهِ وَعُطْلًا مِنْ جَمَالِ عِشْرَتِهِ حَمِيَّتِهَا
مِنْ أَنْ يُحْيِيَ عَلَيْهَا وَرْدَ مَوْرُودٍ وَيُحْسِرَ عَنْهَا ظِلَّ عَلَى
الْجَمِيعِ مَهْدُودٍ وَنَجِيَّتٍ مِنْ

سَحَابِ خَطَائِي جُودُهُ وَهُوَ صَيِّبٌ
وَيَجْرِ عِدَائِي سَيْلُهُ وَهُوَ مُنْعَمٌ

وَيَبْدُرُ أَضَاءَ الْأَرْضِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
وَمَوْضِعُ رِجْلِي مِنْهُ أَسْوَدُ مُظْلِمٌ

—••••—

فَصْلٌ

فِي الْأَسْتِعْطَافِ وَالْإِعْتِذَارِ

كتب عمرو بن بجر الجاحظ إلى ابن أبي ثؤاد

لَيْسَ عِنْدِي أَعَزُّكَ اللَّهُ سَبَبٌ وَلَا أَقْدِرُ عَلَى شَفِيعٍ إِلَّا
مَا طَبَعَكَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْكَرَمِ وَالرَّحْمَةِ وَالنَّامِيلِ الَّذِي لَا
يَكُونُ إِلَّا مِنْ نِتَاجِ حُسْنِ الظَّنِّ وَإِثْبَاتِ الْفَضْلِ بِجَالِ
الْهَامُولِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مِنَ الْعُقَّاءِ الشَّاكِرِينَ فَتَكُونَ
خَيْرَ مُعْتَبٍ وَأَكُونُ أَفْضَلَ شَاكِرٍ . وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ
هَذَا الْأَمْرَ سَبَبًا لِهَذَا الْإِنْعَامِ وَهَذَا الْإِنْعَامَ سَبَبًا لِلْإِقْطَاعِ .

إِلَيْكُمْ وَتَكُونُ تَحْتَ أَجْنِحَتِكُمْ فَيَكُونُ لَا أَكْثَرَ مِنْ بَرَكَاتٍ وَلَا
 أَنْتَ بَقِيَّةٌ مِنْ ذَنْبٍ أَصَبْتَ فِيهِ وَبِمِثْلِكَ جُعِلَتْ فِدَاكَ عَادَ
 الذَّنْبُ وَسِيلَةً وَالسَّيِّئَةُ حَسَنَةً وَمِثْلِكَ مَنْ أَتَقَلَّبَ بِهِ الشَّرُّ
 خَيْرًا وَالْغَرَمُ غُنًّا مَنْ عَاقَبَ فَقَدْ أَخَذَ حَظَّهُ وَإِنَّهَا الْأَجْرُ
 فِي الْآخِرَةِ وَطِيبُ الذِّكْرِ فِي الدُّنْيَا عَلَى قَدَرِ الْإِحْسَانِ
 وَتَجَرُّعُ الْهَرَائِرِ وَأَرْجُو أَنْ لَا أَضِيعَ وَأَهْلِكَ فِيهَا بَيْنَ
 كَرَمِكَ وَعَقْلِكَ وَمَا أَكْثَرَ مَنْ يَعْفُو عَنْ صَغُرِ ذَنْبِهِ وَعَظُمِ
 حَقُّهُ وَإِنَّهَا الْفَضْلُ وَالثَّنَاءُ الْعَفْوُ عَنْ عَظِيمِ الْجُرْمِ ضَعِيفِ
 الْحُرْمَةِ وَإِنْ كَانَ الْعَفْوُ الْعَظِيمُ مُسْتَطَرَفًا مِنْ غَيْرِكُمْ فَهُوَ
 تِلَادُ فِيكُمْ حَتَّى رُبَّهَا دَعَا ذَلِكَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ إِلَى مَخَالَفَةِ
 أَمْرِكُمْ فَلَا أَنْتُمْ عَنْ ذَلِكَ تُتَكَلَّمُونَ وَلَا عَلَى سَالِفِ إِحْسَانِكُمْ
 تُنْذَرُونَ وَلَا مِثْلَكُمْ إِلَّا كَمِثْلِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ حِينَ كَانَ لَا
 يَهُودِيٍّ مِمَّا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا أَسْمَعُوهُ شَرًّا وَأَسْمَعُوهُ خَيْرًا
 فَقَالَ لَهُ شِمْعُونُ الصَّفَّامَا رَأَيْتُكَ الْيَوْمَ كُلَّهَا أَسْمَعُوكَ شَرًّا
 أَسْمَعْتَهُمْ خَيْرًا فَقَالَ كُلُّ أَمْرٍ يُنْفِقُ مِنْهَا عِنْدَهُ وَلَيْسَ عِنْدَكُمْ
 إِلَّا الْخَيْرُ وَلَا فِي أَوْعِيَتِكُمْ إِلَّا الرَّحْمَةُ وَكُلُّ إِنَاءٍ بِالَّذِي
 فِيهِ يَنْضَجُ

وكتب الى رجل

زَيْنَكَ اللَّهُ بِالتَّقْوَى وَكَفَاكَ مَا أَهَبَكَ مِنَ الْآخِرَةِ
وَالْأُولَى. مَنْ عَاقَبَ أَبْنَاكَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الصَّغِيرَةِ عُقُوبَةً
الْكَبِيرَةِ وَعَلَى الْهَفْوَةِ عُقُوبَةً الْأَصْرَارِ فَقَدْ تَنَاهَى فِي الظُّلْمِ.
وَمَنْ لَمْ يَفْرِقْ بَيْنَ الْأَسَافِلِ وَالْأَعَالِي وَالْأَدَانِي وَالْأَفَاصِي
فَقَدْ قَصُرَ. وَاللَّهُ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ سَرَفَ الرِّضَى مَخَافَةَ أَنْ
يُؤَدِّيَ إِلَى سَرَفِ الْهَوَى فَمَا ظَنُّكَ بِسَرَفِ الْغَيْظِ وَغَلَبَةِ
الْغَضَبِ مِنْ طِبَاشٍ عَجُولٍ فَحَاشٍ وَمَعَهُ مِنَ الْخُرْقِ يَقْدِرُ
قِسْطُهُ مِنَ التَّهَابِ الْحُمْرَاءِ وَأَنْتَ رُوحٌ كَمَا أَنْتَ جِسْمٌ
وَكَذَلِكَ جِسْمُكَ وَنَوْعُكَ إِلَّا أَنَّ النَّاسَ فِي الرِّفَاقِ أَسْرَعُ
وَضِدُهُ فِي الْغِلَاطِ أَجْفَاءُ أَكْمَلُ وَلِذَلِكَ أَشَدُّ جَزَعِي عَلَيْكَ
مِنْ سُلْطَانِ الْغَيْظِ وَغَلَبَتِهِ. فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ مِقْدَارَ
الذَّنْبِ إِلَيْكَ مِنْ مِقْدَارِ عِقَابِكَ عَلَيْهِ فَإِنْظُرْ فِي عِلَّتِهِ وَفِي
سَبَبِ إِخْرَاجِهِ إِلَى مَعْدِنِهِ الَّذِي مِنْهُ نَجَمَ وَعُشْبُهُ الَّذِي مِنْهُ
دَرَجَ وَإِلَى جِهَةِ صَاحِبِهِ فِي التَّسْرِعِ وَالْثَّبَاتِ وَإِلَى حِلِّهِ
عِنْدَ التَّعَرُّيْضِ وَفِطَّتِهِ عِنْدَ التَّوْبَةِ. فَكُلُّ ذَنْبٍ كَانَ سَبَبُهُ
ضَيْقَ صَدْرٍ مِنْ جِهَةِ الْفَيْضِ فِي الْهَقَادِيرِ أَوْ مِنْ طَرِيقِ

أَلَا نَفَهُ وَغَلَبَهُ طِبَاعُ الْحَمِيَّةِ مِنْ جِهَةِ الْجَنُودِ أَوْ مِنْ جِهَةِ
 اسْتِغْنَائِهِ أَوْ كَانَ مُبْلَغًا عَنْهُ مَكْذُوبًا عَلَيْهِ وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ جَائِزًا
 فِيهِ غَيْرُ مُسْتَعِجٍ مِنْهُ فَإِذَا كَانَتْ ذُنُوبُهُ مِنْ هَذَا الشَّكْلِ فَلَيْسَ
 يَقِفُ عَلَيْهَا كَرِيمٌ وَلَا يَنْظُرُ فِيهَا حَلِيمٌ. وَلَسْتُ أُسَيِّبُهُ بِكَثْرَةِ
 مَعْرُوفِهِ كَرِيمًا حَتَّى يَكُونَ عَقْلُهُ غَامِرًا بِعِلِّيَّهِ وَعِلِّيُّهُ غَالِبًا عَلَى
 طِبَاعِهِ كَمَا لَا أُسَيِّبُهُ بِكَفِّ الْعِقَابِ حَلِيمًا حَتَّى يَكُونَ عَارِفًا
 بِمِقْدَارِ مَا أَخَذَ وَتَرَكَ. وَمَنْ وَجَدْتَ الذَّنْبَ بَعْدَ ذَلِكَ لَا
 سَبَبَ لَهُ إِلَّا الْبُغْضُ الْحَضُّ وَالنِّفَارُ الْغَالِبُ فَلَوْ لَمْ تَرْضَ
 لِصَاحِبِهِ بِعِقَابٍ دُونَ قَعْرِ جَهَنَّمَ لَعَذَرَكَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُقَلَاءِ
 وَصَوَّبَ رَأْيَكَ عَالَمٌ مِنَ الْأَشْرَافِ. وَالْأَنَاءُ أَقْرَبُ مِنَ
 الْحَمْدِ وَأَبْعَدُ مِنَ الذَّمِّ وَأَنَاءٌ مِنْ خَوْفِ الْعَجَلَةِ وَقَدْ قَالَ
 الْأَوَّلُ عَلَيْكَ بِالْأَنَاءِ فَإِنَّكَ عَلَى إِيقَاعِ مَا لَمْ تُوقِعْهُ أَقْدَرُ
 مِنْكَ عَلَى رَدِّ مَا قَدْ أَوْقَعْتَهُ. وَلَيْسَ يُصَارِعُ الْغَضَبُ أَيَّامَ
 شَبَابِهِ شَيْءٌ إِلَّا صَرَعَهُ وَلَا يُنَازِعُهُ قَبْلَ انْتِهَائِهِ إِلَّا قَهَرَهُ
 وَإِنَّمَا يُجْنَالُ لَهُ قَبْلَ هَيْبِهِ فَتَنَى تَمَكَّنَ وَاسْتَفْعَلَ وَأَذَكَّى
 نَارَهُ وَأَشْعَلَ ثُمَّ لَاقَى مِنْ صَاحِبِهِ قُدْرَةً وَمِنْ أَعْوَانِهِ سَهْمًا
 وَطَاعَةً فَلَوْ اسْتَبَطَّتْهُ بِالتَّوَرَةِ وَأَوْجَرَتْهُ بِالْإِنْجِيلِ وَكَدَدَتْهُ

بِالزُّبُورِ وَأَفْرَغْتَ عَلَى رَأْسِهِ الْقُرْآنَ إِفْرَاغًا وَأَتَيْتُهُ بِأَكْمَ
شَفِيعًا لَهَا أَقْصَرَ دُونَ أَفْصَى قُوَّتِهِ وَلَكِنْ يُسَكِّنُ غَضَبَ الْعَبْدِ
إِلَّا ذِكْرَهُ غَضَبَ الرَّبِّ . فَلَا تَقِفْ حِفْظَكَ اللَّهُ بِعَدْمِ مُضِيكِكَ
فِي عَنَابِي التَّيَاسَا لِلْعَفْوِ عَنِّي وَلَا تُقْصِرْ عَن إِفْرَاطِكَ مِنْ
طَرِيقِ الرَّحْمَةِ بِي وَلَكِنْ قِفْ وَقِفَةً مِنْ يَتِيمِ الْغَضَبِ عَلَى
عَقْلِهِ وَالشَّيْطَانِ عَلَى دِينِهِ وَيَعْلَمُ أَنَّ لِلْكَرَمِ أَعْدَاءً وَيُسِيكَ
إِمْسَاكَ مَنْ لَا يَبْرِي نَفْسَهُ مِنَ الْهَوَى وَلَا يَبْرِي الْهَوَى مِنَ
الْخَطَا . وَلَا تُنْكِرْ لِنَفْسِكَ أَنْ تَزِلَّ وَلِعَقْلِكَ أَنْ يَهْوَى فَقَدْ زَلَّ
آدَمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ خَلَقَهُ بِيَدِهِ . وَلَسْتُ أَسْأَلُكَ
إِلَّا رَيْثَهَا تَسْكُنُ نَفْسُكَ وَيَرْتَدُّ إِلَيْكَ ذِهْنُكَ وَتَرَى الْحِلْمَ
وَمَا يَجْلُبُ مِنَ السَّلَامَةِ وَطِيبِ الْأَحْدُوثَةِ . وَاللَّهُ يَعْلَمُ
وَكَفَى بِهِ عَلَيْهَا لَقْدًا أَرَدْتُ أَنْ أَفْدِيَكَ بِنَفْسِي فِي مَكَاتِبَاتِي
وَكُنْتُ عِنْدَ نَفْسِي فِي عِدَادِ الْهَوَى وَفِي حَيْزِ الْهَلَكَى فَرَأَيْتُ
أَنْ مِنْ الْخِيَانَةِ لَكَ وَمِنْ اللَّوْمِ فِي مُعَامَلَتِكَ أَنْ أَفْدِيَكَ
بِنَفْسٍ مَيْتَةٍ وَأَنْ أُرِيكَ أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ لَكَ أَنْفَسَ ذُخْرِ
وَالذُّخْرُ مَعْلُومٌ . وَأَنَا أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخُو تَقِيْفٍ مَوَدَّةُ
الْآخِرِ التَّالِدِ وَإِنْ أَخْلَقَ خَيْرٌ مِنْ مَوَدَّةِ الْآخِرِ الطَّارِفِ

وَلَمَّا ظَهَرَتْ مَسَاعِيهِ وَرَأَتْ جِدَّتُهُ سَلَّمَكَ اللَّهُ وَسَلَّمْ
عَلَيْكَ وَكَانَ لَكَ وَمَعَكَ

وكتب بعضهم الى أمير

أَنَا مَنْ لَا بِحَاجَتِكَ عَنْ نَفْسِهِ وَلَا يُغَالِطُكَ فِي جُرْمِهِ
وَلَا يَلْتَمِسُ رِضَاكَ إِلَّا مِنْ جِهَةِ عَفْوِكَ وَلَا يَسْتَعْطِفُكَ إِلَّا
بِالْإِقْرَارِ بِالذَّنْبِ وَلَا يَسْتَهِيلُكَ إِلَّا بِالْاعْتِرَافِ بِالزَّلَّةِ
وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ وَهْبٍ

مَا أَحْسَنَ الْعَفْوَ مِنَ الْقَادِرِ لَا سِيَّهَا عَنْ غَيْرِ ذِي نَاصِرٍ
إِنْ كَانَ لِي ذَنْبٌ وَلَا ذَنْبَ لِي فَمَا لَهُ غَيْرُكَ مِنْ غَافِرٍ
أَعُوذُ بِالْوَدِّ الَّذِي بَيْنَنَا أَنْ يَفْسُدَ الْأَوَّلُ بِالْآخِرِ

وكتب ابن مكرم الى بعض الرؤساء

نَبَتْ بِي غُرَّةُ الْحَدَاثَةِ فَرَدَّتْنِي إِلَيْكَ التَّجَرُّبَةُ وَقَادَتْنِي
الضَّرُورَةُ ثِقَةً بِإِسْرَاعِكَ إِلَيَّ وَإِنْ أَبْطَأْتُ عَنْكَ وَقَبُولِكَ
لِعُذْرِي وَإِنْ فَصَّرْتُ عَنْ وَاجِبِكَ وَإِنْ كَانَتْ ذُنُوبِي
سَدَّتْ عَلَيَّ مَسَالِكَ الصَّغْحِ عَنِّي فَرَاجِعٌ فِي مَجْدِكَ وَسُودْدَكَ
وإِنِّي لَا أَعْرِفُ مَوْقِفًا أَذِلُّ مِنْ مَوْقِفِي لَوْلَا أَنَّ الْخُاطِبَةَ فِيهِ
لَكَ وَلَا خُطَّةً أَذْنًا مِنْ خُطَّتِي لَوْلَا أَنَّهَا فِي طَلَبِ رِضَاكَ

وكتب أبو بكر الخوارزمي إلى أبي علي البجلي لما طال عيابه وكثرت
رِقاؤه إليه

لَوْ بَغِيرَ الْمَاءِ حَلَفِي شَرِيقُ

كُنْتُ كَالْغَصَّانِ بِالْمَاءِ أَغْنِصَارِي

كَيْفَ يَقْدِرُ أَتَى اللَّهُ الشَّيْخَ عَلَى الدَّوَاءِ مَنْ لَا يَهْدِي

إِلَى أَوْجِهِ الدَّاءِ وَكَيْفَ يُدَارِي أَعْدَاءَهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ

الْأَصْدِقَاءَ مِنَ الْأَعْدَاءِ وَكَيْفَ يُعَالِجُ عِلَّةَ الْفَرَحَةِ الْعَبَاءِ

أَمْ كَيْفَ يَسْرِي بِلَا دَلِيلٍ فِي الظُّلُمَاءِ أَمْ كَيْفَ يَخْرُجُ

الْهَارِبُ مِنْ بَيْنِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ الْكَرِيمُ أَيْدَى اللَّهِ الشَّيْخَ

إِذَا قَدَرَ غَفَرَ وَإِذَا أَوْثَقَ أَطْلَقَ وَإِذَا أَسْرَأَ عَنَقَ وَلَقَدْ

هَرَبْتُ مِنَ الشَّيْخِ إِلَيْهِ وَتَسَلَّحْتُ بِعَفْوِهِ عَلَيْهِ وَأَلْقَيْتُ رِبْقَةَ

حَيَاتِي وَمَمَاتِي بِيَدَيْهِ فَلْيَذِفْنِي حَلَاوَةَ رِضَاةٍ عَنِّي كَمَا أَذَاقَنِي

مَرَارَةَ اتِّقَامِهِ مِنِّي وَلْتَلْخُ عَلَى حَالِهِ غُرَّةُ عَفْوِهِ كَمَا لَاحَتْ

عَلَيْهَا مَوَاسِمُ غَضَبِهِ وَسَطْوِهِ وَلْيَعْلَمْ أَنَّ الْخَرَّ كَرِيمُ الظُّفْرِ

إِذَا نَالَ أَحَالَ وَأَنَّ اللَّثِيمَ لَثِيمُ الظُّفْرِ إِذَا نَالَ اسْتَطَالَ

وَلْيَغْتَنِمْ التَّجَاوُزَ عَنْ عَثَرَاتِ الْأَحْرَارِ وَلْيَنْتَهِزْ فُرْصَ

الْإِقْتِدَارِ وَلْيَحْمَدِ اللَّهَ الَّذِي أَقَامَهُ مُقَامَ مَنْ يُرْتَجَى وَيُخْشَى

وَرَكَّبَ نِصَابَهُ فِي رُتْبَةِ شَابِ الزَّمَانِ وَمَجْدَهَا فَنِي وَأَخْلَقَ
 الْعَالَمَ وَذَكَرَهَا طَرِيقِي فَجَعَلَهُ فِي الْهَيْلَادِ كَرِيمَهَا وَسَلِيلَهَا وَفِي
 الرُّتْبَةِ قَدْوَتَهَا وَجَلِيلَهَا وَلَبِعْتَقِدُ أَنَّهُ قَدْ هَابَهُ مِنْ اسْتَرْوَلَمَ
 يُذْنِبُ إِلَيْهِ مَنْ اعْتَذَرَ وَأَنْ مَنْ رُدَّ عَلَيْهِ عُدْرُهُ فَقَدْ أُخْرِجَ
 إِلَى الشُّجَاعَةِ بَعْدَ الْحَبْنِ وَأُخْرِجَ ذَنْبُهُ إِلَى صَحْنِ الْبَقِينِ
 مِنْ سِتْرَةِ الظَّنِّ وَفَقَّ اللَّهُ الشَّيْخَ لَهَا بِحَفْظِ عَلَيْهِ قُلُوبَ
 أَوْلِيَائِهِ وَعَصَبَةِ مِمَّا يَزِيدُ بِهِ فِي عَدَدِ جَبَاحِهِمْ أَعْدَائِهِ
 وَلَيْسَ بَيْنَ الْهَوَالَةِ وَالْمُعَادَاةِ إِلَّا لَقِيَّةٌ بِشَعَةٍ أَوْ لَفْظَةٌ
 قَذِيعَةٌ

وَيُصَحَّحُ إِلَى بَعْضِ أَصْنَافِهِ

وَإِقَانِي كِتَابَكَ الْعَزِيزُ وَالنَّفْسُ نَارِعَةٌ إِلَى مَا يُزِيلُ
 نِفَارَهَا وَالْفَرِيحَةُ نَائِقَةٌ إِلَى مَا يَشْخَذُ غِرَارَهَا فَكَانَ رَوْضَةٌ
 بِاسْمِ الْكَمَامِ فَاتِحَةُ النَّسَائِمِ قَدَرْدَتْ عَلَى النَّفْسِ أَنْبِطَاطَهَا
 وَأَحْبَتِ الْبَادِرَةَ فَاسْتَأْنَفَتْ نَشَاطَهَا فَأَنَامَتْهُ مَا بَيْنَ وَشْيِ
 بُجْجِلٍ طِرَازِ الْعَبْقَرِيَّةِ وَزُخْرُفِ دُونِهِ تَضَرُّهُ السَّابِرِيَّةِ
 تَنَاجِيَنِ مِنْهُ رَشَاقَةُ الْفَاطِ تَنْضَحُ قُدُودَ الْحَسَنِ وَغَضَاضَةُ
 أَنْفَاسٍ يَغَارُ مِنْهَا وَرَدُ الْجَنَانِ وَرِقَّةُ خِطَابِ يَشِفُّ عَنْ

وَدِّ صَفِيٍّ وَلَطْفٍ حَفِيٍّ وَكَرَمٍ وَفِيٍّ وَعَنْبٍ أَعَذَبَ مِنْ
 الْمَاءِ الْفَرَّاحِ وَأَرْقٍ مِنْ نَسَبَاتِ الصَّبَا فِي الصَّبَاحِ حَتَّى
 لَقَدْ حَبَّبَ إِلَيَّ تَقْصِيرِي وَشَفَعَ عِنْدَ نَفْسِي فِي قَبُولِ مَعَاذِيرِي
 عَلَى أَنَّ مَا عِنْدِي مِنَ الْوَلَاءِ لَا يَغْتَرِبُهُ مَعَاذَ اللَّهِ وَهَنْ وَلَا
 بَخْلَفُهُ تَمَادِي زَمَنِ أَوْ تَرَامِي وَطَنِ وَلَكِنْ صُرُوفَ
 الْأَحْدَاثِ فَدَقِصْتُ الْجُهْدَ وَصَرَفْتُ جَوَادَ الْعَزِيمَةِ عَنِ
 الْقَصْدِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَوْ تَزَلْتُ عَلَى حُكْمِ نَوَازِلِ الدَّهْرِ
 وَلَمْ أَدَافِعْ طَلَائِعَهَا بِمَا بَقِيَ مِنْ سَاقَةِ الصَّبْرِ لَهَا كَانَ فِي
 هِمَّتِي إِلَّا كَسْرُ الْبِرَاعِ وَهَجْرُ الْحَاوِرِ وَالرِّقَاعِ وَحَسَنِي
 مِنَ الْعُذْرِ مَا أَعْرِفُهُ مِنْ حِلْيَةِ الْهَالُوفِ وَمَا الْفِتْنَةُ مِنْ
 كَرَمِكَ الْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ يُثَبِّتَكَ لِي مِنَ الدَّهْرِ
 نَصِيبًا وَيُهَيِّئَ لِي بِلِقَائِكَ قَرِيبًا بَيْنَهُ وَكَرَمِهِ

وله ايضا

يَمْ يَعْذِرُ إِلَيْكَ مَنْ لَا يَرَى لِنَفْسِهِ عُدْرًا وَكَيْفَ يَسْتَعِزُّ
 مِنْ عَنَيْكَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ لِدَنْهِ سِتْرًا بَلْ كَفَانِي مِنَ الْعَنْبِ
 تَعْنِيفُ نَفْسِي عَلَى مَا أَتَيْتُ عَلَيْهَا مِنْ تَبِعَةِ تَقْصِيرِي وَمَا
 حُلْتُ بِهِ مِنَ التَّفْرِيطِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَعَاذِيرِي وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا

كَانَ تَقْصِيرِي شَيْئًا أَرَدْتُهُ وَلَا كَانَ تَقْرِيبِي أَمْرًا فَصَدَنُ
وَلَكِنَّهَا الْأَيَّامُ إِنْ صَاحَبَتْهَا لَمْ تُصْحِبْ وَإِنْ عَاقَبَتْهَا لَمْ
تُعِيبْ فَلَقَدْ عَبَّرَتْ بِي هَذِهِ الْبُرْهَةُ كُلُّهَا وَأَنَا بَيْنَ شَوَاغِلٍ
لَا يَشْغُلُهَا عَنِّي شَاغِلٌ وَبَلَابِلٍ قَدْ أَخْلَطَ حَابِلُهَا بِأَلْبَابِلٍ
فَنَازَعَتْهَا هَذِهِ النَّهْزَةُ الْيَسِيرَةُ أَجْدُدُ فِيهَا صَلَاةَ التَّذْكِرَةِ إِلَى
أَنْ يَمُنَّ اللَّهُ بِصِلَةِ الْحَبْلِ وَأَجْمَاعِ الشَّجَلِ وَأَسْتَنْزِلُ
أَحْرَفًا مِنْ خَطِّكَ يَكْتَحِلُ بِهَا النَّاطِرُ وَيَأْتِسُ إِلَيْهَا الْخَاطِرُ
مُتَوَقِّعًا بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ أَتَقَى بَيْنَ يَدَيِ مَوَدَّتِكَ مَذْكُورًا وَأَنْ
لَا يَكُونَ عَجْزِي لَدَيْكَ شَيْئًا مَنْظُورًا وَأَنْ تَجْزِيَ بِي عَلَى
عَادَةِ حِلْيِكَ إِلَى أَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ الشَّيْئَتَيْنِ وَيُغْنِيَ الْعَيْنَ
عَنِ الْأَثَرِ بِالْعَيْنِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

فَصْلٌ

فِي الْعِتَابِ

وكتب أبو الفضل بديع الزمان المهداني إلى أبي جعفر الميكالي

لَعَنَ سَاءَ مَا نِي أَنْ نَلْتَنِي بِمَسَاءَةٍ لَقَدْ سَرَّنِي أَنْيَ خَطَرْتُ بِبَالِكَ
الْأَمِيرِ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ إِلَى آخِرِ الدُّعَاءِ فِي حَالِي

بِرِّهِ وَجَلَّاهُ مُتَفَضِّلٌ وَفِي يَوْمِي إِدْنَائِهِ وَإِبْعَادِهِ مُحْسِنٌ
 وَهَنِيئًا لَهُ مِنْ حِمَانَا مَا يَحِلُّهُ وَمِنْ عُرَانَا مَا يَحِلُّهُ وَمِنْ أَعْرَاضِنَا
 مَا يَسْتَحِلُّهُ بَلَّغَنِي أَنَّهُ أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ اسْتِزَادَ صَنِيعَهُ فَكُنْتُ
 أَظُنُّنِي مُجْنِبًا عَلَيْهِ مُسَاءً إِلَيْهِ فَإِذَا أَنَا فِي فَرَارَةِ الذَّنْبِ
 وَمَشَارَةِ الْعُتْبِ وَلَيْتَ شِعْرِي أَيُّ مُحْظُورٍ فِي الْعِشْرَةِ حَضَرْتُهُ
 أَوْ مَفْرُوضٍ مِنَ الْخِدْمَةِ رَفَضْتُهُ أَوْ وَاجِبٍ فِي الزِّيَارَةِ
 أَهْمَلْتُهُ وَهَلْ كُنْتُ إِلَّا ضَيْفًا أَهْدَاهُ مَنْزِعٌ شَاسِعٌ وَأَدَّاهُ
 أَمَلٌ وَاسِعٌ وَحْدَاهُ فَضْلٌ وَإِنْ فَلْ وَهْدَاهُ رَأْيٌ وَإِنْ
 ضَلَّ ثُمَّ لَمْ يُلْقِ إِلَّا فِي آلِ مِيكَالَ رَحْلَهُ وَلَمْ يَصِلْ إِلَّا بِهِمْ
 حَبْلَهُ وَلَمْ يَنْظُرْ إِلَّا فِيهِمْ شِعْرَهُ وَلَمْ يَقِفْ إِلَّا عَلَيْهِمْ
 شُكْرُهُ ثُمَّ مَا بَعْدَتْ صَحْبَةً إِلَّا دَنَتْ مَهَانَةً وَلَا زَادَتْ حُرْمَةً
 إِلَّا تَقَصَّتْ صَيَانَةً وَلَا تَصَاعَفَتْ مِنْهُ إِلَّا تَرَاجَعَتْ مَنْزِلَةً
 حَتَّى صَارَ وَابِلُ الْأَعْظَامِ قَطْرَةً وَعَادَ قَبِيصُ الْقِيَامِ
 صُدْرَةً وَدَخَلَتْ مَجْلِسُهُ وَحَوْلَهُ مِنَ الْأَعْدَاءِ كَتِيبَةٌ فَصَارَ
 ذَلِكَ الْقَرِيبُ أَرْوَرًا وَذَلِكَ السَّلَامُ اخْتِصَارًا وَالْإِهْتِزَازُ
 إِيْمَاءً وَالْعِبَارَةُ إِشَارَةً وَحِينَ عَاتَبْتُهُ أَمَلٌ إِعْنَابُهُ
 وَكَاتَبْتُهُ أَنْتَظِرْ جَوَابَهُ وَسَأَلْتُهُ أَرْجُو إِجَابَتَهُ أَجَابَ بِالسُّكُوتِ

فَمَا أَزِدْتُ لَهُ إِلَّا وَلَاَةً وَعَلَيْهِ إِلَّا ثَنَاءٌ لَا جَرَمَ لِي الْيَوْمَ
 أَيْضُ وَجْهِ الْعَهْدِ وَاضِحٌ حُجَّةُ الْوُدِّ طَوِيلُ لِسَانِ
 الْقَوْلِ رَفِيعُ حُكْمِ الْعُذْرِ وَقَدْ حَبَلْتُ فَلَانًا مِنَ الرِّسَالَةِ
 مَا تَجَافَى الْقَلَمُ عَنْهُ وَالْأَمِيرُ الرَّئِيسُ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ
 يَنْعِمُ بِالْإِصْغَاءِ لَهَا يُورِدُهُ مُوقِفًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
 وله إلى القاسم الكرجي

أَنَا أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الشَّيْخِ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ وَإِنْ لَمْ
 أَلْقَ تَطَاوُلَ الْأَخْوَانِ إِلَّا بِالتَّطَوُّلِ وَتَحَامُلَ الْأَحْرَارِ
 إِلَّا بِالتَّحَمُّلِ أَحَاسِبُ الشَّيْخِ أَيْدَهُ اللَّهُ عَلَى أَخْلَاقِهِ ضِنًا
 بِمَا عَقِدْتُ يَدِي عَلَيْهِ مِنْ الظَّنِّ بِهِ وَالتَّقْدِيرِ فِي مَذْهَبِهِ
 وَلَوْلَا ذَلِكَ لَفُلْتُ فِي الْأَرْضِ مَجَالًا إِنْ ضَافَتْ ظِلَالُكَ
 وَفِي النَّاسِ وَاصِلٌ إِنْ رَمَتْ حِبَالُكَ وَأُؤَاخِذُهُ بِأَفْعَالِهِ
 فَإِنْ أَعَارَنِي أَدْنَا وَاعِيَةً وَنَفْسًا مُرَاعِيَةً وَقَلْبًا مُتَعِظًا
 وَرُجُوعًا عَنْ ذَهَابِهِ وَنُزُوعًا عَنْ هَذَا الْبَابِ الَّذِي يَفْرَعُهُ
 وَنُزُولًا عَنِ الصُّعُودِ الَّذِي يَفْرَعُهُ فَرَشْتُ لِمُودَّتِهِ خِيَانًا
 صَدْرِي وَعَقَدْتُ عَلَيْهِ جَوَامِعَ خَصْرِي وَمَجَامِعَ غُرِّي
 وَإِنْ رَكِبَ مِنَ التَّعَالِي غَيْرَ مَرْكَبِهِ وَذَهَبَ مِنَ التَّعَالِي

فِي غَيْرِ مَذْهَبِهِ أَفْطَعَتْهُ خِطَّةَ أَخْلَافِهِ وَوَلَّيْنَاهُ جَانِبَ
إِعْرَاضِهِ وَأَنْكَفَأَتْ

لَا أَذُودُ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرٍ قَدْ بَلَوتُ الْهَرَّ مِنْ نَهْرِهِ
فَانِي وَإِنْ كُنْتُ فِي مُقَبَلِ السِّنِّ وَالْعُمرِ قَدْ حَلَبْتُ شَطْرِي
الْذَهْرَ وَرَكِبْتُ ظَهْرِي الْبَرَّ وَالْبَحْرَ وَأَتَيْتُ وَفْدِي الْخَيْرِ
وَالشَّرِّ وَصَافَحْتُ يَدِي النِّعَ وَالضَّرَّ وَضَرَبْتُ إِبْطِي
الْعُسْرَ وَالْيُسْرَ وَبَلَوتُ طَعْمِي الْحَلْوَ وَالْهَرَّ وَرَضِعْتُ
ضَرْعِي الْعُزْفَ وَالنُّكْرَ فَمَا تَكَادُ أَيَّامُ تَرْبِيَّتِي مِنْ أَعْمَالِهَا
غَرِيًّا وَتُسْبِعُنِي مِنْ أَحْوَالِهَا عَجِيًّا وَلَقِيتُ الْأَفْرَادَ
وَطَرَحْتُ الْأَحَادَ فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا إِلَّا مَلَأْتُ حَافَتِي سَمْعِهِ
وَبَصَرِهِ وَشَغَلْتُ حِزِّي فِكْرِهِ وَنَظَرِهِ وَأَثْقَلْتُ كِفَتَهُ فِي
الْحَزَنِ وَكِفَتَهُ فِي الْوِزَنِ وَوَدَّ لَوْ بَادَرَ الْقِرْنَ صَحِيفَتِي
أَوْ لَقِيَ صَحِيفَتِي فَمَا لِي صَغُرْتُ هَذَا الصِّغَرُ فِي عَيْنِهِ وَمَا الَّذِي
أَزْرَى بِي عِنْدَهُ حَتَّى أَخْتَبَ وَقَدْ قَصَدْتُهُ وَلَزِمَ أَرْضَهُ وَقَدْ
حَضَرْتُهُ أَنَا أَحَاشِيهِ أَنْ يَجْهَلَ قَدْرَ الْفَضْلِ أَوْ يَجِدَّ فَضْلَ
الْعِلْمِ أَوْ يَنْتَطِي ظَهْرُ النَّبِيِّ عَلَى أَهْلِيهِ وَأَسْأَلُهُ أَنْ
يَخْتَصِّنِي مِنْ بَيْنِهِمْ بِفَضْلِ إِعْظَامِ إِنْ زَلَّتْ بِي مَرَّةً قَدَمٌ فِي

فَصَدِّهِ وَكَأَنِّي بِهِ قَدْ غَضِبَ لِهَذِهِ الْمُخَاطَبَةِ الْمُتَحِفَّةِ وَالرُّتْبَةِ
الْمُتَحِفَّةِ وَهُوَ فِي جَنْبِ جَفَائِهِ يَسِيرُ فَإِنْ أَفْلَحَ عَنْ عَادَتِهِ
وَنَزَعَ عَنْ شَيْئِهِ فِي الْجَفَاءِ فَأَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْأُسْتَاذِ
الْفَاضِلِ وَأَدَامَ عِزَّهُ وَتَأَيَّدَهُ

وكتب الجاحظ الى قليب المغربي

وَاللَّهِ يَا قَلِيبُ لَوْلَا أَنَّ كَبِيدِي فِي هَوَاكَ مَقْرُوحَةٌ
وَرَوْحِي بِكَ مَجْرُوحَةٌ لَسَاجَلْتُكَ هَذِهِ الْقَطِيعَةَ وَمَادَدْتُكَ
حَبْلَ الْبُصَارَةِ وَأَرْجُو أَنْ اللَّهُ تَعَالَى يُدِيلُ صَبْرِي مِنْ
جَفَائِكَ فَيَرْدُّكَ إِلَى مَوَدَّتِي وَأَنْفُ الْقَلِي رَاغِبٌ فَقَدْ طَالَ
الْعَهْدُ بِالْإِجْتِمَاعِ حَتَّى كِدْنَا تَسَاكُرُ عِنْدَ الْإِلْتِقَاءِ

وكتب بعضهم

لَوْ كَانَتْ الشُّكُوكُ مُخْتَلِجِي فِي صِحَّةِ مَوَدَّتِكَ وَكَرِيمِ
إِخَائِكَ وَدَوَامِ عَهْدِكَ لَطَالَ عَنِّي عَلَيْكَ فِي تَوَاتُرِ كُنْيَ
وَأَحْبَابِ جَوَابَاتِي عَنِّي وَلَكِنَّ الثِّقَةَ بِهَا تَقْدَمُ عِنْدِي تَعْذِيرُكَ
وَتَحْسِنُ مَا يُفِجُّهُ جَفَاؤُكَ وَاللَّهُ يُدِيمُ نِعْمَتَهُ لَكَ وَلَنَا بِكَ

وكتب آخر الى بعض إخوانه

أَلْهَبَكَ اللَّهُ مِنَ الرُّشْدِ بِحَسَبِ مَا مَنَحَكَ مِنَ الْفَضْلِ

لَوْ أَنَّ كُلَّ مَنْ نَازَعَ إِلَى الصَّرْمِ فَلَدْنَاهُ عِنَانَ الْهَجْرِ لَكُنَّا أَوْلَى
بِالذَّنْبِ مِنْهُ وَلَكِنْ تَرُدُّ عَلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ وَنَأْخُذُ لَهَا مِنْكَ

وكتب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذي الجناحين

إلى بعض إخوانه

أَمَا بَعْدُ فَقَدْ عَاقَنِي الشُّكُّ فِي أَمْرِكَ عَنْ عَزِيمَةِ الرَّأْيِ
فِيكَ أَبَدًا تَنِي بِلُطْفٍ عَنْ غَيْرِ خَبْرَةٍ وَأَخْفَبَتْهُ جَفَاءٌ مِنْ غَيْرِ
ذَنْبٍ فَأُطْمَعِنِي أَوْلَكَ فِي إِخَائِكَ وَأَيَّاسِي آخِرَكَ مِنْ
وَفَائِكَ فَسُبْحَانَ مَنْ لَوْ شَاءَ لَكَشَفَ مِنْ أَمْرِكَ عَنْ عَزِيمَةِ
الرَّأْيِ فِيكَ فَأَقَمْنَا عَلَى أَثِيلَافٍ وَافْتَرَقْنَا عَلَى أَخْيَلِافٍ

وكتب أحمد بن يوسف إلى بعضهم

لَوْ لَا حُسْنُ الظَّنِّ بِكَ أَعَزَّكَ اللَّهُ لَكَانَ فِي إِغْصَاءِكَ
عَنِّي مَا يَقْبِضُنِي عَنِ الطَّلِبَةِ إِلَيْكَ وَلَكِنْ أَمْسَكَ بِرَمَقٍ مِنْ
الرَّجَاءِ عَلَيَّ بِرَأْيِكَ فِي رِعَايَةِ الْحَقِّ وَبَسْطِ يَدِكَ إِلَى
الَّذِي لَوْ قَبِضْتَهَا عَنْهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَّا كَرَمُكَ مُذَكِّرًا
وَسُودَ دُكِّ شَافِعَا

وكتب العنابي إلى بعض إخوانه

لَوْ أَعْنَصَمَ شَوْفِي إِلَيْكَ بِمِثْلِ سُلُوكِ عَنِّي لَمْ أَبْذُلْ وَجْهَ

الرَّغْبَةِ إِلَيْكَ وَلَمْ أَتَجَسَّمْ مَرَارَةً نَهَادِيكَ وَلَكِنْ اسْتَخَفَّنَا
صَبَابَتُنَا فَأَحْبَلْنَا فُسُوتَكَ لِعَظِيمِ قَدْرِ مَوَدَّتِكَ وَأَنْتَ
أَحَقُّ مِنْ أَقْصَى لِيَصِلَتْنَا مِنْ جَفَائِهِ وَلِشَوْقِنَا مِنْ إِبْطَائِهِ

وكتب أبو بكر الخوارزمي إلى صديق له لما تخلص من يد محمد بن ابراهيم

كِتَابِي وَقَدْ خَرَجْتُ مِنَ الْبَلَاءِ خُرُوجَ السَّيْفِ مِنْ
الْجَلَاءِ وَبُرُوزَ الْبَدْرِ مِنَ الظُّلُمَاءِ وَقَدْ فَارَقْتَنِي الْحَيَّةُ
وَهِيَ مُفَارِقٌ لَا يُشْتَاقُ إِلَيْهِ وَوَدَّعْتَنِي وَهِيَ مُودِّعٌ لَا يَبْكِي
عَلَيْهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى مَحْنَةِ بَجَلِيهَا وَنِعْمَةِ بِيْلِيهَا
وَيُولِيهَا كُنْتُ أَتَوَقَّعُ أَنَّ كِتَابَ الشَّيْخِ بِالنَّسْلِيَةِ وَالْيَوْمَ
بِالنَّهْنِيَةِ فَلَمْ يَكُنْ بِي فِي أَيَّامِ الْبُرْحَاءِ بِأَنْهَا غَمَّتْهُ وَلَا
فِي أَيَّامِ الرِّخَاءِ بِأَنْهَا سَرَّتْهُ وَقَدْ أَعْذَرْتُ عَنْهُ إِلَى نَفْسِي
وَجَادَلْتُ عَنْهُ قَلْبِي فَقُلْتُ أَمَا إِخْلَالُهُ بِالْأُولَى فَلِأَنَّهُ شَغَلَهُ
الْإِهْتِمَامُ بِهَا عَنِ الْكَلَامِ فِيهَا وَأَمَا تَغَافُلُهُ عَنِ الْآخِرَى فَلِأَنَّهُ
أَحَبَّ أَنْ يُوفِّرَ عَلَى مَرْتَبَةِ السَّابِقِ إِلَى الْإِبْتِدَاءِ وَيَقْتَصِرَ بِنَفْسِهِ
عَلَى مَحَلِّ الْإِفْتِدَاءِ لِتَكُونَ نِعَمُ اللَّهِ سَجَانَهُ عَلَى مَوْفُورَةٍ مِنْ
كُلِّ جِهَةٍ وَمَحْفُوفَةٍ بِي مِنْ كُلِّ رُتْبَةٍ فَإِنْ كُنْتُ أَحْسَنْتُ
الْإِعْذَارَ عَنْ سَيِّدِي فَلْيَعْرِفْ لِي حَقُّ الْإِحْسَانِ وَلْيَكْتُبْ

إِلَيَّ بِالْإِسْتِحْسَانِ وَإِنْ كُنْتُ أَسَاثُ فَلْيُخَبِّرْنِي بِعُذْرِهِ فَإِنَّهُ
أَعْرَفُ مِنِّي بِسِرِّهِ وَلَيَرْضَى مِنِّي بِأَنِّي حَارَبْتُ عَنْهُ فَلِي
وَأَعْتَذَرْتُ عَنْ ذَنْبِهِ حَتَّى كَانَهُ ذَنْبِي وَقُلْتُ يَا نَفْسِ اعْذِرِي
أَخَاكَ وَخُذِي مِنْهُ مَا أُعْطَاكَ فَمَعَ الْيَوْمَ غَدٌ وَالْعَوْدُ أَحَدٌ

—••••—

فَصْلٌ

فِي التَّصَلُّ

كتب ابن الرومي إلى القاسم بن عبيد الله

تَرَفَّعَ عَنْ ظُلْمِي إِنْ كُنْتُ بَرِيئًا وَتَفَضَّلَ بِالْعَفْوِ إِنْ
كُنْتُ مُسِيئًا فَوَاللَّهِ إِنْ لَمْ أَطْلُبْ عَفْوَ ذَنْبِي لَمْ أَجْنِهِ وَالسَّيِّئُ
الْإِقَالَةَ مِمَّا لَا أَعْرِفُهُ لِيَزْدَادَ تَطَوُّلاً وَأَزْدَادَ تَذَلُّلاً وَأَنَا
أَعِذُ حَالِي عِنْدَكَ بِكَرَمِكَ مِنْ وَاشِ يَكِيدُهَا وَأَحْرُسُهَا
بِوَفَائِكَ مِنْ بَاغٍ يُجَاوِلُ إِفْسَادَهَا وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ
يَجْعَلَ حَظِّي مِنْكَ بِقَدَرِ وُدِّي لَكَ وَمَحَلِّي مِنْ رَجَائِكَ بِحَيْثُ
أَسْتَحِقُّ مِنْكَ

وكتب آخر إلى بعضهم

أَنْتَ أَعَزُّكَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِالْعَفْوِ وَالْعُقُوبَةِ مِنْ أَنْ تُجَازِيَنِي

بِالسُّوءِ عَلَى ذَنْبٍ لَمْ أَجْنِهِ يَدِي وَلَا لِسَانِي بَلْ جَنَاهُ عَلَيَّ لِسَانِي
وَأَشْيَ . فَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّكَ لَا تُسَهِّلُ سَبِيلَ الْعُذْرِ فَأَنْتَ أَعْلَمُ
بِالْكَرَمِ وَأَرْغَى لِلْحَقُوفِ وَأَقْعَدُ بِالشَّرَفِ وَأَحْفَظُ لِذِمَّتِهِ مِنْ
أَنْ تَرُدَّ يَدَ مُؤْمِلِكَ صِفْرًا مِنْ عَفْوِكَ إِذَا التَّمَسَّهُ وَمِنْ عُدْرِكَ
إِذَا جَعَلَ فَضْلَكَ شَافِعًا فِيهِ وَذَرِيعَةً لَهُ

وكتب بديع الزمان المهندي إلى أبي علي بن مشكويه

وَيَا عَزَّازَ إِنِّ وَأَشْيَ وَشَيْ لِي عِنْدَكُمْ
فَلَا تُهْلِكْهُ أَنْ تُقُولَ لَهُ مَهَلًا
كَمَا كُنَّا وَشَيْ وَأَشْيَ بَعْدَ عِنْدَنَا

لَقُلْنَا تَزْحَرْخُ لَا قَرِيًّا وَلَا أَهْلًا
بَلَّغْنِي أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الشَّيْخِ أَنَّ عَقْرَبَ الشَّرِّ دَبَّتْ إِلَيْهِ
بِأَحَادِيثَ لَمْ يُعْرِهَا أَلْحَقُ نُورُهُ وَلَا الصِّدْقُ ظُهُورُهُ وَأَنَّهُ
أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ أَذِنَ لَهَا عَلَى مَجَالِ أُذُنِهِ وَفَسَحَ لَهَا فِتَاءَ ظَنِّهِ
وَمَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أَقُولَهَا وَأَسْتَحْيِرَ مَعْقُولَهَا بَلْ قَدْ كَانَ
بَيْنِي وَبَيْنَ الشَّيْخِ الْفَاضِلِ عِنَابٌ لَا يَتَعَدَّى النَّفْسَ وَضَمِيرَهَا
وَحَدِيثٌ لَا يَعْرِفُ الشُّفَّةَ وَسَبِيرَهَا وَوَحْشَةٌ يَكْشِفُهَا عِنَابُ
لَحْظِهِ كَعِتَابِ جَحْظَةٍ فَسُبْحَانَ مَنْ رَبِّي هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى

صَارَ أَمَوًا وَتَأَبَّطَ شَرًّا وَأَوْجَبَ عُذْرًا وَأَوْحَشَ حُرْمًا
 وَسُبَّحَانَ مَنْ جَعَلَنِي فِي جَنْبِ الْعَدُوِّ أَشِيمُ بَارِقَتَهُ وَأَسْتَجْلِي
 صَاعِقَتَهُ وَأَنَا الْهَسَاءُ إِلَيْهِ وَالْعَجَبِيُّ عَلَيْهِ لَكِنْ مِنْ بُلِي
 مِنَ الْأَعْدَاءِ بِبَيْتِي مَا بَلِيْتُ وَرُمِي مِنَ الْخَسَدِ بِهَا رُمِيْتُ
 وَوَقَفْتُ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالْوَحْدَةِ حَيْثُ وَقَفْتُ وَأَجْمَعُ عَلَيْهِ
 مِنَ الْمَكَارِهِ مَا وَصَفْتُ أَعْتَذِرُ مَظْلُومًا وَضَحِكُ مَشْتُومًا
 وَلَوْلَا أَنَّ الْعُذْرَ إِفْرَارٌ بِهَا قِيلَ وَأَكْرَهُ أَنْ أُسْتَقِيلَ
 لَبَسْتُ فِي الْأَعْتِذَارِ شَاذِرًا وَأَنَا وَدَخَلْتُ فِي الْإِسْتِقَالَةِ
 مِيدَانًا لَكِنَّهُ أَمْرٌ لَمْ أَضَعْ أَوَّلَهُ فَلَمْ أَتَدَارِكْ آخِرَهُ وَلَعَلَّ
 الشَّيْخَ أَبَا مُحَمَّدٍ أَبَدَهُ اللَّهُ يَقُومُ مِنَ الْإِعْتِذَارِ بِهَا فَعَدَّ عَنْهُ
 الْقَلَمُ فَنِعْمَ رَائِدُ الْفَضْلِ هُوَ وَالسَّلَامُ

فصل

في الهدح والشكر

كتب أحمد بن مكرم إلى أحمد بن المدبر

إِنَّ جَمِيعَ أَكْفَائِكَ وَنُظَرَائِكَ يَتَنَازَعُونَ الْفَضْلَ فَإِذَا
 أَنْتَهَوْا إِلَيْكَ أَقْرُوا لَكَ وَيَتَنَافَسُونَ الْمَنَازِلَ فَإِذَا بَلَغُوكَ

وَقَفُوا دُونَكَ فَرَادَكَ اللَّهُ وَزَادَنَا بِكَ وَفِيكَ وَجَعَلَنَا مِنْ
يَقْبَلُهُ رَأْيِكَ وَيَقْدِمُهُ اخْتِيَارِكَ وَيَقَعُ مِنَ الْأُمُورِ بِمَوْفِعِ
مُؤَافَقَتِكَ وَيَجْرِي فِيهَا عَلَى سَبِيلِ طَاعَتِكَ

وكتب بعضهم

إِنَّ مِنَ النِّعَةِ عَلَى الْمُتَنِي عَلَيْكَ أَنْ لَا يَخَافَ الْإِفْرَاطَ
وَلَا يَأْمَنَ التَّقْصِيرَ وَيَأْمَنُ أَنْ تَلْحَقَهُ تَقِيسَةُ الْكُذِبِ وَلَا يَتَّهِى
بِالْهَدْحِ إِلَى غَايَةٍ إِلَّا وَجَدَ فَضْلَكَ تَجَاوَزَهَا

وكتب آخر إلى بعضهم

إِنِّي فِيهَا أَتَعَاطَى مِنْ مَدْحِكَ كَأَنِّي أَخْبِرُ عَنْ ضَوْءِ النَّهَارِ
الزَّاهِرِ وَالنَّهْرِ الْبَاهِرِ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَى كُلِّ نَاطِقٍ
وَأَيُّنْتُ أَنِّي حَيْثُ أَتَيْتُ فِي الْقَوْلِ مَنْسُوبٌ إِلَى الْعِجْزِ مُقْصِرٌ
عَنِ الْغَايَةِ فَأَنْصَرَفْتُ مِنَ الثَّنَاءِ عَلَيْكَ إِلَى الدُّعَاءِ لَكَ
وَوَكَّلْتُ الْإِخْبَارَ عَنْكَ إِلَى أَعْلَمِ النَّاسِ بِكَ

وكتب أبو الفضل بدیع الرمان المهداني إلى الشيخ الإمام أبي
الطيب سهل

وَلَمَّا وَقَعَ بِخُرَّاسَانَ مَا وَقَعَ مِنْ حَرْبٍ وَجَرَى مَا جَرَى
مِنْ خَطْبٍ وَأَضْطَرَّتْ الْأُمُورُ وَأَخْلَفَتِ السُّيُوفُ وَالْتَفَتِ

الْجُمُوعُ وَظَفِرَ مَنْ ظَفِرَ وَخَسِرَ مَنْ خَسِرَ كَتَبَنِي اللَّهُ فِي
 الْأَعْلِينَ مَقَامًا ثُمَّ الْهَمَنِي الْأَمْتِدَادَ عَنْ تِلْكَ الْبِلَادِ
 وَالْإِفْلَاحَ عَنْ تِلْكَ الْبِقَاعِ وَأَحْسَنَ اللَّهُ الدِّفَاعَ عَنْ
 خَيْرِ الْأَعْلَاقِ وَهُوَ الرَّاسُ بِهَا دُونَ الْأَعْرَاضِ وَهُوَ اللَّيَاسُ
 فَلَمْ نَجْزَعْ لِمَرَضِ الْحَالِ مَعَ سَلَامَةِ النَّفُوسِ وَلَمْ نَحْزَنْ
 لِنَهَابِ الْمَالِ مَعَ بَقَاءِ الرُّؤُوسِ وَسِرْنَا حَتَّى وَرَدْنَا
 عَرَصَةَ الْعَدْلِ وَسَاحَةَ الْفَضْلِ وَمَرْبِعَ الْحَمْدِ وَمَشْرَعَ
 الْحُجْدِ وَمَطْلَعَ الْحُجُودِ وَمَنْزِعَ الْأَصْلِ وَمَشْعَرَ الدِّينِ وَمَفْرَعَ
 الشُّكْرِ وَمَصْرَعَ الْفَقْرِ حَضْرَةَ الْهَلِكِ الْعَادِلِ أَبِي أَحْمَدَ
 خَلَفَ بْنِ أَحْمَدَ فَكَانَ مَا أَضَعْنَاهُ كَأَنَّا زَرَعْنَاهُ فَأَنْبَتَ
 سَبْعَ سَنَابِلَ وَكَانَ مَا فَقَدْنَاهُ كَأَنَّا أَفْرَضْنَاهُ هَذَا الْهَلِكُ
 الْعَادِلُ وَكَأَنَّمَا سَمِيَّ خَلَفًا لِيَكُونَ عَنْ كُلِّ فَائِتٍ خَلَفًا
 وَعَنْ كُلِّ مَا مَضَى عِوَضًا وَكَأَنَّمَا جِئْنَاهُ لِيُضِيقَ عَلَيْنَا الْعَالَمَ
 وَيُبَغِضَ إِلَيْنَا بَنِي آدَمَ فَيَجْعَلَ حَسَنًا سَجِسْتَانًا وَقِيدَنَا
 الْإِحْسَانَ وَكَأَنَّمَا خُلِقَ لِلدُّنْيَا تَحْيِيلًا وَلِلْمُلُوكِ تَحْيِيلًا
 وَكَأَنَّ هَذَا الْعَالَمَ قَدْ أَحْسَنَ عَمَلًا فَجُعِلَ هَذَا الْهَلِكُ
 ثَوَابَهُ وَكَأَنَّ هَذَا الْهَلِكُ قَدْ أَذْنَبَ مَثَلًا فَجُعِلَ هَذَا الْعَالَمُ

عِقَابُهُ فَهُوَ الْجَرُّ يَبْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَالْعَجْدُ يَتَصَوَّرُ فِي
 الْعَيْنِ وَالْعَدْلُ يَنْقَسِمُ وَالْجُودُ يَنْجَسِمُ وَالْجَرُّ يَكَلِّمُ
 فَلَمَّا التَقِينَا فَرَشْتُ الْأَرْضَ بِيَدَيَّ فَرَشْنَا وَتَقَشَّتْ التُّرَابَ
 بِيَدِي تَقَشًّا وَخَطَا إِلَى خَطَوَاتِ كَادَتِ الْأَرْضُ لَا تَسْعَاهَا
 وَكَادَتِ الْهَلَاكَةَ تَرْفَعُهَا ثُمَّ إِنَّهُ زَيْفٌ بِلِقْيَايَ وَفُودَ الْكَلَامِ
 كَمَا زَيْفَتْ بِلِقْيَاهُ مُلُوكَ الْأَنَامِ وَأَفْسَدَنِي عَلَى النَّاسِ مِنْ
 جَمِيعِ الْأَجْنَاسِ فَمَا أَرْضَى غَيْرَهُ أَحَدًا وَلَا أَجِدُ مِثْلَهُ
 أَبَدًا وَإِنْ طَلَبْتُ مَلِكًا فِي أَخْلَافِهِ مِثِّي وَلَمْ أَلَا فِيهِ
 أَوْ كَرِيمًا فِي جُودِهِ عُدِمْتُ قَبْلَ وَجُودِهِ فَحَرَسَ اللَّهُ
 سُلْطَانَهُ مِنْ مَلِكٍ وَسِعَ أَرْوَاقِي فَضِيقَ أَخْلَاقِي وَأَغْلَى
 ثَنِي فَمَا يَشْتَرِينِي أَحَدٌ وَعَظَّمَ أَمْرِي فَمَا يَسْعُنِي بَلَدٌ وَهَذَا
 وَصَفْتُ إِنْ أَطْلَعْتُهُ طَالَ وَنَشَرَ الْأَذْيَالَ وَأَسْتَغْرِقَ
 الْقِرْطَاسَ بَلِ الْأَنْفَاسَ وَأَسْتَفِدَّ الْأَعْيَارَ بَلِ الْأَعْصَارَ
 وَلَمْ يَلْغُ الْمِيعَارَ وَأَفْنَى الْأَقْلَامَ بَلِ الْكَلَامَ وَلَمْ
 يَلْغُ النَّهَامَ

وكتب الحسن بن وهب إلى بعضهم

مَنْ شَكَرَكَ عَلَى دَرَجَةٍ رَفَعْتَهُ إِلَيْهَا أَوْ ثَرَوَةٍ أَفْزَرْتَهُ

عَلَيْهَا فَإِنَّ شُكْرِي لَكَ عَلَى مُهْجَةِ أَحْيَيْتَهَا وَحُشَاشَةِ أَبْقَيْتَهَا
وَرَمَقِ أَمْسَكَتَ بِهِ وَقُفْتَ بَيْنَ الثَّلَفِ وَبَيْنَهُ فَلِكُلِّ نِعْمَةٍ مِنْ
نِعَمِ الدُّنْيَا حَدِّثْنِي إِلَيْهِ وَمَدَى يُوقِفُ عِنْدَهُ وَغَايَةَ مِنَ الشُّكْرِ
يَسْمُو إِلَيْهَا الطَّرْفُ خَلَا هَذِهِ النِّعْمَةَ الَّتِي قَدْ فَاقَتْ الوَصْفَ
وَأَطَالَتِ الشُّكْرَ وَتَجَاوَزَتْ قُدْرَهُ وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ غَايَةٍ
رَدَدْتَ عَنَّا كَيْدَ الْعَدُوِّ وَأَرْغَمْتَ أَنْفَ الْحَسُودِ فَتَحْنُ نَلْبَا
مِنْكَ فِيهَا إِلَى ظِلِّ ظَلِيلٍ وَكَنْفٍ كَرِيمٍ فَكَيْفَ يَشْكُرُ الشَّاكِرُ
وَأَيْنَ يَبْلُغُ جَهْدَ الْمُجْتَهِدِ

وكتب أبو الفضل الميكالي إلى بعضهم من رسالة

فَأَمَّا الشُّكْرُ الَّذِي أَعَارَنِي رِكَائِهِ وَقَلَّدَنِي طَوْقَهُ وَسَنَاءَهُ
فَهَيَّاتِ أَنْ يَنْتَسِبَ إِلَّا إِلَى عَادَاتِ فَضْلِهِ وَإِفْضَالِهِ أَوْ
يَسِيرَ إِلَّا تَحْتَ رَايَاتِ عُرْفِهِ وَنَوَالِهِ وَهُوَ ثَوْبٌ لَا يَجْلَى إِلَّا
بِذِكْرِهِ طِرَازُهُ وَأَسْمُهُ لَهُ حَقِيقَتُهُ وَلِسَوَاهُ حَجَّازُهُ وَلَوْ أَنَّهُ حِينَ
مَلَكَ رَفِي بِأَيْدِيهِ وَأَنْجَزَ وَسْعِي عَنْ حُقُوقِ مَكَارِمِهِ وَمَسَاعِيهِ
خَلَّى لِي مَذْهَبَ الشُّكْرِ وَمِيدَانَهُ وَلَمْ يُجَاذِبْنِي زِمَامُهُ وَعِثَانَهُ
لَتَعَلَّقْتُ فِي بُلُوغِ بَعْضِ الْوَاجِبِ بِعُرْوَةِ طَمَعٍ وَنَهَضْتُ
فِيهِ وَلَوْ عَلَى وَهْنٍ وَظَلَعٍ وَلَكِنَّهُ يَا بِي إِلَّا أَنْ يَسْتَوْلِيَ عَلَى

أَمَدِ الْفَضَائِلِ وَيَتَسَمَّ ذِرَى الْغَوَارِبِ مِنْهَا وَالْكَوَاهِلِ فَلَا
يَدْعُ فِي الْعَبْدِ غَايَةً إِلَّا سَبَقَ إِلَيْهَا فَارِطًا وَتَخَلَّفَ سِوَاهُ
عَنْهَا حَسِيرًا سَاقِطًا لِتَكُونَ الْعَالِي بِأَسْرِهَا مَجْمُوعَةً فِي
مِلْكِهِ مَنْظُومَةً فِي سِلْكِهِ خَالِصَةً لَهُ مِنْ دَعْوَى الْقَسِيمِ
وَشَرِكِهِ

فَصْلٌ

فِي الْعِبَادَةِ

كتب بعضهم الى صديق له

كَيْسَتْ حَالِي أَكْرَمَكَ اللَّهُ فِي الْأَغْثِيَامِ بِعِلَّتِكَ حَالُ
الْمُشَارِكِ فِيهَا بِأَنْ يَبَالَنِي نَصِيبٌ مِنْهَا وَأَسْلَمَ مِنْ أَكْثَرِهَا
بَلْ أَجْنَعَ عَلَيَّ مِنْهَا أَنِّي مَخْصُوصٌ بِهَا دُونَكَ مُؤَامٌ مِنْهَا بِهَا
يُؤَلِّهِكَ فَاسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي جَعَلَ عَافِيَتِي فِي عَافِيَتِكَ أَنْ
يُخْصِنِي بِهَا فِيكَ فَإِنَّهَا شَامِلَةٌ لِي وَلَكَ

وكتب بعضهم

لَمَّا تَخَلَّفْتُ عَنْ عِبَادَتِكَ بِالْعُذْرِ الْوَاضِحِ مِنَ الْعِلَّةِ مَا
أَغْفَلَ أَقْلِي ذِكْرَكَ وَلَا لِسَانِي فَحْصًا عَنْ خَيْرِكَ وَمُحِبِّكَ يُحِبُّ

أَنْ تَقْسَمَ جَوَارِحُهُ وَصَبَّكَ وَإِنْ زَادَ فِي أَلَمِهَا أَلَمُكَ وَأَنْ
تَصِلَ بِهِ أَحْوَالَكَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَلَهَا بَلْغَنِي إِفَاقَتَكَ
كَتَبْتُ مُهَيَّئًا بِالْعَافِيَةِ مُعْنِيًا مِنَ الْجَوَابِ إِلَّا بَخِيرَ السَّلَامَةِ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ

وكتب بعضهم

إِنَّ الَّذِي يَعْلَمُ حَاجَتِي إِلَى بَقَائِكَ قَادِرٌ عَلَى الدَّفَاعَةِ
عَنْ حَوْبَاتِكَ فَلَوْ قُلْتُ إِنَّ الْحَقَّ قَدْ سَطَعَ عَنِّي فِي عِبَادَتِكَ
لَأَنِّي عَلِيلٌ بِعِلَّتِكَ لَقَامَ بِذَلِكَ شَاهِدٌ عَدْلٌ فِي ضَمِيرِكَ وَأَثَرٌ
بَادٍ فِي حَالِي لِغَيْبَتِكَ وَأَصْدَقُ الْخَبَرِ مَا حَقَّقَهُ الْأَثَرُ وَأَفْضَلُ
الْقَوْلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ مِنَ الْفِعْلِ

وكتب ابن الرومي الى بعضهم

أَذِنَ اللَّهُ فِي شِفَائِكَ وَتَلَقَّى دَاءَكَ بِدَوَائِكَ وَمَسَحَ
بِيَدِ الْعَافِيَةِ عَلَيْكَ وَوَجَّهَ وَفَدَ السَّلَامَةَ إِلَيْكَ وَجَعَلَ
عَلَيْكَ مَاحِيَةً لِلذُّنُوبِ مَضَاعِفَةً لِلثَّوَابِ

وكتب ابو بكر الخوارزمي الى تلميذه

وَصَلَ كِتَابُكَ يَا سَيِّدِي فَسَرَّنِي نَظْرِي إِلَيْهِ ثُمَّ غَمَّنِي
اطِّلَاعِي عَلَيْهِ لِمَا تَضَمَّنَهُ مِنْ ذِكْرِ عَلَيْكَ جَعَلَ اللَّهُ أَوَّلَهَا

كَفَّارَةً وَآخِرَهَا عَافِيَةً وَلَا أَعْدَمَكَ عَلَى الْأُولَى أَجْرًا وَعَلَى
 الْآخِرَى شُكْرًا وَيُودِي لَوْ قَرَّبَ عَلَيَّ مُتَنَاوِلُ عِيَادَتِكَ
 فَأَحْبَلْتُ عَنْكَ بِالْتَّعَهُدِ وَالْمُسَاعَدَةِ بَعْضَ أَعْبَاءِ عَلَيْكَ
 فَلَقَدْ خَصَّنِي مِنْ هَذِهِ الْعِلَّةِ فِئْتُمْ كَفْسِيكَ وَمَرَضَ قَلْبِي
 فِيكَ لِمَرَضِ جِسْمِكَ وَأُظِنُّ أَنِّي لَوْ لَقَيْتُكَ عَلِيلًا لَا أَنْصَرَفْتُ
 عَنْكَ وَأَنَا أَعْلَى مِنْكَ فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى جَلَدَ عَلَى
 أَوْجَاعِ أَعْضَائِي غَيْرُ جَلَدٍ عَلَى أَوْجَاعِ أَصْدِقَائِي يَسُو
 عَنِّي سَهْمُ الدَّهْرِ إِذَا رَمَانِي وَيَنْفُذُ فِي إِذَا رَمَى إِخْوَانِي
 فَأَقْرَبُ سِهَامِي مِنِّي أَبْعَدُ سِهَامِي عَنِّي كَمَا أَنَّ أَبْعَدَهَا عَنِّي
 أَقْرَبُهَا مِنِّي شَفَاكَ اللَّهُ وَعَافَاكَ وَكَفَانِي فِيكَ الْعُذُورَ
 وَكَفَانَاكَ وَرَفَعَ جَنْبِكَ وَغَفَرَ ذَنْبَكَ وَأَمَّنَ سِرْبَكَ
 وَشَرَحَ قَلْبَكَ وَأَعْلَى كَعْبَكَ

فَصْلٌ
 فِي الْإِهْدَاءِ

كتب سعيد بن حميد الى بعض اهل السلطان في يوم البيروز
 أيها السيد الشريف عشت أطول الأعصار بز يادة من

الْعَبْرَ مَوْصُولَةٍ بِفَرَائِضِهَا مِنَ الشُّكْرِ لَا يَنْقُضِي حَقَّ نِعْمَةٍ
 حَتَّى يَجْدَدَ لَكَ أُخْرَى وَلَا يَهْرُ بِكَ يَوْمٌ إِلَّا كَانَ مُقْصِرًا
 عَمَّا بَعْدَهُ مُوفِيًا عَمَّا قَبْلَهُ. إِنِّي تَصَنَّنْتُ أَحْوَالَ الْأَتْبَاعِ الَّذِينَ
 يَجِبُ عَلَيْهِمُ الْهَدَايَا إِلَى السَّادَةِ وَالنَّهْسَةِ النَّاسِيَةِ بِهِمْ فِي
 الْإِهْدَاءِ وَإِنْ قَصُرَتْ بِي أَمْحَالٌ عَنِ الْوَاجِبِ فَوَجَدْتُ أَنِّي
 إِنْ أَهْدَيْتُ نَفْسِي فِيهِ مِلْكٌ لَكَ لَا حَظَّ فِيهَا لِغَيْرِكَ. وَرَمَيْتُ
 بِطَرْفِي إِلَى كَرَامٍ مَالِي فَوَجَدْتُهَا مِنْكَ فَإِنْ كُنْتُ أَهْدَيْتُ
 مِنْهَا شَيْئًا فَإِنِّي لَهْدِي مَالَكَ إِلَيْكَ. وَتَزَعْتُ إِلَى مَوَدَّتِي فَوَجَدْتُهَا
 خَالِصَةً لَكَ قَدِيمَةً غَيْرَ مُسْتَحْدَثَةٍ فَرَأَيْتُ إِنْ جَعَلْتُهَا هَدِيَّتِي
 أَنِّي لَمْ أَجِدْ لِهَذَا الْيَوْمِ التَّجْدِيدَ بَرًّا وَلَا لَطْفًا. وَلَمْ أُمِيزْ
 مَنَزَلَةً مِنْ شُكْرِي بِمَنَزَلَةٍ مِنْ نِعْمَتِكَ إِلَّا كَانَ الشُّكْرُ مُقْصِرًا
 عَنِ الْحَقِّ وَالنِّعْمَةِ زَائِدَةً عَلَى مَا تَبْلُغُهُ الطَّاقَةُ فَجَعَلْتُ الْإِعْتِرَافَ
 بِالْتَّقْصِيرِ عَنِ حَقِّكَ هَدِيَّةً إِلَيْكَ وَالْإِقْرَارَ بِالْتَّقْصِيرِ عَمَّا
 يَجِبُ لَكَ بَرًّا أَوْصَلُ بِهِ إِلَيْكَ وَقُلْتُ فِي ذَلِكَ

إِنْ أَهْدَيْتُ مَا لَا فَهْوَ وَاهِبُهُ وَهُوَ الْحَقِيقُ عَلَيْهِ بِالشُّكْرِ
 أَوْ أَهْدَيْتُ شُكْرِي فَهُوَ مُرْتَبِنٌ بِجَبِيلِ فِعْلِكَ آخِرَ الدَّهْرِ
 وَالشَّمْسُ تَسْتَغْنِي إِذَا طَلَعَتْ أَنْ تَسْتُضِيَ بِسُنَّةِ الْبَدْرِ

وكتب ابراهيم بن المهدي الى صديقه

لَوْ كَانَتْ التَّحَنُّنُ عَلَى حَسَبِ مَا يُوجِبُهُ خُفَّكَ لَا جُفَّ بِنَا
أَدْنَى خُفِّكَ وَلَكِنَّمَا عَلَى قَدَرٍ مَا يُخْرِجُ مِنَ الْوَحْشَةِ وَيُوجِبُ
الْأُنْسَ وَقَدْ بَعَثْتُ بِكَذَا وَكَذَا

فصل

في النهاية

كتب ابو الفضل بن العبد الى عضد الدولة بهشة بولد بن

أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْأَمِيرِ الْأَجَلِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ وَأَدَامَ
عِزَّهُ وَتَأَيَّدَهُ وَعُلُوَّهُ وَتَمَهَّدَهُ وَبَسْطَتَهُ وَتَوَطَّيَّدَهُ وَظَاهَرَ
لَهُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ مَزِيدَهُ وَهَنَاءَهُ بِمَا أَحْظَاهُ بِهِ عَلَى قُرْبِ الْبِلَادِ
مِنْ تَوْفَرِ الْأَعْدَادِ وَتَكَثُّرِ الْأِمْدَادِ وَتَشْرِ الْأَوْلَادِ وَأَرَاهُ
مِنَ النَّجَابَةِ فِي الْبَيْنِ وَالْأَسْبَاطِ مَا أَرَاهُ مِنَ الْكَرَمِ فِي الْأَبَاءِ
وَالْأَجْدَادِ وَلَا أَخْلَى عَيْنَهُ مِنْ قُرَّةٍ وَنَفْسَةٍ مِنْ مَسْرَةٍ
وَمُتَجَدِّدِ نِعْمَةٍ وَمُسْنَأَنَفِ مَكْرَمَةٍ وَزِيَادَةٍ فِي عَدَدِهِ وَفَسَحٍ
فِي أَمْدِهِ حَتَّى يَبْلُغَ غَايَةَ مَهْلِهِ وَيَسْتَغْرِقَ نِهَاطَةَ أَمَلِهِ وَيَسْتَوْفِيَ
مَا بَعْدَ حُسْنِ ظَنِّهِ وَعَرْفَةِ اللَّهِ السَّعَادَةَ فِيمَا بُشِّرَ بِهِ عَبْدُهُ مِنْ

طُلُوعِ بَدْرَيْنِ هُمَا أَنْبَعَا مِنْ نُورِهِ وَأَسْتَنَارَا مِنْ دُورِهِ
وَحَفَا بِسَرِيرِهِ وَجَعَلَ وَفْدَهُمَا مَلَائِكَتَيْنِ وَوَرُودَهُمَا تَوَافُيْنِ
بَشِيرَيْنِ بِنِظَاحِ النِّعَمِ وَتَوَافُرِ الْقِسَمِ وَمُؤَذِّنَيْنِ بِتَرَادُفِ
بَيْنِ يَشْرِقُ بِنُورِهِمْ أَفُقُ الْعِلَاءِ وَيَنْتَهِي بِهِمْ أَمَدُ النَّهَاءِ
إِلَى غَايَةِ تَفُوتِ غَايَةِ الْإِحْصَاءِ

وكتب أبو الفضل بديع الزمان المهناتي إلى طاهر الداودي بهشة بولود
حَقًّا لَقَدْ أَنْجَزَ الْأَقْبَالَ وَعَدَهُ وَوَافَقَ الطَّلَاعُ سَعْدَهُ
وَإِنَّ الشَّانَ لَفِيهَا بَعْدَهُ وَحَبْدًا الْأَصْلُ وَفَرْعُهُ وَبُورِكَ
الْغَيْثُ وَصَوْبُهُ وَأَبْنَعُ الرُّوضُ وَنُورُهُ وَحَبْدًا سَهَابًا أَطْلَعَتْ
فَرْقَدًا وَغَايَةَ أُبْرَزَتْ أَسَدًا وَظَهَرَ وَافَقَ سَنَدًا وَذَكَرَ يَتَقَى
أَبَدًا وَمَجْدٌ يَسْمَى وَلَدًا وَشَرَفٌ لِحِمَةٍ وَسَدَى

أَنْجَبَ كُلِّ مَنْ وَالِدِيهِ بِهِ إِذْ نَجَلَاهُ فَنِعْمَ مَا نَجَلَا
فَأَلْفَيَاهُ شِهَابَ ذُكَاةٍ وَبَدْرَ عِلَاءِ

وَوَجَدَاهُ ابْنَ جَلَا أَيْضَ يُدْعَى الْجَفَلَى
لِيُثْلِهَ أَوْ لَا فَلَا إِذَا النَّدَى أَحْفَلَا

وكتب بعضهم بيني صديقاً له بالقدم من سفر

أَهْنَى سَيِّدِي وَنَفْسِي بِهَا يَسِّرَ اللَّهُ مِنْ قُدُومِهِ سَالِمًا وَأَشْكُرُ

اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ شُكْرًا دَائِمًا غِيَّةُ الْمَكَارِمِ مَقْرُونَةٌ بِغِيَّتِكَ
وَأَوْبَةُ النِّعَمِ مَوْصُولَةٌ بِوَبِّكَ فَوَصَلَ اللَّهُ تَعَالَى قُدُومَكَ
مِنَ الْكِرَامَةِ بِأَضْعَافٍ مَا قَرَنَ بِهِ مَسِيرَكَ مِنَ السَّلَامَةِ

وكتب بعضهم تهنئة بالنيروز

أَقْبَلَ النَّيْرُوزُ إِلَى سَيِّدِنَا نَاشِرًا حُلَّةَ النَّبِيِّ اسْتَعَارَهَا مِنْ
شَيْئَتِهِ وَمُبْدِيًا حِلِيَّةَ النَّبِيِّ اتَّخَذَهَا مِنْ سَجِيَّتِهِ وَمُسْتَضِيًّا مِنْ
أَنْوَارِهِ مَا أَكْتَثَّرَ مِنْ مَحَاسِنِ فَضْلِهِ وَإِكْرَامِهِ وَمِنْ
أَنْظَارِهِ مَا أَقْتَبَسَهُ مِنْ جُودِهِ وَإِنْعَامِهِ وَمَوْكِدًا لِلْوَعْدِ
يَطُولُ بَقَائِهِ حَتَّى يَهْلَ الْعُمْرُ وَيَسْتَغْرِقَ الدَّهْرُ فَلَا زَالَ
يَلْبَسُ إِلَّا يَامَ وَيُلْبِيهَا وَهُوَ جَدِيدٌ وَيَقْطَعُ مَسَافَةَ نَحْسِهَا وَهُوَ
سَعِيدٌ وَلَا زَالَ أَمْرًا نَاهِيًا فَاهِرًا عَالِيًا تَهْيَا الْأَعْيَادُ
بِمُصَادَقَةِ سُلْطَانِهِ وَتَسْتَفِيدُ الْعَمَّاسِينَ مِنْ رِيَاضِ إِحْسَانِهِ

فصل

في الاستزارة

كتب الوزير الكاتب أبو الفضل بن حسداي إلى عبد الرحمن بن طاهر

مَحَلُّكَ أَعَزُّكَ اللَّهُ فِي طَيِّ الْجَوَانِحِ ثَابِتٌ وَإِنْ تَزَحَّتْ

الدَّارُ وَعِيَانُكَ فِي أَحْنَاءِ الصُّلُوعِ بَادٍ وَإِنْ شَحَطَ الْهَزَارُ
 فَالْنَفْسُ فَائِزَةٌ مِنْكَ بِمِثْلِ الْخَاطِرِ بِأَوْفَرِ الْحَظِّ وَالْعَيْنُ
 نَازِعَةٌ إِلَى أَنْ تَمْتَعَ مِنْ لِقَائِكَ بِظَفْرِ الْحَظِّ فَلَا عَائِدَةَ
 أَسْبَغُ بَرْدًا وَلَا مَوْهَبَةً أَسْوَعُ وَرَدًا مِنْ تَفَضُّلِكَ بِأَخْفَفِ
 إِلَى مَا نَسِيَ يَتِمُّ بِشَاهِدِنِكَ الشَّامَةِ وَيَتَّصِلُ بِمَحَاضِرَتِكَ
 أَنْظَامُهُ وَلَكَ فَضْلُ الْأَجْهَالِ بِالْإِمْتِنَاعِ مِنْ ذَلِكَ بِأَعْظَمِ
 الْأَمَالِ وَحَسْبِي مَا تَحَقَّقْتُ مِنْ نِزَاعِي وَتَشَوُّقِي وَتَبَيَّنْتُ مِنْ
 تَطَلُّعِي وَتَوَقُّعِي وَقَدْ تَمَكَّنَ الْإِزْنِيَاخُ بِأَسْتِحْكَامِ الثِّقَةِ
 وَأَعْرَضَ الْإِنْتِزَاجُ بِأَرْتِقَابِ الصِّلَةِ وَأَنْتَ وَصَلَ اللَّهُ سَعْدَكَ
 بِسَمَاحَةِ شَيْبِكَ وَبَارِعِ كَرَمِكَ تُشْنِي لِلْهُؤَانَةِ عَهْدًا
 وَتُورِي بِالْمُكَارَمَةِ زَنْدًا وَتَقْضِي بِالْمُشَارَكَةِ شُكْرًا حَافِلًا
 وَحَدًّا لَا زِلْتَ مَهْنًا بِالسُّعُودِ الْمُتَقَبِّلَةِ مُسَوِّغًا أَجِيلًا
 غُرَّ الْأَمَانِي الْمُتَهَلِّلَةِ بِبَيْتِهِ وَكَرَمِهِ

وكتب الوزير الكاتب أبو القاسم بن السقاط إلى صديقه له

يَوْمَنَا أَعَزَّكَ اللَّهُ يَوْمَ قَدْ تَقَبَّيْتُ شَمْسَهُ بِقِنَاعِ الْغَمَامِ
 وَذَهَبْتُ كَأْسَهُ بِشُعَاعِ الْهَدَامِ وَنَحْنُ مِنْ فِطَارِ الْوَسْطِيِّ
 فِي رِدَاءِ هَدْيٍ وَمِنْ نَضِيرِ النُّوَارِ عَلَى نَظِيرِ النُّصَارِ

وَمِنْ بَوَاسِمِ الزَّهْرِ فِي لَطَائِمِ الْعِطْرِ وَمِنْ غُرِّ النَّدْمَانِ
 بَيْنَ زَهْرِ الْبُسْتَانِ وَمِنْ حَرَكَاتِ الْأَوْتَارِ خِلَالَ نَغَمَاتِ
 الْأَطْيَارِ وَمِنْ سَفَاهِ الْكُؤُوسِ وَعَوَاطِي الْهَدَامِ بَيْنَ
 مُشْرِقَاتِ الشُّمُوسِ وَعَوَاطِي الْأَرَامِ فَرَايِكَ فِي مُصَافِحِهِ
 الْأَقْفَارِ وَمُنَافِحِهِ الْأَنْوَارِ وَأَجْيَلَاءِ غُرِّ الظُّبَاةِ الْمَجَوَازِ
 وَاتِّفَاءِ دُرِّ الْغِنَاءِ الْمَحْجَازِ مُوَفَّقًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

وكتبه الصاحب ابن عباد الى صديقه

نَحْنُ يَا سَيِّدِي فِي مَجْلِسٍ غَنِيٍّ إِلَّا عَنْكَ شَاكِرٍ إِلَّا مِنْكَ
 قَدْ تَفَتَّحَتْ فِيهِ عَيُونُ النَّرْجِسِ وَتَوَرَّدَتْ خُدُودُ الْبَتْفِجِ
 وَفَاحَتْ مَجَامِرُ الْأَمْزَجِ وَفُتِفَتْ فَأَرَاتُ النَّارِجِ وَأَنْطَلَقَتْ
 أَلْسُنُ الْعِيدَانِ وَقَامَتْ خُطَبَاءُ الْأَطْيَارِ وَهَبَتْ رِيَّاحُ الْأَقْدَاحِ
 وَنَقَّتْ سُوقُ الْأَنْسِ وَقَامَ مُنَادِي الطَّرَبِ وَأَمَدَّ سَحَابُ
 النَّدَى فَجَبَانِي إِلَّا مَا حَضَرَتْ فَقْدَأَبْتُ رَاحَ مَجْلِسِنَا أَنْ تَصْنُوهُ
 إِلَّا أَنْ تَتَنَاوَلَهَا يَمِينَاكَ وَأَقْسَمَ غِنَاؤُهُ أَنْ لَا يَطِيبَ حَتَّى
 تَعِيَهُ أَذْنَاكَ فَخُدُودُ نَارِجِيهِ قَدْ أَحْمَرَّتْ خَجَلًا لَا يُطَاثِلُكَ
 وَعَيُونُ نَرْجِسِهِ قَدْ حَدَقَتْ تَأْمِيلًا لِلْفَائِكِ

وكتبه ابو الطيب المنبجي الى صديق له كان بزوره ايام اعتلاله

وانقطع عنه عند ابلاله

وَصَلَّتَنِي وَصَلَّكَ اللَّهُ مُعْتَلًّا وَقَطَعَتْنِي مُبِيلاً فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ لَا
تُكْذِرَ الصِّحَّةَ عَلَيَّ وَلَا تُحِبِّبَ الْعِلَّةَ إِلَيَّ فَعَلْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ

فصل

في الوصاة

كتب الجاحظ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنْ فَلَانَا أَسْبَابُهُ مُتَّصِلَةٌ بِنَا يَلْزِمُنَا ذِمَامُهُ وَبُلُوغُ
مُوَافَقَتِهِ مِنْ أَيْدِيكَ عِنْدَنَا وَأَنْتَ لَنَا مَوْضِعُ الثِّقَةِ مِنْ مُكَافَأَتِهِ
فَأَوْلِنَا فِيهِ مَا يُعْرِفُ بِهِ مَوْفِعُنَا مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ وَيَكُونُ
مُكَافَأَةً لِحَقِّهِ عَلَيْنَا

وكتب عبد الحميد بن يحيى الى بعضهم

حَقُّ مُوَصِّلِ كِتَابِي عَلَيْكَ كَحَقِّهِ عَلَيَّ إِذْ جَعَلْتُكَ مَوْضِعًا
لِأَمْلِي وَرَأَيْتَنِي أَهْلًا لِلْحَاجَةِ وَقَدْ أُنْجِزْتُ حَاجَتُهُ فَصَدِّقْ أَمْلَهُ

وكتب ابو بكر الخوارزمي الى صديق له

أَلَا يَأُمُّ أَبَدَكَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ تَرَاجُعٌ لِي عَنْ صِحَّةٍ وَفَائِكَ
وَشُهُودٌ عِنْدِي عَلَى صَدِّقِ إِخَائِكَ وَأَقْلُ حُفُوفِكَ عَلَيَّ

يُلْزِمُنِي أَنْ لَا أَشْغَلَ لِسَانِي بِغَيْرِ شُكْرِكَ وَلَا فَمِي إِلَّا بِذِكْرِكَ
وَلَوْ تَجَاوَزَ طَبَقَاتُ أَهْلِ مَوَدَّتِكَ فِي مَيْدَانِ الْبِقَعِ وَتَنَازَعُوا
خَصَلَ الْإِنْسِ وَالْثِقَةِ رَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ سَابِقًا لَيْسَ لَهُ
سَابِقٌ وَلَا يُذَكَّرُ مَعَهُ لِأَحَقِّ وَأَنْ تُجَلِّيَ الْغَايَةَ مِنِّي عَنْ مُحِبَّةِ
مُرَبَّاهِ بِالْوَفَاءِ وَعَنْ شُكْرِ مُرْضِعٍ بِالْإِعْطَاءِ وَقَدْ بَلَغَنِي خَيْرُ
سَعْيِكَ لِغُلَّانٍ فِي الْعَمَلِ الَّذِي هُوَ دُونَ فَدْرِهِ وَإِنْ كَانَ
فَوْقَ أَعْمَالِ عَصْرِهِ فَشَكَرْتُكَ عَنْهُ وَإِنْ كَانَ بِشُكْرِكَ
أَوْفَى وَأَمْلَى وَبِإِيْفَائِكَ حَقَّكَ أَحَقُّ وَأَوْلَى وَأَرَدْتُ أَنْ
أَكِلَ شُكْرَكَ إِلَيْهِ وَلَا أَتَطَلَّلَ فِيهِ عَلَيْهِ فَكَرِهْتُ أَنْ
تُطَوِّى صَحِيفَةَ الشُّكْرِ وَلَمْ يَجْرِ لِي فِيهَا أَسْمٌ وَأَنْ تُخْتَمَ جَرِيدَةُ
الْمُشَارَكَةِ وَلَمْ يَكُنْ لِي فِيهَا فِسْمٌ فَذَكَرْتُكَ لَكَ وَأَنْتَ لَهُ
أَذْكُرُ وَشَكَرْتُكَ عَنْهُ وَهُوَ لَكَ مِنِّي أَشْكُرُ عَلَى أَنِّي أَرْغَبُ
بِذَلِكَ الْخُرْجِ عَنِ التَّلَطُّحِ بِأَوْضَارِ الْأَعْمَالِ فَإِنَّهَا مَزَالِقُ
أَقْدَامِ الرِّجَالِ ضُنَائِيهِ عَنْ تَخَالِيطِ الْأَيَّامِ وَصِيَانَةِ
لِحَالِهِ عَنْ مَدَانِسَةِ الْأَوْهَامِ وَنِعْمَتِكَ عَلَيْهِ مُقْتَسِمَةً بَيْنِي وَبَيْنَهُ
بَلْ أَكْثَرُهَا لِي دُونَهُ فَهَا ظَنُّكَ بِعَارِفِهِ وَاحِدَةٌ تَكْسِبُكَ
شُكْرَيْنِ وَتَسْتَعِيدُ لَكَ حُرَيْنِ وَجَدِيرَيْنِ هَطَلَتْ عَلَيْهِ

مَحَائِبُ عَيْنَيْكَ وَرَفَرَتْ حَوْلَهُ أَجْنَحَةُ رِعَايَتِكَ أَنْ يَنْبُو
عَنْهُ سَيْفُ الزَّمَانِ مَثْلُومًا وَيَرْجِعَ عَنْ سَاحِلِهِ عَسْكَرُ
الزَّمَانِ مَهْزُومًا وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَسْأَلُ أَنْ لَا يَجْرِمَكَ نِعْمَةٌ
يَهْدِي إِلَيْكَ بِهَا عُنُقُ دَاوُدَ وَمِنْهُ تَقَى عَنْكَ عَيْنَ حَسُودِ
بَيْنِهِ وَكَرَمِهِ

وكتب الحسن بن وهب إلى مالك بن طوق في ابن أبي الشيص

كِتَابِي إِلَيْكَ خَطَطُهُ يَسِينِي وَفَرَّغْتُ لَهُ ذِهْنِي فَمَا
ظَنُّكَ بِحَاجَةٍ هَذَا مَوْفِعُهَا مِنِّي أَمَّا أَنِي أَقْبَلُ الْعُذْرَ فِيهَا
أَوْ أَقْصِرُ فِي الشُّكْرِ عَلَيْهَا وَأَبْنُ أَبِي الشَّيْصِ قَدْ عَرَفْتَهُ وَنَسَبَهُ
وَصِفَاتِهِ وَلَوْ كَانَتْ أَيْدِينَا تَبْسِطُ بِرِّهِ مَا عَدَانَا إِلَى غَيْرِنَا
فَأَكْتَفِ بِهَذَا مِنَّا

فصل

في الشكوى

كتب أبو بكر الخوارزمي إلى صاحب ديوان الحضرة وقد طوب

أبو بكر بحضور الديوان فلم يفعل

هَذَا أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الشَّيْخِ الرَّئِيسِ حَالِ نَيْسَابُورَ وَأَهْلِيهَا
بَلْ حَالِي وَحَالُ الْأَحْرَارِ فِيهَا

وَأَصْبَحَ أَقْوَامٌ يَقُولُونَ مَا أَشْتَهَوْا
وَغَابَ أَبُو عَمْرٍو وَغَابَتْ رَوَاحِلُهُ
وَقَدْ كُنْتُ آوِي مِنَ الشَّيْخِ أَيَّامَ مَقَامِهِ بِهَذِهِ الْجَنَبَةِ إِلَى كَنْفِ
رَحِيبٍ وَجَنَابِ خَصِيبٍ وَبَابٍ وَاسِعٍ وَنَائِلِ شَائِعٍ
وَوَجْهِ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ قَرَأْتُ نُسخَةَ الْكِرَامِ فِي وَجَنَّتِهِ
تَلْعَحُ أَثَارُ الْكَرَمِ بِنُورِ أَسَارِيرِهِ وَتُعَرِّفُ بُشْرَى النَّجَاحِ فِي
تَبَاشِيرِهِ وَفَمٍ يَشِيرُنِي بِأَقْسَامِهِ قَبْلَ أَنْ يَشِيرُنِي بِكَلَامِهِ
وَيُجِيبُنِي بِاللُّغِ بِإِشَارَتِهِ قَبْلَ أَنْ يَتَرْجِمَ بِعِبَارَتِهِ وَإِذَا
رَأَيْتُهُ رَأَيْتُ بَخْتِي قَدْ أَقْبَلَ إِلَيَّ فِي مَعْرِضِ الْكَمَالِ وَطَالِعِ
سَعْدِي قَدْ طَلَعَ عَلَيَّ بِنَيْلِ الْأَمَالِ عَنْ يَمِينِي أُنْجَمَالُ
وَعَنْ يَسَارِي أُنْجَلَالُ فَأَغْدُو إِلَى بَايِهِ يَهْدِي الْأَمْلُ وَالرَّجَاءُ
وَأَرْوَحُ عَنْهُ فَيُشِيعُنِي الشُّكْرُ وَالْدُّعَاءُ وَأُحِيلُ حَوَائِجِي مِنْهُ
عَلَى جَلِّ الْحُودِ الَّذِي لَا تُحَرِّكُهُ الْهَطَالِبُ وَلَا تُثْقُلُ عَلَيْهِ
الرَّغَبَاتُ وَالرَّغَائِبُ بَلْ عَلَى بَحْرِهِ الَّذِي لَا يَنْزِفُهُ الْإِسْتِقَاءُ
وَلَا تُكَدِّرُهُ الدَّلَالُ وَلَا يُرَى قَعْرُهُ وَلَا يُدْرَكَ غَوْرُهُ
وَلَهَا يَصْبِرُ عَلَى حَوَائِجِ النَّاسِ وَيَلْتَذُّ سَمْعُهُ بِأَسْتِمَاعِ
صَوْتِ رَحَى الْأَصْرَاسِ مَنْ وَلَدَنِي طَالِعِ السَّخَاءِ وَغُذِيَ

فِي حُجُورِ الْكُرْمَاءِ وَفُرُجِ سَمْعِهِ مِنْ صَبَاهُ بِأَصْوَاتِ الْأَدْبَاءِ
 وَالشُّعْرَاءِ وَمُرْنٍ عَلَى الْبَذْلِ وَالْعَطَاءِ
 وَالثَّقَلُ لَيْسَ مُضَاعَفًا لِمَطِيَّةٍ إِلَّا إِذَا مَا كَانَ وَهْمًا بَازِلًا
 حَتَّى إِذَا مَا كَادَتْ غُصُونُ أَمَالِي تَرِفُ بَعْدَ مَا يَبْسُتُ
 وَوَجْهُهُ مَطَالِي تَضْحَكُ بَعْدَ مَا عَبَسَتْ رَمَتْنِي الْأَيَّامُ بِفِرَاقِ
 الشَّيْخِ فَأَخَذَجَ رَجَائِي الْخَامِلُ وَجَفَّ ضَرْعُ أَمَلِي الْخَافِلُ
 وَسَكَتَ لِسَانِي الْفَائِلُ وَفَتَرْتُ نُورَ التَّاجِرِ بَارَ مَتَاعُهُ
 وَغَابَ مِتْنَاعُهُ وَقُلْتُ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ بِالْأَدَبِ خَيْرًا لَهَا غَابَ
 مَنْ كَانَ يَجْمَعُ شَبْلَهُ وَيُكْرِمُ أَهْلَهُ وَيَعْرِفُ فَضْلَهُ وَفَضْلَهُ
 وَلَوْ أَنْصَفْتُ الْأَدَبَ بَعْدَ غَيْبَةِ الشَّيْخِ لَرَأَيْتُهُ مَرْتِيَةً الْأَمْوَاتِ
 وَلَاقَيْتُ عَلَيْهِ مَا تَمَّ الْبَهَاتِ وَمَحَوْتُ أَسْمَهُ مِنْ جَرِيدَةٍ
 الْحَيَاءِ هَذَا وَقَدْ وَرَدَ عَلَى عَمَلِ الْخَرَّاجِ مَنْ لَا أُطْرُقُهُ بِجَرْمِهِ
 وَلَا أَتَنَاولُهُ بِطَرَفِ ذَرِيْعَةٍ أَوْ وَسِيلَةٍ وَكَأَنِّي بِهِ وَقَدْ
 حَشَدَنِي فِي جُبْلَةِ الْعَامَةِ وَأَدْخَلَنِي فِي غِمَارِ سَائِرِ الرَّعِيَةِ
 وَأَوْقَعَنِي عَلَى جِسْرِ قُدَامَةِ الْخُسْرَانِ وَخَلْفَهُ الْهَوَانُ وَفَجَعَنِي
 بِدُرِّيْهِمَاتٍ جُبِعَتْ بِتَقْطَعِ الْبَهَالِكِ وَأَخْتِرَاقِ الْمَسَالِكِ
 وَالْمَهَالِكِ وَدَنَائِيرِ قَطَعَتِ الْفِقَارَ وَخَاضَتِ الْجَارَ

وَنَاطَحَتِ الْحَوَادِثُ وَالْأَفْدَارُ فَإِنْ بَدَّلْتُهَا أُبْرِزْتُ وَفَرَا
طَالَهَا كَانَ مَخْزُونًا وَإِنْ مَنَعْتُهَا أَبْذَلْتُ عِرْضًا لَمْ يَزَلْ
مَصُونًا عَلَى أَنِّي أَحْبِلُ عَلَى الْجَهَالِ التَّجَهَّلِ وَأُورِثُ الْبَذْلَ
عَلَى التَّبْذُلِ وَأُنْشِدُ شِعْرًا حَنَانِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ
بَعْضِ وَمَا أَيْسَرَ دَوَاءَ هَذَا الدَّاءِ لَوْ طَاوَعَنِي نَفْسِي الْعَاصِيَةَ
وَتَابَعَنِي رَجُلِي الْآبِيَّةُ فَدَخَلْتُ الدِّيَوَانَ وَصَانَعْتُ الزَّمَانَ
وَفَتَحْتُ جِرَابَ النِّفَاقِ وَالرِّثَاءِ وَأَغْلَقْتُ بَابَ الْحِفَاطِ وَالْوَفَاءِ
وَلَكِنِّي أُنْظِرُ إِلَى عَيْنِ الشَّمْسِ أَيْسَرُ عَلَيَّ وَأَهْوَنُ عَلَيَّ عَيْنِي
مِنْ أَنْ أُنْظِرُ إِلَى هَذَا الصَّدْرِ وَقَدْ جَلَسَ فِيهِ غَيْرُ ذَلِكَ
الْبَدْرِ وَإِنِّي لَا غَارُ عَلَى الْكَرَمِ كَمَا يُغَارُ عَلَى الْحَرَمِ
وَأَبْجَلُ بِالْهَرَابِ كَمَا يَبْجَلُ غَيْرِي بِالْهَكَاسِبِ وَأَسْتَحْيِي
إِعْيَانِي أَنْ أَفْتَحَهَا عَلَى الصَّغِيرِ وَقَدْ جَلَسَ مَجْلِسَ الْكَبِيرِ
لَا أَتَلَانِي اللَّهُ بِعَجَائِلِ الْغِيَرَةِ وَلَا أَقَامَنِي فِي مَقَامَاتِ
الْغِيَرَةِ وَالْخَبِيرَةِ فَإِنْ أَتَلَانِي بِذَلِكَ وَجَدَنِي ضَيْقَ سَاحَةِ
الصَّدْرِ قَرِيبَ غَوْرِ الصَّبْرِ كَثِيرَ الْبَارَةِ قَلِيلَ الْمُدَارَةِ
هَذِهِ أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءِ الشَّيْخِ حَالِي فَهَلْ لِي عِنْدَهُ فَرْجٌ أَرْتَجِيهِ
أَوْ نَظَرٌ أَنْجِبَعُ فِيهِ وَهَلْ بِحَرْكِ لَفْظَةٍ مِنَ الْفَازِهِ أَوْ لَحْظَةٍ

مِنْ أَمَّاظِهِ يَرُدُّ بِهَا عَلَى وَجْهِ مَا تَصَبَّ مِنْ مَائِهِ وَعَلَى
عِرْضِي مَا ذَهَبَ مِنْ بَهَائِهِ وَلَعَهْرِي إِنْ حَاجَتِي إِلَى الشَّيْخِ
فِي هَذَا الْخَرَجِ صَغِيرَةٌ وَلَكِنِّي لَا أَتَصَغَّرُ مِنْهُ بِسِيرًا كَمَا لَا
أَسْتَظِمُّ مِنْهُ كَبِيرًا وَأَعْلَمُ أَنَّ الْحُرَّ يَسْعُ الدَّفِيقَ بِفِطْتِهِ
وَالْحَبِيلَ بِهَيْمَتِهِ وَإِنْ أَبْطَأَ عَنِّي كِتَابُهُ بِالْفَرْجِ خَشِيتُ أَنْ
يَسْرِيَ فِي السَّمِّ الْعَرِيطِ إِلَى أَنْ يَصِلَ إِلَى التَّرْيَاقِ الْبَطِي
أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ دَائِي قَدًّا وَدَوَائِي وَعَدًّا

وكتب الوزير الكاتب أبو المطرف بن الدبَّاح إلى ابن حسداي

كِتَابِي وَأَنَا كَمَا تَدْرِيهِ غَرَضٌ لِلْأَيَّامِ تَرْمِيهِ وَلَكِنِّي
غَيْرُ شَاكٍ مِنْ آلَمِهَا لِأَنَّ قَلْبِي فِي أَغْشِيَةِ مِنْ سِهَامِهَا
فَالنَّصْلُ عَلَى مِثْلِهِ يَقَعُ وَالنَّالِمُ بِهَذِهِ أَمَّاظُهُ قَدْ أَرْتَفَعَ
كَذَلِكَ التَّقْرِيعُ إِذَا تَبَاعَ هَانَ وَالنَّحْطُ إِذَا أَشْدَّ لَانَ
وَالْحَوَادِثُ تَعَكُّسُ إِلَى أَضْدَادِهَا إِذَا تَنَاهَتْ فِي أَشْدَادِهَا
وَتَزَايَدَتْ عَلَى آمَادِهَا

وكتب عبد الحميد بن يحيى إلى أهله وهو مهزم مع مروان

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الدُّنْيَا مَحْفُوفَةً بِالْكَرْهِ
وَالسُّرُورِ فَمَنْ سَاعَدَهُ انْحَظَّ فِيهَا سَكَنَ إِلَيْهَا وَمَنْ عَصَتْهُ

بِنَابِهَا ذَمُّهَا سَاخِطًا عَلَيْهَا وَشَكَاهَا مُسْتَزِيدًا لَهَا وَقَدْ كَانَتْ
 أَذَانَنَا أَفَاقِيقَ اسْتَحْلِينَاهَا ثُمَّ جَمَعَتْ بِنَا نَافِرَةً وَرَمَحْنَا مُوَلِّةً
 فَمَلَحَ عَذِبُهَا وَخَشَنَ لَيْنُهَا فَأَبْعَدَتْنا عَنِ الْأَوْطَانِ وَفَرَّقَتْنا
 عَنِ الْأَخْوَانِ فَأَلْدَارُ نَازِحَةٌ وَالطَّيْرُ بَارِحَةٌ وَقَدْ كُنْتُ
 وَالْأَيَّامُ تَزِيدُنَا مِنْكُمْ بَعْدًا وَإِلَيْكُمْ وَجْدًا فَإِنْ نَعِمَ
 الْبَلِيَّةُ إِلَى أَفْصَى مَدَّتِهَا يَكُنْ آخِرُ الْعَهْدِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَا وَإِنْ بَلَّغَتْنا
 ظَفَرُ جَارِحٍ مِنْ أَظْفَارِ مَنْ يَلِيكُمْ تَرْجِعْ إِلَيْكُمْ بِذُلِّ الْأُسَارِ
 وَالذُّلُّ شَرُّ جَارٍ نَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ وَيُذِلُّ
 مَنْ يَشَاءُ أَنْ يَهَبَ لَنَا وَلَكُمْ أَلْفَةً جَامِعَةً فِي دَارِ آمِنَةٍ
 تَجْمَعُ سَلَامَةُ الْأَبْدَانِ وَالْأَدْيَانِ فَإِنَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ
 وَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ

وكتب الأمير أبو الفضل الميكالي من رسالته

إِنَّمَا أَشْكُو إِلَيْكَ زَمَانًا سَلَبَ ضِعْفَ مَا وَهَبَ وَفَجَعَ
 بِأَكْثَرِ مِمَّا مَتَعَ وَأَوْحَشَ فَوْقَ مَا آتَى وَعَنَّفَ فِي نَزْعِ مَا
 أَلْبَسَ فَإِنَّهُ لَمْ يُذِقْنَا حَلَاوَةَ الْأَجْنِمَاعِ حَتَّى جَرَعْنَا مَرَارَةَ
 الْفِرَاقِ وَلَمْ يَمْتَعِنَا بِأُنْسِ الْأَلْفَاءِ حَتَّى غَادَرَنَا رَهْنُ
 التَّلَهْفِ وَالْإِسْتِيَاقِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى كُلِّ حَالٍ بِسُوهِ

وَيَسَّرُ وَيَجْعَلُ وَيَهَيِّئُ وَلَا أَيَّاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ فِي إِبَاحَةِ
صَنْعِهِ يَجْعَلُ رُبْعَهُ مَنَاحِي وَيَقْصُرُ مَدَّةَ الْبِعَادِ وَالْتَّرَاحِي
فَالْأَحْظُ الزَّمَانُ بَعَيْنٍ رَاضٍ وَيُقْبِلُ إِلَى حَظِّي بَعْدَ إِعْرَاضِ
وَأَسْتَأْنِفُ بَعِزَّتِهِ عَيْشًا عَذْبَ الْهَوَارِدِ وَالْمَنَاهِلِ مَأْمُونِ
الْأَفَاتِ وَالْفَوَائِلِ

فصل

في التعازي

كتبه أبو الفضل بدیع الزمان المهدي في إلى أبي عامر عدنان بن محمد الضبي

إِذَا مَا الدَّهْرُ جَرَّ عَلَى أَنْاسٍ ذَلَالَةٍ أَنَاخَ بِآخِرِينَا
قُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا سَلَفِي الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا
أَحْسَنُ مَا فِي الدَّهْرِ عَهْمُهُ بِالنَّوَائِبِ وَخُصُوصُهُ بِالرَّغَائِبِ
فَهُوَ يَدْعُو الْجَمَلَ إِذَا سَاءَ وَيُخْصِشُ بِالنِّعَةِ إِذَا سَاءَ
فَلْيَفَكِّرِ الشَّامِتُ فَإِنْ كَانَ أَفْلَتَ فَلَهُ أَنْ يَشَبَّثَ وَلْيَنْظُرِ
الْإِنْسَانُ فِي الدَّهْرِ وَصُرُوفِهِ وَالْمَوْتِ وَصُنُوفِهِ مِنْ
فَاتِحَةِ أَمْرِهِ إِلَى خَانِيَةِ عَهْرِهِ هَلْ يَجِدُ لِنَفْسِهِ أَثَرًا فِي نَفْسِهِ
أَمْ لِنَدِيرِهِ عَوْنًا عَلَى تَصَوُّبِهِ أَمْ لِعَمَلِهِ تَقْدِيرًا لِأَمَلِهِ

أَمْ لِحِيلِهِ تَأْخِيرًا لِأَجَلِهِ كَلَّابِلٌ هُوَ الْعَبْدُ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا
 مَذْكُورًا خُلِقَ مَقْهُورًا وَرُزِقَ مَقْدُورًا فَهُوَ بِحَبَا جَبْرًا
 وَيَهْلِكُ صَدْرًا وَلِنَا مِلَّ الْمَرْءِ كَيْفَ كَانَ قَبْلًا فَإِنْ كَانَ
 الْعَدَمُ أَصْلًا وَالْوُجُودُ فَضْلًا فَلْيَعْلَمْ الْمَوْتُ عَدْلًا
 وَالْعَاقِلُ مَنْ رَفَعَ مِنْ جَوَانِبِ الدَّهْرِ مَا مَاءٌ بِمَا سَرَّ
 لِيَنْهَبَ مَا نَفَعَ بِمَا ضَرَّ فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَحْزَنَ فَلْيَنْظُرْ يَمِينَهُ
 هَلْ يَرَى إِلَّا مِحْنَةً ثُمَّ لِيُعْطِفَ يَسْرَةً هَلْ يَرَى إِلَّا حَسْرَةً
 وَمِثْلُ الشَّيْخِ الرَّئِيسِ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ مَنْ تَبَطَّنَ هَذِهِ
 الْأَسْرَارَ وَعَرَفَ هَذِهِ الدِّيَارَ فَأَعَدَّ لِنَعِيبِهَا صَدْرًا لَا
 يَبْلَاهُ فَرْحًا وَلِبُوسِهَا قَلْبًا لَا يُطِيرُهُ تَرْحًا وَصَحْبَ الْبَرِيَّةِ
 بِرَأْيٍ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ لِلْمَيِّتَةِ رَحَى وَلَقَدْ نَعَيْتُ إِلَى أَبُو فَيْصَةَ
 قُدْسَ اللَّهِ رُوحَهُ وَبَرْدَ ضَرْبَتِهِ فَعَرِضَتْ عَلَيَّ أَمَالِي فَعُودًا
 وَأَمَانِي سُودًا وَبَكَيْتُ وَجُودَ الشَّيْخِ بِمَا يَهْلِكُ وَضَحِكْتُ
 وَشَرَّ الشَّدَائِدِ مَا يُضْحِكُ وَعَاضَضْتُ الْأَصْبَعَ حَتَّى أَفْنَيْتُهُ
 وَذَمَمْتُ الْمَوْتَ حَتَّى تَمْنَيْتُهُ وَالْمَوْتُ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ
 الشَّيْخُ الرَّئِيسُ خَطَبَ قَدْ عَظُمَ حَتَّى هَانَ وَأَمْرٌ قَدْ خَشُنَ
 حَتَّى لَانَ وَنَكَرَ قَدْ عَمَّ حَتَّى صَارَ عُرْفًا وَالْدُّنْيَا قَدْ تَنَكَّرَتْ

حَتَّى صَارَ الْمَوْتُ أَخْفَ خُطُوبِهَا وَخَبِثَتْ حَتَّى صَارَ أَقْلُ
عُيُوبِهَا وَلَعَلَّ هَذَا السَّهْمُ قَدْ صَارَ آخِرَ مَا فِي كِنَانَتِهَا وَأَنْكِ مَا
فِي خِزَانَتِهَا وَنَحْنُ مَعَاشِرَ التَّبَعِ نَتَعَلَّمُ الْأَدَبَ مِنْ أَقْوَالِهِ
وَالْجَبِيلَ مِنْ أَعْمَالِهِ فَلَا نَحْتَفِئُ عَلَى الْجَبِيلِ وَهُوَ الصَّبْرُ
وَلَا نُرْغِبُهُ فِي الْجَزِيلِ وَهُوَ الْأَجْرُ فَلْيَرْفَعْ رَأْيَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ

والمصحح يعزي احد اصدقاؤه بنسب له توفي ايام الوباء

أَشْبَاحُ تَرُوحٍ وَتَجِي وَأَجَالٌ تَهْسِي وَتَغْتَدِي وَأَنْفَاسٌ
تَقْطَعُ مِنْ دُونِهَا حُزْنًا وَأَسْفَا وَعِبْرَاتٌ تَنْقَطِرُ وَجَدًّا وَلَهْفًا
وَمَا عَمَدَتِ الْأَقْدَارُ إِلَى اسْتِنَافِ مَدَمَعٍ وَلَا أَرَادَتِ
الْأَيَّامُ إِيْلَامَ مُوجِعٍ إِنَّمَا هِيَ سَنَةٌ أُنْخَلِقُ كَوْنٌ يَلِيهِ زَوَالٌ
وَعَقْدٌ يَسْبِقُهُ انْخِلَالٌ وَإِنْ لِكُلِّ شَيْءٍ أَجَلًا مَوْقُوتًا وَإِنْ
لِكُلِّ أَجَلٍ سَبَبًا مُقْدُورًا وَإِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي كُلِّ ذَلِكَ شَاهِدٌ
يَسْمَعُ لَاهِيًا وَيُبْصِرُ سَاهِيًا وَلَيْسَ فِي يَدِهِ أَنْ يَسْتَرِدَّ مَاضِيًا
وَلَا أَنْ يَرُدَّ آتِيًا وَلَقَدْ وَدِدْتُ أَنْ أُعْزِبَكَ لَوْلَا مَا يُغَالِبُنِي
عَلَى الْعِزَاءِ مِنْ كَيْدِ حَرَى وَمُقْلَةٍ شَكْرَى وَزَفَرَةٍ تَهْرَى
ثُمَّ وَدِدْتُ أَنْ أُسْنِبِكَ لَوْلَا أَنِّي بَكَيْتُ حَتَّى لَمْ أَدْعُ فِي
الْبُكَاءِ مِنْ وَادٍ وَأَحْبَبْتُ لِبَايٍ بِالنُّوحِ حَتَّى مَا بِالنَّجْمِ سَهَادٌ

ثُمَّ لَمْ يَزِدْنِي الْبُكَاءَ عَلَى سُقْمِ جَسَدِي وَلَمْ يَزِدْنِي النَّوْحَ
عَلَى صَفَرِ يَدَيَّ إِلَّا مِنْ كَيْدِي فَإِنَّ الْأَقْدَارَ سِهَامٌ إِذَا
أَنْطَلَقَتْ لَمْ تُرَدِّ وَإِنَّ الْمُنْطَلِعَ إِلَى الْفَائِتِ لَطَوِيلُ شُقَّةٍ
الْكُهِدِ وَإِنَّ الْخُطُوبَ لَهِيَ وَإِنَّهَا تَتَفَاوَتُ عِنْدَ التَّجَلُّدِ
وَإِنَّ الْحَصَى عِنْدَ الْحَزْوَغِ ثَقِيلَةٌ

وَضَحْمَ الصَّفَا عِنْدَ الصُّبُورِ خَفِيفٌ
وَإِنِّي لَا رَجُوفِي عَقْلِكَ وَحِلْيَتِكَ أَنْتَ قَدْ صِرْتَ مِنْ جَانِبِ
الْعِزَاءِ ثُمَّ أَحَدُ اللَّهِ عَلَى نَجَاتِكَ إِنَّ لَنَا فِي بَقَائِكَ الْعِوَضَ
وَالنَّاسَاءَ فَلَقَدْ قَلْبَتِ الْقُلُوبَ عَلَى جَهْرَاتٍ لَا تَذَرِي أَيْهَا
أَذْكَى ضِرَامًا ثُمَّ أَوْرَدَتْهَا مِنْ سَلَامَتِكَ مَا رَأَتْ الشُّكُوفُ
بَعْدَهُ ظُلْمًا وَالتَّظْلِمَ حَرَامًا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ
السَّئُولُ فِي إِطَالَةِ بَقَائِكَ قُرَّةٌ لِلْعُيُوبِ وَجَبْرًا لِلْخَاطِرِ
الْمَحْزُونِ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ

وَالصَّحُوحُ ابْنُ صَدِيقٍ لَهُ جَوَابًا عَنْ كِتَابِ بَنِي الْيَمَنِ فِيهِ أَحَدُ
أَنْسَابِهِ وَيَعْزِيهِ بِنَسَبِهِ لَهُ

وَرَدَ كِتَابُكَ بِجَاذِبِهِ طَرَفَانِ مِنْ نَعْيٍ وَتَعْزِيَةٍ وَيَضْرِبُ
عَلَيْهِ لَوْنَانِ مِنْ شَجْوٍ وَتَسْلِيَةٍ فَهَنْ لِي بِعَبْرَتَيْنِ تَجْرِي إِحْدَاهُمَا

وَتَرْقَا الْأُخْرَى وَمَنْ لِي بِقَلْبَيْنِ يَذُوبُ أَحَدُهُمَا جَزَعًا
وَيَجْهَدُ الْآخَرُ صَبْرًا بَلْ كَيْفَ يَصْبِرُ جَرِيحٌ ضَرَبَهُ الدَّهْرُ
بِسَيْفَيْنِ وَجَرَّعَهُ الْبَلَاءُ بِكَأْسَيْنِ فَهَزَجَ عِبْرَةٌ بِعِبْرَةٍ
وَتَابَعَ حَسْرَةً إِثْرَ حَسْرَةٍ وَبَاتَ لَا يَجِدُ إِلَى الصَّبْرِ دَلِيلًا وَلَا
يَهْتَدِي إِلَى الْعِزِّ سَبِيلًا وَلَكِنَّ الْأَمْرَ فَوْقَ مَا تُجْرِي الْجُفُونُ
وَمَا تُشِيرُ الشُّجُونُ وَأَمْرُ اللَّهِ وَاقِعٌ لَا يَدْفَعُهُ دَافِعٌ وَالْدَّمَعُ
لَا يُسِيغُ غُصَّةً وَالْوَجْدُ لَا يُزِيلُ كُرْبَةً

وَإِذَا حَصَلَتْ مِنَ السِّلَاحِ عَلَى الْبُكَاءِ

فَحَشَاكَ رُغْتَ بِهِ وَخَدَّكَ تَفَرَّعُ

فَمَا لَنَا إِلَّا السَّعْيُ وَرَأَى مَا نَدَّ مِنَ الصَّبْرِ نَكْرُهُ عَلَيْهِ النَّفْسُ وَإِنْ
كَانَ أَحَدُ الْمُرَيْنِ وَالْإِلْجَاءُ إِلَى الرِّضَى بِالْمَكْتُوبِ نُدَاوِي
بِهِ الْقَلْبَ وَإِنْ كَانَ أَحَدَ الدَّائِمِينَ وَحَسَبْنَا اللَّهَ وَكَيْلًا

وكتب ابو بكر الخوارزمي الى كثير بن احمد بعزیه باینه له

نَحْنُ مَعَاشِرًا وَلِيَاءُ الشَّيْخِ وَمُحِبِّي أَعْبَاءِ نِعَمَتِهِ وَالْمُسْتَسِينِ
بِسِمَةِ كَلِمَتِهِ إِذَا صَدِثَتْ قَرَأْتُنَا وَفَسَدَتْ أَذْهَانُنَا
جَلَوْنَاهَا بِجِبَالِ سِتِّهِ وَغَسَلْنَاهَا وَضْرَ التَّغْيِيرِ بِاتِّبَاعِ طَرِيقَتِهِ
وَسُسْنَا أَنْفُسَنَا بِهَا نَرَاهُ وَتَعَلَّمْنَاهُ مِنْ سِيَاسَتِهِ لِبَطَانَتِهِ ثُمَّ

لِرَعِيَّتِهِ وَإِذَا كَانَتْ أَحْزَالُ هَذِهِ مِنَ الْحَالِ أَنْ نَبِيعَ
عَلَى الشَّيْخِ مَا اشْتَرَيْنَاهُ مِنْهُ وَأَنْ نَحْلُبَ إِلَيْهِ مَا جَلَبْنَاهُ عَنْهُ
وَأَنْ نُقِيمَ أَنْفُسَنَا مَقَامَ الْمُعَلِّمِينَ وَنُقِيمَهُ مَقَامَ الْمُتَعَلِّمِينَ
وَأَنْ نَحْمِلَ إِلَيْهِ مَوَاعِظَ بِذَلِكَ كَلَامِهِ مِنْهَا أَوْ بَرَعُ وَبِدَاعُهُ
تَوْفِيعَاتِهِ مِنْهَا أَبْدَعُ وَلَكِنْ لَا بُدَّ لِلْحَقِّ أَنْ يَنْطِقَ لِسَانُهُ
وَقَلْبُهُ بِمَا يَتَرَجَّمُ بِهِ عَنْ وَدَائِعِ صَدْرِهِ وَيَعْبُرُ عَنْ نِيَّتِهِ وَسِرِّهِ
وَلَا بُدَّ لِمَنْ شَارَكَ رَبِّيَّةً فِي أَيَّامِ الرِّخَاءِ وَالْمَوَاهِبِ مِنْ
أَنْ يُشَارِكَهُ فِي أَيَّامِ الْغُيُومِ وَالْمَصَائِبِ لِيَكُونَ قَدْ خَدَمَهُ
فِي النَّوْبَتَيْنِ وَتَصَرَّفَ مَعَهُ عَلَى الْحَالَتَيْنِ وَأَثْبَتَ أَسْمَهُ فِي
جَرِيدَةِ الشَّرْكَاءِ السَّاهِبِينَ مَرَّتَيْنِ وَبَلَغَنِي خَبَرُ الْمُصِيبَةِ
فَأَغْشَمَتْ بِهَا عَيْنِي وَتَفَذْتُ إِلَى سِهَامِ الْفَجِيعَةِ مِنْ طَرِيقَيْنِ
أَمَّا إِحْدَاهُمَا فَهِيَ أَنِّي أَغَارُ عَلَى هَذِهِ الْجَنَبَةِ الْكَرِيمَةِ وَعَلَى
هَذِهِ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَقْبَلَةِ مِنْ أَنْ تَتَفَذَّ فِيهَا رَمِيَّةُ الزَّمَانِ
أَوْ تَتَنَاوَلَهَا يَدٌ مِنْ أَيْدِي النُّقْصَانِ وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَهِيَ أَنِّي
عَلِمْتُ أَنَّ الْفَجِيعَةَ إِذَا لَمْ تُحَارَبْ بِجَيْشِ الْبُكَاءِ وَلَمْ تُقَاتَلْ
بِالْإِذَاعَةِ وَالْإِشْكَاءِ تَضَاعَفَ دَاوُهَا وَزَادَتْ أَعْبَاقُهَا
وَإِنَّمَا الْغَمُّ سَمٌّ يَرِيافُهُ الْمُبَائِثَةُ وَالْمَوْتُ خَرَقٌ رَفُوهُ التَّسْلِيَةُ

وَالنَّعْزِيَّةُ . قَالَ ذُو الرِّمَّةِ

لَعَلَّ انْخِدَارَ الدَّمْعِ يُغَيِّبُ رَاحَةَ

مِنَ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَجْيَ الْبَلَايِلِ

وَإِذَا كَانَ لَا بُدَّ مِنْ عَيْنٍ تُصِيبُ طَرَفًا مِنْ أَطْرَافِ

الْكَمَالِ وَلَا بُدَّ مِنْ عَوْدَةٍ يَعُودُ بِهَا وَجْهُ الْجَبَالِ فَلَا تَنْ

تَكُونِ الْوَاقِعَةُ فِي الصَّغِيرِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَكُونَ فِي الْكَبِيرِ

فَاتَّحَدَّ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي طَيِّ الْأَعْيُنِ مَنَعَةً وَمَزَجَ بِالْتَّرَحَةِ

فُرْحَةً فَسَتَرَعَوْرَةً مِنْ حَيْثُ سَلَبَ أَنْسًا وَنَزَهَةً وَكَفَى

مَوْوَنَةً مِنْ حَيْثُ جَلَبَ فَحِيعَةً وَأَبْقَى الْكَبِيرَ الْكَثِيرَ مِنْ

حَيْثُ أَخَذَ صَغِيرَةً وَاحِدَةً وَجَعَلَ وَالِدًا مِنْ حَيْثُ أَثْكَلَ

وَالِدَةً وَهَكَذَا تَكُونُ مَصَائِبُ الْهَاطِلِينَ الْعَبْدُودِينَ فَإِنْ

الْدَّهْرُ إِذَا سَاءَ هُمْ فِي الْقَلِيلِ أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ فِي الْكَثِيرِ

وَإِذَا كَاشَفَهُمْ فِي الْخَفِيِّ الْمَشْهُورِ صَانِعُهُمْ فِي الْجَلِيِّ الْمَشْهُورِ

وَالْمَدَائِيرُ أَمْثَالُنَا فَإِنَّمَا تَكُونُ مُحِثُهُمْ صَافِيَةً صَرَفًا وَخَالِصَةً

بِحُجْمَا وَالْدَّهْرُ يَعْلَمُ أَيْنَ الزُّبُونِ وَمَنْ الْهَاطِلُونَ وَأَنَا

أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ الْمُنُوفَةَ لَوَالِدِيهَا فَرَطًا وَأَجْرًا

وَكَنْزًا مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ وَذُخْرًا وَأَنْ يَحْشُرَهَا شَفِيعًا تُقْبَلُ

شَفَاعَتُهُ وَتُقْضَى فِيهِ وَالِدَيْهِ وَأَهْلُ بَيْتِهِ حَاجَتُهُ وَيُعَوِّضَ
عَنْهَا الشَّيْخَ أَخَا لَهَا سَوِيَّ الْخَلْقِ وَالْخَلْقِ شَرِيفَ الْفِعْلِ
وَالْعِرْقِ لِيَسْتَوْفِيَ الشَّيْخُ فِي يَوْمِهِ أَجْرَ الصَّابِرِينَ وَفِي غَدِهِ
جَزَاءَ الشَّاكِرِينَ وَلِيَكُونَ قَدْ قَضَى اللَّهُ تَعَالَى حَقَّ الرُّبُوبِيَّةِ
مِنْ طَرَفِي الْعُبُودِيَّةِ وَأَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْحَادِثَةُ خَاتِمَةَ
حَوَادِثِ الزَّمَانِ وَسَاقَةَ عَسَاكِرِ النُّصَانِ فَلَا يَرَى بَعْدَهَا
فِي تِلْكَ الدَّارِ الشَّرِيفَةِ إِلَّا مَوْهَبَةً مُسْتَطَرَفَةً وَفَائِدَةً مُسْتَجِدَّةً
مُسْتَانِفَةً حَتَّى يَشْتَغَلَ بِالتَّهَانِي عَنِ التَّعَازِي وَبِالْهَدَاجِ
عَنِ الْهَرَاثِي

وَكُتِبَ عَبْدُ الْمُحَمَّدِ بْنِ بَجِيٍّ عَنْ مَرْوَانَ بْنِ هِشَامٍ يُعَزِّبُهُ بِامْرَأَةٍ
مِنْ حِطَابَاءِ

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمْنَعُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْسِيَتِهِ وَقَرِيبَتِهِ
إِمْنَاعًا مُدَّةً إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَلَمَّا نَبَتْ لَهُ مَوَاهِبُ اللَّهِ
وَعَارِبَتُهُ قَبَضَ إِلَيْهِ الْعَارِيَّةَ ثُمَّ أَعْطَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ
الشُّكْرِ عِنْدَ بَقَائِهَا وَالصَّبْرَ عِنْدَ ذَهَابِهَا أَنْفَسَ مِنْهَا فِي
الْمُنْقَلَبِ وَأَرْجَحَ فِي الْمِيزَانِ وَأَسْنَى فِي الْعِوَضِ فَأَتَمَّحَدُ اللَّهُ
رَبَّ الْعَالَمِينَ وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

وكتب ابو اسحق الصابي الى محمد بن العباس بعزله بطفل
 الدُّنيا اَطالَ اللهُ بقاءَ الرَّئيسِ اُفْدَارُ تَرَدُّ في اَوْقاتِها
 وَقَضَايا تَجْرِي اِلى غَاياتِها وَلَا يَرُدُّ مِنْها شَيْءٌ عَنْ مَدَاهُ وَلَا
 يُصَدُّ عَنْ مَطْلَبِهِ وَمَنْحَاهُ فَهِيَ كَالسِّهَامِ الَّتِي تُثَبَّتُ فِي
 الْأَغْرَاضِ وَلَا تَرْجِعُ بِالْإِعْتِرَاضِ وَمَنْ عَرَفَ ذَلِكَ
 مَعْرِفَةَ الرَّئيسِ لَمْ يَأْشُرْ عِنْدَ الزَّيَادَةِ وَلَمْ يَقْنَطْ عِنْدَ
 الْمُصِيبَةِ وَأَمِنْ أَنْ يَسْتَحِفَّ أَحَدُ الطَّرَفَيْنِ حُكْمَهُ وَيَسْتَنْزِلَ
 أَحَدُ الْأَمْرَيْنِ حَزْمَهُ وَلَمْ يَدْعُ أَنْ يُوْطِنَ نَفْسَهُ عَلَى النَّازِلَةِ
 قَبْلَ نَزْوِلِهَا وَيَأْخُذَ الْأُهْبَةَ لِلْحَالَةِ قَبْلَ حُلُولِهَا وَأَنْ
 يُجَاوِرَ الْخَيْرَ بِالشُّكْرِ وَيُسَاوِرَ الْبُخْصَةَ بِالصَّبْرِ فَيَتَخَيَّرَ فَائِدَةَ
 الْأَوَّلَى عَاجِلًا وَيَسْتَهْرِئَ عَائِدَةَ الْآخِرَى آجِلًا وَقَدْ
 نَقَدَ مِنْ قَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْمَوْلَى الْجَلِيلِ قَدْرًا الْحَدِيثِ
 سِنًا مَا أَرْمَضَ وَأَقْضَى وَأَفْلَقَ وَأَمَضَ وَمَسْنَى مِنَ التَّالِمِ
 لَهُ مَا يَحِقُّ عَلَى مِثْلِي مِمَّنْ تَوَالَتْ أَيْدِي الرَّئيسِ إِلَيْهِ
 وَوَجِبَتْ مُشَارَكَتُهُ فِي الْهَلِيمِ عَلَيْهِ فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ
 رَاجِعُونَ وَعِنْدَ اللَّهِ مَنْ نَحْسِبُهُ غُصْنًا ذَوِي وَشِهَابًا خَبَا
 وَفَرَعًا دَلَّ عَلَى أَصْلِهِ وَخَطِيبًا أَبْنَةً وَشَجَبَةً وَإِيَّاهُ أَسْأَلُ

أَنْ يَجْعَلَهُ لِلرَّئِيسِ فَرَطًا صَالِحًا وَذُخْرًا عَنِيدًا وَأَنْ يَنْفَعَهُ
 يَوْمَ الدِّينِ حَيْثُ لَا يَنْفَعُ إِلَّا مِثْلُهُ بَيْنَ الْبَيْنِ بِجُودِهِ
 وَمَجْدِهِ وَلَكِنْ كَانَ الْهَصَابُ بِهِ عَظِيمًا وَاتِّحَادُ فِيهِ
 جَسِيمًا لَقَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ وَإِلَى الرَّئِيسِ فِيهِ أَمَّا إِلَيْهِ
 فَإِنَّ اللَّهَ تَزَهَّهُ بِالْإِخْتِرَامِ عَنْ أَقْرِافِ الْأَثَامِ وَصَانَهُ
 بِالْإِخْتِصَارِ عَنْ مَلَابَسَةِ الْأَوْزَارِ قَوَّرَ دُنْيَاهُ رَشِيدًا
 وَصَدَرَ عَنْهَا سَعِيدًا تَقَى الصَّحِيفَةَ مِنْ سَوَادِ الذُّنُوبِ بَرِيءًا
 السَّاحَةَ مِنْ دَرَنِ الْعُيُوبِ لَمْ تُدْنِسْهُ الْجَبَائِرُ وَلَمْ تَعْلُقْ
 بِهِ الصَّغَائِرُ وَالْكِبَائِرُ قَذَرَعَ اللَّهُ عَنْهُ دَفِيقَ الْحِسَابِ
 وَأَسْهَمَ لَهُ الثَّوَابَ مَعَ أَهْلِ الصَّوَابِ وَأَتَمَّتْهُ بِالصَّادِقِينَ
 الْفَاضِلِينَ فِي الْعِبَادِ وَبَوَّأَهُ حَيْثُ فَضَّلَهُمْ مِنْ غَيْرِ سَعْيٍ
 وَاجْتِهَادٍ وَأَمَّا الرَّئِيسُ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَهَا أَخَارَ ذَلِكَ
 قَبْضَةً قَبْلَ رُؤْيِيهِ عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي تَكُونُ مَعَهَا الرِّقَّةُ
 وَمُعَايَتِهِ عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي تَضَاعَفُ عِنْدَهَا الْحُرْقَةُ وَحِمَاةُ
 مِنْ فِتْنَةِ الْهَرَاقَةِ لِيَرْفَعَهُ عَنْ جَزَعِ الْهَفَاقَةِ وَكَانَ هُوَ
 الْبَقَى لِدُنْيَاهُ وَالْوَاجِدَ الذَّخِيرَةَ لِأَخْرَاهُ وَعَزِيْزُهُ
 عَلَى أَنْ أَقُولَ قَوْلَ الْبُهَوْنِ لِلْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَا

أَوْفَى التَّوَجُّعِ عَلَيْهِ وَاجِبَ فَقْدِهِ فَهُوَ لَهُ سُلَالَةٌ وَمِنْهُ بَضْعَةٌ
 وَلَكِنَّ ذَلِكَ طَرِيقُ التَّسْلِيَةِ وَسَبِيلُ التَّعْزِيَةِ وَالْمُنْتَجَمُ
 الْمَسْلُوكُ فِي مُخَاطَبَةِ مِثْلِهِ مِنْ يَقْبَلُ مَنَفَعَةَ الذِّكْرِ وَإِنْ
 أَغْنَاهُ الْإِسْتِصَارُ وَلَا يَأْتِي وَرُودَ الْمَوْعِظَةِ وَإِنْ كَفَّاهُ
 الْأَعْتِبَارُ وَاللَّهُ تَعَالَى فِي الرَّئِيسِ الْبَصَائِبِ وَيُعِيدُهُ مِنَ
 النَّوَائِبِ وَيَرْعَاهُ بِعَيْنِهِ الَّتِي لَا تَنَامُ وَيَجْعَلُهُ فِي حِمَاةِ الَّذِي
 لَا يُرَامُ وَيُثَبِّتُهُ مَوْفُورًا غَيْرَ مُتَقَصٍّ وَيَقْدِمُنَا إِلَى السُّوءِ
 أَمَامَهُ وَإِلَى الْحَذَرِ قُدَّامَهُ وَيَبْدَأُ بِي مِنْ بَيْنِهِمْ فِي هَذِهِ
 الدَّعْوَةِ إِذْ كُنْتُ أَرَاهَا مِنْ أَسْعَدِ أَحْوَالِي وَأَعْدَّهَا مِنْ
 أَبْلَغِ أَمَانِي وَأَمَالِي

والمصحح إلى صديق له

مَنْ عَلِمَ أَنَّ الْقَضَاءَ وَاقِعٌ وَأَنَّ الْأَعْمَارَ رَهَائِنُ
 الْمَصَارِعِ فَلَمْ يَصُحِّبْ دَهْرَهُ عَلَى غِرَّةٍ وَلَمْ يَغْتَرَّ مِنْ
 الْأَقْدَارِ بِفَتْرَةٍ لَمْ تَكُزْ عَلَيْهِ الرِّزِيَّةُ إِذَا أَغْنَاكَ وَلَمْ
 يَطْمِئَنَّ إِلَى السَّلَامَةِ وَإِنْ طَالَ فَإِنَّ لِلدَّهْرِ رَقْدَةً وَهَبَةً
 وَإِنَّ لِلْبَالِي كَهْنَةً وَوَهْبَةً وَمِثْلَكَ مَنْ أَدْرَكَ مَبَادِي
 الْأُمُورِ وَمَصَايِرَهَا وَعَرَفَ مَوَارِدَ الْحَيَاةِ وَمَصَادِيرَهَا وَإِنَّمَا

الْمَوْتُ طُورٌ مِنْ أَطْوَارِ الْوُجُودِ وَآخِرُ أَعْمَالِ الْحَيَاةِ فِي
 الْوُجُودِ وَلَا أُرِيدُكَ عَلِمًا بِالْكَوْنِ وَشَرَائِعِهِ وَالْكَائِنِ
 وَطِبَائِعِهِ إِنَّهَا هِيَ ذِكْرِي لِمَنْ فَجِئَهُ الرِّزْقُ فَشَغَلَهُ وَحَلَّ
 بِسَاحَتِهِ الْقَضَاءُ فَأَذْهَلَهُ وَحَسَنِي مِنَ التَّعْزِيَةِ عَلَيَّ بِمَا عِنْدَكَ
 مِنْ مَوَارِدِ الْعِلْمِ الْمُبَاحِ وَمِنْ النَّاسِيَةِ مَا تَعْلَمُهُ مِنْ حَالِ
 مَنْ يُخَاطِبُكَ وَهُوَ سَائِلُ الْجِرَاحِ وَمَا أَخْلَقَنِي بِأَنْ أَقُولَ
 إِنَّ رِزْقَكَ هَذَا قَدْ زَادَنِي شَجْنًا عَلَى أَشْجَانِي وَنَكَأَ مَا تَمَائِلَ
 مِنْ فُرْحَةٍ أُحْزَانِي وَلَكِنِّي قَدْ صَبَّرْتُ الدَّهْرَ إِلَى حَالٍ لَا
 تَعْمَلُ فِيهَا حَالٌ وَلَا أُبَالِي مَعَهَا بِسِلْمٍ وَلَا قِتَالٍ فَكُنَّا نَمَا
 إِيَّايَ عَنَى أَبُو الطَّيِّبِ حَيْثُ قَالَ

رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ حَتَّى فُؤَادِي فِي غِشَاءٍ مِنْ نِبَالٍ
 فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِي سِهَامٌ تَكَسَّرَتِ النِّصَالُ عَلَى النِّصَالِ
 عَلَى أَنَّ الْهَرَّ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ مَعَزٍ لَمْ يَزِدْهُ كَلَامُ
 الْمُعْزِينَ عَلَى إِذْكَارِ مُصَابِهِ وَتَجْدِيدِ لَوْعَتِهِ وَأَكْشَابِهِ
 وَهَمْنَا أَمْتَحَانُ الرِّجَالِ وَمَوْطِنُ الصَّبْرِ وَالْإِحْمَالِ
 وَالْهَرِّ بِأَعَزِّ مَا لَدَيْهِ يُنْتَحَنُ وَالصَّبْرُ عَلَى مِقْدَارِ الْهِمَمِ
 وَالْفِطْنِ وَإِنَّ الْأَحْزَانَ مَعْقُودَةً أَطْرَافَهَا بِالْعِزَاءِ مَوْصُولَةً

أَوَاخِرُهَا بِالنَّاسَاءِ فَأَجْعَلِ الْآخِرَةَ الْأُولَى وَلَا تُبْلَغِ
 الدَّهْرَ مِنْ نَفْسِكَ مَأْمُولًا وَاللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ يُقِيضَ لَنَا
 بِسَلَامَتِكَ عِوَضًا كَرِيمًا وَيَصُونَ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ مِنْ كُلِّ كَارِثَةٍ
 سَلِيمًا وَيُفْرِغَ عَلَى قُلُوبِكُمْ صَبْرًا جَبِيلًا وَعَلَى مَنْ فَقَدْتُمْ
 عَنَّا عَيْبًا بِرَحْمَتِهِ وَلُطْفِهِ

—••••—

فَصْلٌ

فِي الْخُطْبِ

خُطْبَةٌ لِلْإِمَامِ عَلِيٍّ

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ وَلُزُومِ طَاعَتِهِ
 وَتَقْدِيمِ الْعَمَلِ وَتَرْكِ الْأَمَلِ فَإِنَّهُ مَنْ فَرَطَ فِي عَمَلِهِ لَمْ
 يَتَنَجَّ بِشَيْءٍ مِنْ أَمَلِهِ أَيْنَ النَّعْبُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ الْمُشْتَمُّ
 لِحُجَّ الْجَارِ وَمَفَاوِزِ الْفَارِ يَسِيرُ مِنْ وَرَاءِ أَنْجِيَالِ
 وَعَالِجِ الرِّمَالِ يَصِلُ الْغَدُوَّ بِالرَّوَّاحِ وَالْهَسَاءَ بِالصَّبَاحِ
 فِي طَلَبِ مُحَقَّرَاتِ الْأَرْبَاحِ هَجَّتْ عَلَيْهِ مَنِينُهُ فَعَظُمَتْ
 بِنَفْسِهِ رَزِينُهُ فَصَارَ مَا جَمَعَ بُورًا وَمَا أَكْتَسَبَ غُرُورًا
 وَوَافِيَ الْقِيَامَةِ مُحْسُورًا أَيُّهَا الْأَلَاهِ الْغَارُ بِنَفْسِهِ كَأَنِّي بِكَ

وَقَدْ آتَاكَ رَسُولُ رَبِّكَ لَا يَفْرُغُ لَكَ بَابًا وَلَا يَهَابُ لَكَ
 حِجَابًا وَلَا يَقْبَلُ مِنْكَ بَدِيلًا وَلَا يَأْخُذُ مِنْكَ كَفِيلًا وَلَا
 يَرْحَمُ لَكَ صَغِيرًا وَلَا يُوقِرُ فَيْكَ كَبِيرًا حَتَّى يُؤَدِّيكَ إِلَى
 قَعْرِ مُظْلِمَةٍ أَرْجَاؤُهَا مُوَحِّشَةٌ كَفَعَلِهِ بِالْأُمَمِ الْخَالِيَةِ
 وَالْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ أَيْنَ مَنْ سَعَى وَاجْتَهَدَ وَجَمَعَ وَعَدَّدَ
 وَبَنَى وَشَيْدَ وَزَخَرَفَ وَنَجَّدَ وَبِالْقَلِيلِ لَمْ يَقْنَعْ وَبِالْكَثِيرِ
 لَمْ يَمْتَنِعْ أَيْنَ مَنْ قَادَ الْجُنُودَ وَنَشَرَ الْبُنُودَ أَضْحَوْا رُفَاتًا
 تَحْتَ الثَّرَى أَمْوَانًا وَأَنْتُمْ بِكَاسِهِمْ شَارِبُونَ وَلِسَبِيلِهِمْ
 سَالِكُونَ عِبَادَ اللَّهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَرَافِقِيهِ وَأَعْمَلُوا لِلْيَوْمِ
 الَّذِي تَسِيرُ فِيهِ الْجِبَالُ وَتَشَقُّ السَّمَاوَاتُ بِالْغَمَامِ وَتَطَايُرُ
 الْكُتُبُ عَنِ الْأَيْمَانِ وَالشَّيَاطِينُ فَآيَ رَجُلٍ يَوْمَئِذٍ تَرَكَ
 أَقَائِلَ هَاؤُمُ أَقْرَأُ كِتَابِيهِ أَمْ يَا بَنِي لَمْ أَوْتِ كِتَابِيهِ نَسْأَلُ
 مَنْ وَعَدْنَا بِإِقَامَةِ الشَّرَائِعِ جَتَّهُ أَنْ يَقِينَا سَخَطَهُ إِنْ أَحْسَنَ
 الْحَدِيثِ وَأَبْلَغَ الْمَوْعِظَةِ كِتَابُ اللَّهِ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ
 مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَبِيدٍ

خطبة للحجاج حين ولّاه عبد الملك بن مروان العراق وامره ان

يحشر الناس الى المهلب في حرب الازارقة

أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَّاعُ الثَّنَايَا مَتَى أَضَعَ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي

صَلِيبُ الْعُودِ مِنْ سَلَفِي نِزَارٍ كَنْصَلِ السِّيفِ وَضَاحُ الْحَجِينِ
 وَمَاذَا تَبَغَّبِ الشُّعْرَاءُ مِنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ حَدَّ الْأَرْبَعِينَ
 أَخُو خَمْسِينَ مُجْتَمِعَ أَشْدِي وَتُجِدُنِي مَدَاوِرَ الشُّوْنِ
 أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَحْبِلُ الشَّرَّ بِحَبْلِهِ وَأَحْذُوهُ بِنَعْلِهِ وَأُجْزِيهِ
 بِمِثْلِهِ وَإِنِّي لَأَرَى ابْصَارًا طَامِحَةً وَأَعْنَاقًا مُتَطَاوِلَةً
 وَرُؤُوسًا قَدْ أُيْنَعَتْ وَحَانَ فِطَانُهَا وَإِنِّي لَصَاحِبُهَا
 كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الدِّمَاءِ بَيْنَ الْعِمَامِ وَالْحَيِّ تَتَرَفَّقُ
 هَذَا أَوَّانُ الْحَرْبِ فَاشْتَدِي زَيْمٌ

قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقِ حُطَرٍ

لَيْسَ بِرَاعِي إِبِلٍ وَلَا غَنَمٍ
 وَلَا بِجِزَارٍ عَلَى ظَهْرٍ وَضَمٍ
 قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِعَصَلِيمٍ أَرْوَعَ خَرَّاجٍ مِنَ الدَّوِيِّ
 مُهَاجِرٍ لَيْسَ بِأَعْرَابِيٍّ
 قَدْ شَمَرْتُ عَنْ سَاقِهَا فَشَدُّوا مَا عَلَيَّ وَأَنَا شَيْخٌ جَلْدُ
 وَالْقَوْمُ فِيهَا وَتَرَّ عِرْدُ مِثْلُ ذِرَاعِ الْبَكْرِ أَوْ أَشَدُّ
 إِنِّي وَاللَّهِ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ وَمَعْدِنَ الشَّقَاقِ وَالنِّفَاقِ وَمَسَاوِي
 الْأَخْلَاقِ لَا يُغَيِّرُ جَانِبِي كَتِفُهُمَا زَيْنُ النَّيْنِ وَلَا يَقْتَعِعُ لِي

بِالشَّيْءِ وَلَقَدْ فَرِرتُ عَنْ ذِكَا^ه وَفَتِشْتُ عَنْ تَجْرِيبِهِ وَأَجْرِيَتْ
 مَعَ الْغَايَةِ وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَثَرَ كَنَانَهُ ثُمَّ عَجِمَ عِيدَانَهَا
 فَوَجَدَنِي أَمْرًا عَوْدًا وَأَشَدَّهَا مَكْسِرًا فَوَجَّهَنِي إِلَى كُر^ه
 وَرَمَاكُم بِي فَإِنَّهُ قَدْ طَالَهَا أَوْضَعُكُمْ فِي الْقِتَنِ وَسَنَتُمْ سُنَنَ
 الْبَغْيِ وَسَعَيْتُمْ فِي الضَّلَالَةِ وَأَيْمُ اللَّهُ لَا لِحُونَكَرَ لِحَوِ الْعَصَا
 وَلَا فَرَعَنْكُمْ فَرَعِ الْهَرَوَةِ وَلَا عَصِبَتْكُمْ عَصَبَ السِّلَهِ
 وَلَا ضَرْبَكُمْ ضَرْبَ عِرَابِ الْإِبِلِ أَمَا وَاللَّهِ لَا أَعِدُّ إِلَّا وَفَيْتُ
 وَلَا أَخْلُقُ إِلَّا فَرَيْتُ وَإِيَّايَ وَهَذِهِ الزَّرَافَاتُ وَالْجَمَاعَاتُ
 وَقَالَ وَقِيلَ وَمَا يَقُولُونَ وَفِيمَ أَنْتُمْ وَاللَّهِ لَتَسْتَقْبِلُنَّ عَلَى
 طَرِيقِ الْحَقِّ أَوْ لَا دَعْنُ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ شُغْلًا فِي جَسَدِهِ مَنْ
 وَجَدْتُهُ بَعْدَ ثَالِثَةٍ مِنْ بَعَثِ الْهَلَبِ سَفَكَتُ دَمَهُ وَأَنْتَهَبْتُ
 مَالَهُ وَهَدَمْتُ مَنْزِلَهُ

وله ايضا بعد وقعة دير الجواجم

يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ اسْتَبْطَنَكُمْ فَخَالَطَ
 النَّحْمَ وَالْدَّمَ وَالْمَسَامِعَ وَالْأَطْرَافَ وَالْأَعْضَادَ وَالشِّفَاهُ ثُمَّ
 مَضَى إِلَى الْأَمْخَاخِ وَالْأَصْبَاخِ ثُمَّ ارْتَفَعَ فَعَشَّشَ ثُمَّ بَاضَ
 وَفَرَّخَ فَحَشَاكُمْ شِقَاقًا وَنِفَاقًا وَإِنَّ أَشْعَرَكُمْ خِلَافًا اتَّخَذَتْهُ

دَلِيلًا تَتَّبِعُونَهُ وَقَائِدًا تُطِيعُونَهُ وَمُؤَامِرًا تَسْتَشِيرُونَهُ
 وَكَيْفَ تَنْفَعُكُمْ تَجْرِبَةُ أَوْ تَعْظُمُكُمْ وَقَعَةٌ أَوْ يَحْزِنُكُمْ
 إِسْلَامٌ أَوْ يَرُدُّكُمْ إِيَّاهُ أَلَسْتُمْ أَصْحَابِي بِالْأَهْوَا حَيْثُ
 رُمْتُمُ الْهَكَرَ وَسَعَيْتُمُ بِالْغَدْرِ وَاسْتَجَبْتُمُ لِلْكَفْرِ وَظَنَنْتُمْ
 أَنَّ اللَّهَ يَخْذُلُ دِينَهُ وَخِلَافَتَهُ وَأَنَا أَرْمِيكُمْ بِطَرْفِي وَأَنْتُمْ
 تَنْسُلُونَ لَوْ آذًا وَتَنْهَزُمُونَ سِرَاعًا يَوْمَ الزَّوَاوِيَةِ وَمَا يَوْمُ
 الزَّوَاوِيَةِ بِهَا كَانَ فَشَلُّكُمْ وَتَنَازُعُكُمْ وَتَخَاذُلُكُمْ وَبِرَاءَةُ اللَّهِ
 مِنْكُمْ وَنُكُوصُ وَلِيِّهِ عَنْكُمْ إِذْ وَلَيْتُمْ كَأَلَابِلِ الشُّوَارِدِ
 إِلَى أَوْطَانِهَا النَّوَازِعِ إِلَى أُعْطَانِهَا لَا يَسْأَلُ الْهَرَّةُ مِنْكُمْ
 عَنْ أَخِيهِ وَلَا يَلْوِي الشَّيْخُ عَلَى بَنِيهِ حَتَّى عَضَّكُمْ السِّلَاحُ
 وَقَصَمَكُمْ الرِّمَاحُ وَيَوْمَ دَبَرِ الْجَبَاهِمِ وَمَا دَبَرِ الْجَبَاهِمِ
 بِهِ كَانَتْ الْمَعَارِكُ وَالْمَلَا حِمُّ بِضَرْبِ يَزِيدُ الْهَامَ عَنْ
 مَقِيلِهِ وَيُنْهَلُ الْخَلِيلُ عَنْ خَلِيلِهِ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ أَهْلَ
 الْكُفَرَاتِ وَالْفَجَرَاتِ وَالْغَدَرَاتِ بَعْدَ الْخَتَرَاتِ وَالثُّورَةِ
 بَعْدَ الثُّورَاتِ إِنْ بُعِثْتُمْ إِلَى نُغُورِكُمْ غَلْتُمْ وَخِثْتُمْ وَإِنْ
 أُمِيتُمْ أَرْجَفْتُمْ وَإِنْ خِثْتُمْ نَافَقْتُمْ لَا تَذْكُرُونَ نِعْمَةً وَلَا
 تَشْكُرُونَ نِعْمَةً يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ هَلِ اسْتَحْفَكُمُ نَاصِيتُ أَوْ

أَسْتَغْوَاكُمْ غَاوٍ أَوْ اسْتَغْرِكُمْ عَاصِرٍ أَوْ اسْتَنْصِرْكُمْ ظَالِمٍ
 أَوْ اسْتَعِضْكُمْ خَالِجٍ إِلَّا وَتَقْتُلُوهُ وَآوِيْتُوهُ وَعِزُّنَا
 وَتَصَرُّنَا وَرَضِيْتُوهُ وَأَرْضِيْتُوهُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ هَلْ
 شَغَبَ شَاغِبٌ أَوْ نَعَبَ نَاعِبٌ أَوْ نَعَقَ نَاعِقٌ أَوْ زَفَرَ زَافِرٌ
 إِلَّا كُتِمَ أَنْبَاءُهُ وَأَنْصَارُهُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ أَلَمْ تَتَّهَمُوا
 الْهَوَاعِظُ أَلَمْ تَزَجُرْكُمْ الْوَقَائِعُ يَا أَهْلَ الشَّامِ إِنَّمَا أَنَا
 لَكُمْ كَالظَّلِيمِ الذَّابِّ عَنْ فِرَاحِهِ يَنْفِي عَنْهَا الْبَدْرَ وَيَبَاعِدُ
 عَنْهَا النَّجْمَ وَيَكْتُمُهَا مِنَ الْبَطْرِ وَيَحْجِبُهَا مِنَ الصَّبَابِ
 وَيَحْرُسُهَا مِنَ الذُّبَابِ يَا أَهْلَ الشَّامِ أَنْتُمْ الْحَبِيبَةُ وَالرِّكَاءُ
 وَأَنْتُمْ الْعِدَّةُ وَالْحِذَاءُ

ولعبة بن ابي سفيان

يَا أَهْلَ مِصْرَ قَدْ طَالَتْ مُعَانَبَتُنَا إِيَّاكُمْ بِأَطْرَافِ
 الرِّمَاحِ وَطُبَاتِ السُّيُوفِ حَتَّى صِرْنَا شَجَى فِي لَهَاكُمْ مَا تُسِغُهُ
 حُلُوقُكُمْ وَأَقْدَاءَ فِي أَعْيُنِكُمْ مَا تَطْرِفُ عَلَيْهَا جُفُونُكُمْ
 أَفَحِينَ اشْتَدَّتْ عُرَى الْحَقِّ عَلَيْكُمْ عَقْدًا وَاسْتَرْخَتْ عَقْدُ
 الْبَاطِلِ مِنْكُمْ حَلًّا أَرْجَفْتُمْ بِالْخَلِيفَةِ وَأَرَدْتُمْ تَهْوِينَ الْخِلَافَةِ
 وَخَضَعْتُمْ الْحَقَّ إِلَى الْبَاطِلِ وَأَقْدَمْتُمْ عَهْدَكُمْ بِهِ حَدِيثٌ

فَارْتَبِعُوا أَنْفُسَكُمْ إِذَا خَسِرْتُمْ دِينَكُمْ فَهَذَا كِتَابُ أَمِيرِ
 الْمُؤْمِنِينَ بِالتَّخْبِيرِ السَّارِ عَنْهُ وَالْعَهْدِ الْقَرِيبِ مِنْهُ وَعَلِمُوا
 أَنَّ سُلْطَانَنَا عَلَى أَيْدَانِكُمْ دُونَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْلِحُوا لَنَا مَا
 ظَهَرَ وَنَكِلْكُمْ إِلَى اللَّهِ فِيهَا بَطْنٌ وَأُظْهِرُوا خَيْرًا وَإِنْ
 أَضْمَرْتُمْ شَرًّا فَإِنَّكُمْ حَاصِدُونَ مَا أَنْتُمْ زَارِعُونَ وَعَلَى اللَّهِ
 اتَّوَكَّلْ بِهِ اسْتَعِينُ

وله أيضا

يَا حَامِلِي الْأَمِّ أُنُوفٍ رُكِبَتْ بَيْنَ الْأَمِّ أَعْيُنٍ إِنَّمَا قُلْتِ
 أَظْفَارِي عَنْكُمْ لَيْلِينَ مَسِي إِيَّاكُمْ وَسَأَلْتُكُمْ صَلَاحَكُمْ إِذَا
 كَانَ فَسَادُكُمْ رَاجِعًا عَلَيْكُمْ فَأَمَّا إِذَا أَيْتُمْ إِلَّا الطَّعْنَ عَلَى
 الْوَلَاةِ وَالْتِقَصَ لِلْسَلَفِ فَوَاللَّهِ لَا فَطَعْنَ عَلَى ظُهُورِكُمْ
 بَطُونِ السِّبَاطِ فَإِنْ حَسَبْتِ دَاءَكُمْ وَإِلَّا فَالْسَيْفُ مِنْ
 وَرَائِكُمْ وَلَسْتُ أَبْجُلُ عَلَيْكُمْ بِالْعُقُوبَةِ إِذَا جَدْتُمْ بِاللَّعْصِيَةِ
 وَلَا أُوَسِّسُكُمْ مِنْ مُرَاجَعَةِ الْمُحْسَنِ إِنْ صِرْتُمْ إِلَى الَّتِي هِيَ
 أَبْرُ وَأَتَى

وينسب إلى سحران وائل

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ مَهْرٍ وَالْآخِرَةُ دَارُ مَقَرٍّ

فَخُذُوا مِنْ مَّهْرِكُمْ لِمَهْرِكُمْ وَلَا تَهْتِكُوا أَسْرَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ أَسْرَارُكُمْ وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ فِيهَا حَبِيبٌ وَلِغَيْرِهَا خَلِقَتُمُ الْيَوْمَ عَمَلٌ بِلاَ حِسَابٍ وَغَدًا حِسَابٌ بِلاَ عَمَلٍ إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ مَا تَرَكَ وَقَالَتِ الْهَلَائِكَةُ مَا قَدَّمَ فَقَدِّمُوا بَعْضًا يَكُنْ لَكُمْ فَرَضًا وَلَا تَتْرَكُوا كُلًّا يَكُنْ عَلَيْكُمْ كَلًّا

فصل

في الذم والقطيعة

كتب ابو الفضل بن العبد الى ابي عبد الله الطبري

وَصَلَ كِتَابُكَ فَصَادَفَنِي قَرِيبَ الْعَهْدِ بِالْإِنْطِلَاقِ مِنْ
عَنْتِ الْفِرَاقِ وَوَافَقَنِي مُسْتَرْجِعَ الْأَعْضَاءِ وَالْحَوَاحِجِ مِنْ
جَوَى الْأَشْتِيَاقِ فَإِنَّ الدَّهْرَ جَرَى عَلَى حُكْمِهِ الْهَالُوفِ فِي
تَحْوِيلِ الْأَحْوَالِ وَمَضَى عَلَى رَسْمِهِ الْمَعْرُوفِ فِي تَبْدِيلِ
الْأَشْكَالِ وَأَعْتَقَنِي مِنْ مَخَالِكَ إِعْنَاقًا لَا تَسْتَحِقُّ بِهِ وَلَا
وَأَهْرَآئِي مِنْ عَهْدِكَ بَرَاءَةً لَا تَسْتَوْجِبُ مَعَهَا دَرَكًا وَلَا
أَسْتَشْنَاءَ وَنَزَعَ مِنْ عُنِّي رِبْقَةَ الذِّلِّ فِي إِخَاثِكَ بِيَدِي

جَنَائِكَ - وَرَشَّ عَلَى مَا كَانَ يُضْرَمُ فِي ضَمِيرِي مِنْ نِيرَانِ
 الشُّوقِ بِالسُّلُوِّ وَشَنَّ عَلَى مَا كَانَ يَلْتَهِبُ فِي صَدْرِي مِنْ
 الْوَجْدِ مَاءَ الْيَاسِ وَنَسَحَ أَعْشَارَ قَلْبِي فَلَا مَ فَطُورِي
 بِجَبِيلِ الصَّبْرِ وَشَعَبَ أَفْلَازَ كَيْدِي فَلَا حَمَّ صُدُوعَهَا بِحُسْنِ
 الْعَزَاءِ وَتَغْلَغَلَ فِي مَسَالِكِ أَنْفَاسِي فَعَوَّضَ عَنِ النَّزَاعِ
 إِلَيْكَ نُزُوعًا عَنْكَ وَمِنْ الذَّهَابِ فِيكَ رُجُوعًا دُونَكَ
 وَكَشَفَ عَنْ عَيْنِي ضَبَابَاتِ مَا أَلْفَاهُ الْهَوَى عَلَى بَصَرِي
 وَرَفَعَ عَنْهَا غَيَابَاتِ مَا سَدَّ لَهُ الشُّكُّ دُونَ نَظَرِي حَتَّى
 حَذَرَ النِّقَابَ عَنْ صَفَحَاتِ شَيْبِكَ وَسَفَرَ عَنْ وُجُوهِ خَلِيقَتِكَ
 فَأَذْهَبَ فَقَدْ أَلْقَيْتُ حَبْلَكَ عَلَى غَارِيكَ وَرَكَدْتُ إِلَيْكَ
 ذِمَّ عَهْدِكَ

وله اليوايضاً من رسالة

وَهَبْنِي سَكْتٌ لِدَعْوَاكَ سَكُوتٌ مُتَعَجِّبٌ وَرَضِيْتُ رَضَى
 مُسَخِّطٍ أَرْضَى الْفَضْلَ أَجْذَابَكَ بِأَهْدَائِهِ مِنْ يَدَيِ أَهْلِيهِ
 وَأَصْحَائِهِ وَأَحْسَبُكَ لَمْ تُزَاحِمْ خُطَابَةً حَتَّى أَنْشَدَكَ
 لَوْ بِأَبَانِينَ جَاءَ بِخُطْبَاهَا ضُرِجَ مَا أَنْفُ خَاطِبٍ بِدَمٍ
 وَلَيْتَ شِعْرِي بِأَيِّ حَلِيٍّ تَصَدَّقْتُ لَهُ وَأَنْتَ لَوْ تَوَجَّجْتَ

بِالثَّرْيَا وَتَقَلَّدَتْ فِلَادَةَ الْفَلَكَ وَتَمَنَّطَتْ بِمِنْطَقَةِ الْحُجُورَاءِ
وَتَوَشَّحَتْ بِالْحَجَرَةِ لَمْ تَكُنْ إِلَّا عَطْلًا وَلَوْ تَدَثَّرْتَ أَنْوَارَ
الرَّبِيعِ الزَّاهِرِ وَأَسْرَجْتَ فِي جَبِينِكَ غُرَّةَ الْبَدْرِ الْبَاهِرِ
مَا كُنْتَ إِلَّا غُفْلًا لَا سِيَّامَ مَعَ قَلْبٍ وَفَائِكَ وَضَعْفٍ إِخَائِكَ
وِظْلَمَةٍ مَا بُصِرُهُ مِنْ خِصَالِكَ وَتَرَكَمُ الدُّجَى فِي ضَلَالِكَ
وَقَدْ نَدِمْتُ عَلَى مَا كَانَ مِنِّي إِلَيْكَ وَلَكِنْ أَيْ سَاعَةٍ مَنَدَمٍ
بَعْدَ إِفْنَاءِ الزَّمَانِ فِي أَيْدِيكَ وَتَصَفِّي حَالَاتِ الدَّهْرِ
فِي أَخْيَارِكَ وَبَعْدَ تَضْيِيعِ مَا غَرَسْتُهُ وَتَقْوِيضِ مَا أَسَسْتُهُ
فَإِنَّ الْوَدَادَ غَرَسَ إِذَا لَمْ يُوَافِقْ ثَرَى ثَرِيًّا وَمَا رَوِيًّا لَمْ
يُجْزِ زَكَاؤُهُ وَلَمْ يَجْرِ مَأْوُهُ وَلَمْ تَنْفُخْ أَزْهَارُهُ وَلَمْ تُجْنِ
ثِمَارَهُ وَلَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ مَلَكْتُ الضَّلَالَ فَيَا دِي حَتَّى
أَشْكَلَ عَلَى مَا بَحَنَاجُ إِلَيْهِ الْمَهَازِجَانِ وَلَا يَسْتَغْنِي عَنْهُ
الْمَنَالِفَانِ وَهِيَ مُهَازِجَةُ طَبَعٍ وَتُؤَافِقَةُ شَكْلِ وَخُلُقٍ
وَمُطَابَقَةُ خِيمٍ وَخُلُقٍ وَمَا وَصَلْنَا حَالَ جَبَعَتْنَا عَلَى أَخْلَافٍ
وَحَمَتْنَا مِنْ أَخْلَافٍ وَنَحْنُ فِي طَرْفِ ضِدِّينَ وَبَيْنَ
أَمْرَيْنِ مُتَبَاعِدَيْنِ وَإِذَا حَصَلَتِ الْأَمْرُ وَجَدْتَ أَدْنَى مَا
بَيْنَنَا مِنَ الْبَعَادِ أَكْثَرُ مِمَّا بَيْنَ الْوَهَادِ وَالْجِبَادِ وَأَبْعَدُ

مِثْلَ بَيْنِ الْبَيَاضِ وَالسَّوَادِ وَأَيْسَرُ مَا بَيْنَنَا مِنَ الْفِتَنِ أَكْثَرَ
مِثْلَ بَيْنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْإِعْلَانِ وَالْإِسْرَارِ

وكتب أبو الفضل بدیع الزمان المہدائی من رسالہ الی ابی نصر
ابن المرزبان

كُنْتُ أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءِ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ
أَتَنَى لِلْكِتَابِ الْخَيْرَ وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُدِرَّ عَلَيْهِمْ أَخْلَافَ
الرِّزْقِ وَيَهْدِلَهُمْ أَكْنَافَ الْعِيشِ وَيُوطِئَهُمْ أَعْرَافَ
الْعَجْدِ وَيُؤْتِيَهُمْ أَصْنَافَ الْفَضْلِ وَيُرَكِّبُهُمْ أَكْنَافَ الْعِزِّ
وَقُصَارَايَ أَنْ أَرْغَبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي أَنْ لَا يُنِيلَهُمْ فَوْقَ
الْكِفَايَةِ وَلَا يَهْدِلَهُمْ فِي حَبْلِ الرِّعَايَةِ فَشَدَّ مَا يَطْغُونَ
لِلنِّعَةِ بِنَالُونَهَا وَالْدَّرَجَةِ بِعُلُونِهَا وَسَرَعَ مَا يَنْظُرُونَ مِنْ
عَالٍ بِمَا يَنْظُرُونَ مِنْ حَالٍ وَيَجْمَعُونَ مِنْ مَالٍ وَتُسَبِّحُهُمْ
أَيَّامُ الدُّنْيَةِ أَوْقَاتُ الْخُشُونَةِ وَأَزْمَانُ الْعُدُوبَةِ سَاعَاتُ
الصَّعُوبَةِ وَلِلْكِتَابِ مَزِيَّةٌ فِي هَذَا الْبَابِ فَبَيْنَاهُمْ فِي
الْعُطْلَةِ إِخْوَانٌ كَمَا اتَّظَمَ السِّمْطُ وَفِي الْعَزْلَةِ أَعْوَانٌ كَمَا
أَنْفَرَجَ الْمِشْطُ حَتَّى لَحَظَهُمُ الْحُجَّةُ لَحْظَةً حَقَّقَاءَ بِمَنْشُورِ عِمَالَةٍ
أَوْصَكَ جِعَالَةٍ فَبَعُودُ عَامِرٍ وَوُدُّهُمْ خَرَابَا وَيَثْقَلُ شَرَابُ

عَهْدِهِمْ سَرَابًا فَمَا عَلَتْ أُمُورُهُمْ حَتَّى أُسِيلَتْ سُتُورُهُمْ
وَلَا غَلَتْ قُدُورُهُمْ إِلَّا خَلَتْ بُدُورُهُمْ وَلَا اتَّسَعَتْ
دُورُهُمْ إِلَّا ضَاقَتْ صُدُورُهُمْ وَلَا أَوْقَدَتْ نَارُهُمْ إِلَّا
انْطَفَأَ نُورُهُمْ وَلَا زَادَ مَالُهُمْ إِلَّا تَقَصَّ مَعْرُوفُهُمْ وَلَا
وَرِمَتْ أَكْيَاسُهُمْ إِلَّا وَرِمَتْ أَنْوْفُهُمْ وَلَا صَلَحَتْ أَحْوَالُهُمْ
إِلَّا فَسَدَتْ أَفْعَالُهُمْ وَلَا حَسُنَتْ حَالُهُمْ إِلَّا قَبِحَتْ خِلَالُهُمْ
وَلَا فَاضَ جَاهُهُمْ إِلَّا غَاضَتْ مِيَاهُهُمْ وَلَا لَانَتْ بُرُودُهُمْ
إِلَّا صَلَبَتْ حُدُودُهُمْ وَلَا عَلَتْ جُدُودُهُمْ إِلَّا سَفَلَ جُودُهُمْ
وَلَا طَالَتْ أَيْدِيهِمْ إِلَّا اقْصُرَتْ أَيْادِيهِمْ وَقُصَّارَى أَحْدِهِمْ
مِنَ الْعَبْدَانِ لَا يُخْرِجُ مَالَهُ مِنْ عَهْدَةِ خَانِهِ إِلَّا يَوْمَ مَانِهِ
فَهُوَ يَجْمَعُ لِحَادِثِ حَيَاتِهِ أَوْ وَارِثِ مَبَاتِهِ يَسْلُكُ فِي الْغَدْرِ
كُلَّ طَرِيقٍ وَيَبِيعُ بِالذِّرْهِمِ أَلْفَ صَدِيقٍ

فَصْلٌ

فِي النَّعَاءِ

قَالَ أَعْرَابِيٌّ

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَاجْلِدْ بَارِدٌ وَالنَّفْسُ رَطْبَةٌ وَاللِّسَانُ

مُنْطَلِقٌ وَالصَّحْفُ مَشُورَةٌ وَالْأَفْلَامُ جَارِبَةٌ وَالتَّوْبَةُ
 مَقْبُولَةٌ وَالتَّضَرُّعُ مَرْجُوٌّ قَبْلَ أَنْ يَفْرَقَ وَحَشَلُ
 النَّفْسِ وَعَلَزُ الصَّدْرِ وَتَزَبُّلُ الْأَوْصَالِ وَتُصُولُ
 الشَّعْرِ وَأَجْنِيفُ التَّرَابِ وَقَبْلَ أَنْ لَا أَقْدِرَ عَلَى اسْتِغْفَارِكَ
 حِينَ يَفْنَى الْأَجَلُ وَيَقْطَعُ الْعَمَلُ أُعْنِي عَلَى الْمَوْتِ
 وَكُرْبَتِهِ وَعَلَى الْقَبْرِ وَغَمِّهِ وَعَلَى الْمِيزَانِ وَخِفَتِهِ وَعَلَى
 الصِّرَاطِ وَزَلَّتِهِ وَعَلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَرَوْعَتِهِ إِغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً
 لَا تُغَادِرُ ذَنْبًا وَلَا تَدَعُ كَرْبًا اغْفِرْ لِي جَمِيعَ مَا افْتَرَضْتَ
 عَلَيَّ وَلَمْ أُوَدِّهِ إِلَيْكَ اغْفِرْ لِي جَمِيعَ مَا نَبْتُ إِلَيْكَ مِنْهُ
 ثُمَّ عُدْتُ فِيهِ يَا رَبِّ تَظَاهَرْتُ عَلَى مِنْكَ النِّعَمُ وَتَدَارَكْتُ
 عِنْدَكَ مِنَ الذُّنُوبِ فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى النِّعَمِ الَّتِي تَظَاهَرْتُ
 وَاسْتَغْفِرُكَ لِلذُّنُوبِ الَّتِي تَدَارَكْتُ وَأَمْسَيْتَ عَنْ عَذَابِي غَنِيًّا
 وَأَصْبَحْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ فَقِيرًا اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ نَجَاحَ
 الْأَمَلِ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْأَجَلِ اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عَمَلِي مَا
 وَلِيَ أَجَلِي اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أُعْطِيَتْهُمْ شَكَرُوا
 وَإِذَا أُنْقَلِبَتْهُمْ صَبَرُوا وَإِذَا أذْكَرْتَهُمْ ذَكَرُوا وَاجْعَلْ لِي
 فَلْبًا تَوَابًا أَوْ أَبَا لَا فَاحِرًا وَلَا مُرْتَابًا اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا

أَحْسِنُوا أَرْكَادُوا وَإِذَا أَسَاءُوا اسْتَغْفِرُوا اللَّهُمَّ لَا تُحَقِّقْ
 عَلَيَّ الْعَذَابَ وَلَا تَقْطَعْ بِي الْأَسْبَابَ أَدْعُوكَ دُعَاءَ ضَعِيفٍ
 عَمَلُهُ مُتَظَاهِرَةٌ ذُنُوبُهُ ضَمِينٌ عَلَى نَفْسِهِ دُعَاءَ مَنْ بَدَنُهُ
 ضَعِيفٌ وَمَتْنُهُ عَاجِزٌ قَدْ أَنْتَهتْ عِدَّتُهُ وَخَلَقْتَ جَدَّتُهُ
 وَتَمَّ ظِمْمُوهُ اللَّهُمَّ لَا تُخَيِّبْنِي وَأَنَا أَرْحُوكَ وَلَا تُعَذِّبْنِي وَأَنَا
 أَدْعُوكَ أَلْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى طَوْلِ النَّسِيئَةِ وَإِسَاغَةِ الرِّيقِ
 وَتَأْخِرِ السَّدَائِدِ وَأَلْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى حِلْمِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ وَعَلَى
 عَفْوِهِ بَعْدَ قُدْرَتِهِ وَأَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُودِي قَبِيلَهُ وَلَا
 يُخَيِّبُ سَائِلُهُ وَلَا يَرُدُّ رِسُولَهُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ
 إِلَّا إِلَيْكَ وَمِنَ الذَّلِيلِ إِلَّا لَكَ وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَقُولَ زُورًا
 أَوْ أَغْشَى فُجُورًا أَوْ أَكُونَ بِكَ مَغْرُورًا وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ
 سَمَاتِهِ الْأَعْدَاءِ وَعُضَالِ الدَّاءِ وَخَبِيَةِ الرَّجَاءِ وَزَوَالِ
 النِّعَةِ

وقال أعرابي غيره

اللَّهُمَّ إِنَّ اسْتَغْفَارِي إِيَّاكَ مَعَ كَثْرَةِ ذُنُوبِي لِلْيَوْمِ
 وَإِنْ تَرَكِي الْإِسْتِغْفَارَ مَعَ مَعْرِفَتِي بِسَعَةِ رَحْمَتِكَ لَعَجَزَ إِلَهِي
 كَمْ تَحَبَّبْتَ إِلَيَّ بِنِعْمَتِكَ وَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنِّي وَكَمْ أَتَبَغَّضَ

إِلَيْكَ بِذُنُوبِي وَأَنَا فَتِيرٌ إِلَيْكَ سُبْحَانَ مَنْ إِذَا تَوَعَّدَ عَفَا
وَإِذَا وَعَدَ وَفَى

وقال آخر

اللَّهُمَّ إِنَّ ذُنُوبِي إِلَيْكَ لَا تَضُرُّكَ وَإِنَّ رَحْمَتَكَ
إِلَيَّ لَا تَنْقُصُكَ فَاغْفِرْ لِي مَا لَا يَضُرُّكَ وَهَبْ لِي مَا لَا
يَنْقُصُكَ

فصل

في القول عند الوقوف على القبر

قالت أعرابية

وَاللَّهُ يَا بَنِيَّ لَقَدْ غَدَوْتُكَ رَضِيْعًا وَفَقَدْتُكَ سَرِيْعًا
وَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَالَيْنِ مَدَّةُ النَّدَى بَعِثْتُكَ فِيهَا فَأَصْبَحْتَ
بَعْدَ النَّصَارَةِ وَالْغَضَارَةِ وَرَوْتَنِي الْحَيَاةَ وَالنَّسَمَ مِنْ طِيبِ
رَوَائِحِهَا تَحْتَ طَيَاقِ الثَّرَى جَسَدًا هَامِدًا وَرَفَاتًا مَحِيْقًا
وَصَعِيدًا جُرْزًا أَيُّ بَنِيٍّ لَقَدْ سَحَبْتَ الدُّنْيَا عَلَيْكَ أَذْيَالَ
الْفَنَاءِ وَأَسْكَنْتَكَ دَارَ الْبِلَى وَرَمَتْنِي نَعْدَكَ نَكْبَةً الرَّدَى أَيُّ
بَنِيٍّ لَقَدْ أَسْفَرَ لِي عَنْ وَجْهِ الدُّنْيَا صَبَاحُ دَاجٍ ظِلَامُهُ أَيُّ

رَبِّ وَمِنْكَ الْعَدْلُ وَمِنْ خُلُقِكَ الْجُودُ وَهَبْتَهُ لِي قِرَّةً عَيْنٍ
 فَلَمْ تُنْتَعِنِي بِهِ كَثِيرًا بَلْ سَلَبْتَنِيهِ وَشَبَّكَ ثُمَّ أَمَرْتَنِي بِالصَّبْرِ
 وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهِ الْأَجْرَ فَصَدَّقْتُ وَعْدَكَ وَرَضِيتُ قَضَاءَكَ
 اللَّهُمَّ أَزْهِرْ غُرْبَتَهُ وَأَنْسِرْ وَحْشَتَهُ وَأَسْتُرْ عَوْرَتَهُ يَوْمَ
 تَنْكَشِفُ الْهَنَاتُ وَالسُّوءَاتُ أَيُّ بَنِي إِبْنِي قَدْ تَزَوَّدْتُ
 لِسَفَرِي فَلَيْتَ شِعْرِي مَا زَادَكَ لِبُعْدِ طَرِيقِكَ وَيَوْمَ
 مَعَادِكَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ لَهُ الرِّضَى بِرِضَايَ عَنْهُ أَيُّ
 بَنِي أَسْتَوْدَعُكَ مَنْ أَسْتَوْدَعْتِكَ فِي أَحْشَائِي جَنِينًا
 وَتُكَلَّ الْوَالِدَاتِ مَا أَمْضَ حَرَارَةً قُلُوبُهُنَّ وَأَفْلَقَ
 مَضَاجِعُهُنَّ وَأَطْوَلَ لَيْلَهُنَّ وَأَقْصَرَ نَهَارَهُنَّ وَأَقْلَّ أَنْسَهُنَّ
 وَأَشَدَّ وَحْشَتَهُنَّ وَأَبْعَدَهُنَّ مِنَ السُّرُورِ وَأَقْرَبَهُنَّ مِنَ
 الْأَحْزَانِ

وقالت امرأة الاحنف بن قيس

اللَّهُ دَرَكٌ مِنْ مَحَجٍّ فِي جَنِّ وَمُدْرَجٌ فِي كَفْنٍ نَسَّالُ
 الَّذِي فَجَعْنَا بِهَوْنِكَ وَأَبْلَانَا بِقُدْرِكَ أَنْ يَجْعَلَ سَبِيلَ
 الْخَيْرِ سَبِيلَكَ وَدَلِيلَ الرُّشْدِ دَلِيلَكَ وَأَنْ يُوسِّعَ لَكَ فِي
 قَبْرِكَ وَيَغْفِرَ لَكَ يَوْمَ حَشْرِكَ فَوَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ فِي

الْحَافِلِ شَرِيفًا وَعَلَى الْأَرَامِلِ عَطُوفًا وَلَقَدْ كُنْتَ فِي الْحَيِّ
 مُسَوِّدًا وَإِلَى الْخَلِيفَةِ مُوَفِّدًا وَلَقَدْ كَانُوا لِقَوْلِكَ مُسْتَعِيبِينَ
 وَلِرَأْيِكَ مُتَّبِعِينَ لَقَدْ عِشْتَ حَبِيدًا مُوَدُّدًا وَمِتَّ سَعِيدًا
 مُقْقُودًا

وقال حبان بن سلى على قبر عامر بن الطفيل

إِنَّمَا ظَلَمَ بَا أَبَا عَلِيٍّ فَقَدْ كُنْتَ تَشُنُّ الْغَارَةَ وَتَحْيِي
 أَنْجَارَةَ سَرِيحًا بِوَعْدِكَ بَطِيحًا بِوَعِيدِكَ وَكُنْتَ لَا تَضِلُّ
 حَتَّى يَضِلَّ النِّجْمُ وَلَا تَهَابُ حَتَّى يَهَابَ اللَّيْثُ وَلَا تَعْطَشُ
 حَتَّى يَعْطَشَ الْبَعِيرُ وَكُنْتَ خَيْرَ النَّاسِ حِينَ لَا تَنْظُرُ نَفْسُ
 بِنَفْسٍ خَيْرًا

خَاتِمَةٌ

في الوصف

فَقَرَّ جَارِيَةٌ عَلَى أَلْسِنَةِ اللَّغَاءِ فِي صِفَاتِ شَتَّى

في وصف البلدان

بَلَدَةٌ كَأَنَّهَا صُورَةُ جَنَّةٍ أَمْخُلِدُ مَشْقُوشَةً فِي عُرْضِ الْأَرْضِ *
 بَلَدَةٌ كَأَنَّ مُحَاسِنَ الدُّنْيَا مَجْمُوعَةً فِيهَا وَمَحْصُورَةٌ فِي نَوَاحِيهَا *
 بَلَدَةٌ تَرَاهَا عَنَبٌ وَحَصْبًا وَهَآ عَفِيقٌ وَهَآ آوْهًا نَسِيمٌ وَمَآوْهًا
 رَحِيقٌ * بَلَدَةٌ مَعْشُوقَةُ السَّكَنِ رَحْبَةُ الْمَشْوَى كَرَوَكِبَهَا
 يَقْظَانُ وَجُوهَهَا عُرْيَانٌ يَوْمَهَا غَدَاةٌ وَلَيْلَهَا سَحَرٌ * بَلَدَةٌ
 وَاسِعَةُ الرُّفْعَةِ طَيِّبَةُ الْبُقْعَةِ وَاسِطَةُ الْبِلَادِ وَسَرَّتْهَا وَوَجْهَهَا
 وَغُرَّتْهَا

في وصف الفلاع

قَلْعَةٌ حَلَقَتْ بِأَنْجُو تَنَاجِي السَّهَاءِ بِأَسْرَارِهَا * قَلْعَةٌ
 تَشُوخُ بِالْغَيُومِ وَتَجْنَلِي النُّجُومِ * قَلْعَةٌ مَتْنَاهِيَةٌ فِي الْخَصَانَةِ
 مُتَنِعَةٌ عَنِ الطَّلَبِ وَالطَّالِبِ مَنُصُوبَةٌ عَلَى أَضْيَقِ
 الْمَسَالِكِ وَأَوْعَرِ الْمَنَاصِبِ لَمْ تَزِدْهَا إِلَّا يَامُ إِلَّا نَبِي

أَعْطَاكِ وَأَسْتَصْعَابَ جَوَانِبِ وَأَطْرَافِ قَدْ مَلَّ الْهَلُوكُ
حِصَارَهَا فَفَارَقُوهَا عَنْ طِيَاحٍ مِنْهَا وَشِهَاسٍ وَسَمِيتِ
الْحَيُوشُ ظِلَّهَا فَغَادَرَتْهَا بَعْدَ قُنُوطٍ وَبَاسٍ فِيهِ حَيٍّ لَا
يَرَاغُ وَمَعْقِلٍ لَا يَسْتَطَاعُ كَأَنَّ الْأَيَّامَ صَاحَتْهَا عَلَى الْإِعْفَاءِ
مِنَ الْخَوَادِثِ وَاللِّبَالِي عَاهَدَتْهَا عَلَى التَّسْلِيمِ مِنَ الْقَوَارِعِ

في وصف الدور

دَارُ قَرَارٍ تُوَسِّعُ الْعَيْنَ قُرَّةً وَالنَّفْسَ مَسْرَّةً كَأَنَّ
بَانِيَهَا أَسْتَسْلَفَتِ الْجَنَّةَ فَعَجَّلَتْ لَهُ * دَارٌ تَخْلُ مِنْهَا الدُّورُ
وَتَنْقَاصُ عَنْهَا الْقُصُورُ إِنْ مَاتَ صَاحِبُهَا مَغْفُورًا لَهُ فَقَدْ
أَنْقَلَ مِنْ جَنَّةٍ إِلَى جَنَّةٍ * دَارٌ قَدْ أَقْتَرَنَ الْبَيْنُ بَيْنَاهَا
وَالْبِسْرُ بِسْرَاهَا الْجُسُومُ مِنْهَا فِي خَضِرٍ وَالْعَيُونُ عَلَى
سَفَرٍ * دَارٌ دَارٌ بِالسَّعْدِ نَجْمُهَا وَقَارٌ بِالْحُسْنِ سَهْمُهَا
بِخْدَمِهَا الدَّهْرُ وَيَأْمُومُهَا الْبَدْرُ وَيَكْنُهَا النَّصْرُ هِيَ مَرْتَعُ
النَّوَاطِرِ وَمَتْنَفَسُ الْخَوَاطِرِ أَخَذَتْ أَدْوَاتِ الْجِنَانِ
وَضَحِكَتْ مِنَ الْعَبَرِيِّ الْحِسَانِ

في وصف الدبار الخالية

دَارٌ لَيْسَتْ أَلْبَى وَتَعَطَّلَتْ مِنَ الْحَلِيِّ صَارَتْ مِنْ

أَهْلَهَا خَالِيَةً بَعْدَمَا كَانَتْ بِهِمْ حَالِيَةً قَدْ أَنْفَدَ الْيَزِيدُ سُكَّانَهَا
وَأَقْعَدَ حِيْطَانَهَا * دَارُ شَاهِدِ الْيَاسِ مِنْهَا يَنْطِقُ وَحَبْلُ
الرَّجَاءِ فِيهَا يَقْصُرُ كَأَنَّ عُمرَانَهَا يُطَوِّى وَخَرَابُهَا يُنْشَرُ
أَزْكَانُهَا فَيَاثُومٌ وَقُعُودٌ وَحِيْطَانُهَا رُكْعٌ وَسُجُودٌ

بَكَتْ دَارُهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ فَتَهَلَّلَتْ
دُمُوعِي فَأَيُّ أَتْجَازِعِينَ الْيَوْمُ
أَسْتَغِيرَ بِكَ عَلَى اللَّهِ وَالْبَلَى
أَمْ الْآخِرَ يَكِي شَجْوُهُ فِيهِمْ

في وصف ايام الربيع

يَوْمٌ جَلَابِيبُ غَيُومِهِ رِوَاقٌ وَأَرْذِيَّةُ نَسِيمِهِ رِفَاقٌ *
يَوْمٌ سَهَابٌ فَاخِيَةٌ وَأَرْضُهُ طَاوُوسِيَّةٌ * يَوْمٌ مَهْسَكُ السَّهَابِ
مَعْصَرُ الْهَوَاءِ مُعْبِرُ الرُّوضِ مُصْنَدِلُ الْمَاءِ * يَوْمٌ
تَبَسُّمٌ عَنْهُ الرَّبِيعُ وَتَبَرُّجٌ عَنْهُ الرُّوضُ بِالْهَرِيعِ * يَوْمٌ كَأَنَّ
سَهَابَهُ مُحِيطٌ تَبَاكِي وَأَرْضُهُ عُرُوسٌ تَتَجَلَّى * يَوْمٌ دَجَنَةٌ
عَاكِفٌ وَقَطْرَةٌ وَآكِفٌ

في وصف الرياض

رَوْضَةٌ رَفَّتْ حَوَاشِيهَا وَتَأْتَقُ وَاشِيهَا * رَوْضَةٌ كَأَنَّ لَعْقُودَ

الْمُنْظَمَةُ عَلَى الْبُرُودِ الْمُنْمِيَةِ * رَوْضَةٌ قَدْ رَاضَتْهَا كَفَتْ
 الْمَطَرِ وَدَجَّتْهَا أَيْدِي النَّدَى * رِيَّاضٌ كَالْعَرَائِسِ فِي
 حُلِيِّهَا وَزَخَارِفِهَا وَالْقِيَانِ فِي وَشِيِّهَا وَمَطَارِفِهَا بِاسِطَةٌ
 زَرَّابِيهَا وَأَنْهَاطُهَا نَاشِرَةٌ بُرُودَهَا وَرِيَّاطُهَا زَاهِيَةٌ
 بِجَهْرَائِهَا وَصَفْرَائِهَا نَائِمَةٌ بِعِيدَانِهَا وَغُدْرَانِهَا كَأَنَّهَا
 أَحْنَفَتْ لِوَفْدِ أَوْفِي مِنْ حَيْبٍ عَلَى وَعْدٍ * رَوْضَةٌ قَدْ
 تَصَوَّغَتْ بِالْأَرْجِ الطَّيِّبِ أَرْجَائُهَا وَتَبَرَّجَتْ فِي ظِلِّ
 الْغَمَامِ صَحْرَائُهَا وَتَنَافَحَتْ بِنَوَاحِ الْمِسْكِ أَنْوَارُهَا
 وَتَعَارَضَتْ بِغَرَائِبِ النُّطْقِ أَطْيَارُهَا * بُسْتَانٌ أَنْهَارُهُ
 مَحْفُوفَةٌ بِالْأَزْهَارِ وَأَشْجَارُهُ مُوقَرَةٌ بِالْثَّهَارِ * أَشْجَارُهَا كَأَنَّ
 الْحُورَ أَعَارَتْهَا قُدُودَهَا وَكَسَتْهَا بُرُودَهَا وَحَلَّتْهَا عُقُودَهَا *
 شَقَائِقُ كَنْجِيَانِ الْعَفِيقِ عَلَى رُؤُوسِ الزُّنُوجِ كَأَنَّهَا أَصْدَاغُ
 الْمِسْكِ عَلَى الْوَجَنَاتِ الْمُرْدَّةِ * كَأَنَّ الشَّقِيقَ جَامٌ مِنْ
 عَفِيقٍ أَحَدٍ مِلَّتْ فَرَارَتُهُ بِمِسْكِ أَذْفَرِ * الْأَرْضُ
 زُمُرْدَةٌ وَالْأَشْجَارُ وَشْيٌ وَالْهَاءُ سَيْفٌ وَالطُّيُورُ قِيَانٌ *
 قَدْ غَرَدَتْ خُطْبَاءُ الْأَطْيَارِ عَلَى مَنَابِرِ الْأَنْوَارِ وَالْأَزْهَارِ

في وصف طول الليل والسهر وما يعرض فيه من الهموم والفكر
 لَيْلَةٌ فَصَّ جَنَاحُهَا وَضَلَّ صَبَاحُهَا * لَيَالٍ لَيْسَتْ
 لَهَا أَسْحَارٌ وَظُلُمَاتٌ لَا تَبْخُلُهَا أَنْوَارٌ * لَيْلٌ ثَابِتٌ
 الْأَطْنَابِ بَطِيءُ الْغَوَارِبِ طَامِحُ الْأَمْوَاجِ وَافِي الذُّوَابِ *
 بَاتَ بَلِيلُهُ سَاوَرَتْهُ فِيهَا الْهُومُ وَسَامَرَتْهُ النُّجُومُ وَاسْتَحَلَّ
 السَّهَادَ وَافْتَرَشَ الْقَنَادَ * اسْتَحَلَّ بِهَاءِ السَّهْرِ وَتَمَلَّكَلْ عَلَى
 فِرَاشِ الْفِكْرِ * قَدْ أَقْضَى مَهَادُهُ وَقَلِقَ وَسَادُهُ * هُمُومٌ
 تَفَرِّقُ بَيْنَ الْجَنَبِ وَالْمِهَادِ وَتَجْمَعُ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالسَّهَادِ

في وصف اتصاف الليل وتناهيه وإشراق النور وأقول النجوم
 قَدْ اسْتَحَلَّ الظَّلَامُ * قَدْ نَصَفْنَا عَمْرَ اللَّيْلِ وَاسْتَغْرِقْنَا
 شَبَابَهُ * قَدْ شَابَ رَأْسُ اللَّيْلِ * كَادَ بَيْنَهُ النَّسِيمُ بِالسَّحْرِ *
 قَدْ انْكَشَفَ غِطَاءُ اللَّيْلِ وَسِتْرُ الدُّجَى * هَرِمَ اللَّيْلُ وَشَمِطَتْ
 ذَوَائِبُهُ * فَوَضَتْ خِيَامُ اللَّيْلِ وَخَلَعَ الْأَفُقُ ثَوْبَ الدُّجَى *
 تَبَسَّمَ الْفَجْرُ ضَاحِكًا مِنْ شَرْفِهِ وَنَصَبَ أَعْلَامَهُ عَلَى مَنَازِلِ
 أَفْقِهِ * اقْتَنَصَ بَازِي الضُّوءِ غُرَابَ الظَّلَامِ وَفَضَّ كَافُورُ
 النُّورِ مِنَ الْغَسَقِ مِسْكَ الْخِتَامِ * طُرِزَ قَبِيبُ اللَّيْلِ بِغُرَّةِ
 الصُّبْحِ * بَاحَ الصُّبْحِ بِسِرِّهِ * خَلَعَ اللَّيْلُ ثِيَابَهُ وَحَدَرَ الصُّبْحُ

نِقَابُهُ * بَثَّ الصُّبْحُ طَلَاعَتَهُ * تَبَرَّعَ اللَّيْلُ بِغُرَّةِ الصُّبْحِ *
 أَطَارَ مُنَادِي الصُّبْحِ غُرَابَ اللَّيْلِ * عَزَلَتْ نَوَافِحُ اللَّيْلِ
 بِجَامَاتِ الْكَافُورِ وَأَنْهَزَمَ جَيْشُ الظَّلَامِ عَنْ عَسْكَرِ النُّورِ *
 مَالَتْ أَحْجُوزَاءُ لِلْغُرُوبِ وَوَلَّتْ مَوَاكِبُ الْكَوَاكِبِ وَتَنَافَرَتْ
 عُقُودُ النُّجُومِ * وَهِيَ نِطَاقُ أَحْجُوزَاءَ وَأَنْطَفَأَ قِنْدِيلُ الثَّرَيَّا

في وصف طلوع الشمس وغروبها ومتوع النهار وانتصافه
 وابتدائه وانتهائه

بَدَا حَاجِبُ الشَّمْسِ * أَلْقَتْ الْغَزَالَةُ لُعَابَهَا وَضَرَبَتْ
 الضُّحَى أَطْنَابَهَا * إِنْشَرَ جَنَاحُ الضُّوْءِ فِي أَفْقِ الْحُجُورِ *
 اسْتَوَى شَبَابُ النَّهَارِ * عَلَا رَوْتِقُ الضُّحَى * بَلَغَتْ الشَّمْسُ
 كِبَادَ السَّيَاءِ * قَامَ قَائِمُ الْهَاجِرَةِ وَرَمَتْ الشَّمْسُ بِجَهْرَاتِ
 الظُّهْرِ * إِصْفَرَّتْ غِلَالَةُ الشَّمْسِ وَصَارَتْ كَأَنَّهَا الدِّينَارُ
 يَلْمَعُ فِي قَرَارِ النَّهَارِ * تَفَضَّتْ نِيرًا عَلَى الْأَصِيلِ وَشَدَّتْ
 رَحْلَهَا لِلرَّحِيلِ * جَنَّتِ الشَّمْسُ إِلَى مَغَارِبِهَا * دَلَّكَتْ
 دُلُوحُ وَأَغْبَرَتْ لُوحُ اللَّوْحِ * نَصَوْبَتْ الشَّمْسُ لِلْمَغِيبِ *
 تَضَيَّعَتْ لِلْغُرُوبِ فَأَذِنَ جَنْبُهَا بِالْوُجُوبِ * شَابَ النَّهَارُ
 وَأَقْبَلَ شَبَابُ اللَّيْلِ * اسْتَرَدَّ وَجْهُ الشَّمْسِ بِالنِّقَابِ

وَتَوَارَتْ بِأَنْجَابِ * كَانَ هَذَا الْأَمْرُ مِنْ مَطْلَعِ الْفَلَقِ
إِلَى مَجْمَعِ الْفَسَقِ

في وصف الرعد والبرق

قَامَ خَطِيبُ الرَّعْدِ * نَبَضَ عِرْقُ الْبَرْقِ * سَحَابَةٌ أَرْتَجَزَتْ
رُعُودَهَا وَذُهَبَتْ بِرُوقِهَا بُرُودَهَا * نَطَقَ لِسَانُ الرَّعْدِ
وَخَفَقَ قَلْبُ الْبَرْقِ فَالرَّعْدُ ذُو صَخَبٍ وَالْبَرْقُ ذُو لَهَبٍ *
إِسْمَ الْبَرْقِ عَزَّ فَهَيْهَ الرَّعْدِ * زَارَتْ أَسْوَدُ الرَّعْدِ *
وَلَمَعَتْ سِوْفُ الْبَرْقِ * رَعَدَتِ الْغَمَامُ وَبَرَقَتْ وَأَنْحَلَتْ
عُرَى السَّهَاءِ فَطَبِقَتْ * هَدَرَتْ رَوَاعِدُهَا وَقَرُبَتْ أَبَاعِدُهَا
وَصَدَقَتْ مَوَاعِدُهَا

في وصف مقدمات المطر

لَيْسَتْ السَّهَاءُ سِرِّبَالَهَا وَسَحَبَتِ السَّحَابُ أَدْيَالَهَا *
قَدْ أَخْتَجَّتِ السَّهَاءُ فِي سُرَادِقِ الْغَيْمِ * لَيْسَ الْخُجُومُ طَرْفَهُ
الْأَدَكْنَ * بَاحَتِ الرِّيحُ بِأَسْرَارِ النَّدَى * ضُرِبَتْ خِيَمَةُ
الْغَمَامِ * إِبْجَلُ جَنَاحِ الْهَوَاءِ وَأَغْرُورَقَتْ مَقَلَّةُ السَّهَاءِ *
هَبَّتْ شِبَائِلُ الْأَنْجَائِبِ لِتَأْلِيفِ شَهْلِ السَّحَائِبِ * تَأَلَّفَتْ
أَشْنَاتُ الْغُيُومِ وَأُسْبِلَتِ السُّنُورُ عَلَى النُّجُومِ

في وصف الثلج والبرد وإيام الشتاء

مَدَّ الشِّتَاءُ رِوَاقَهُ وَالْقَى أَرْوَاقَهُ وَحَلَّ نِطَاقَهُ * أَنَاخَ
بِنَوَازِلِهِ وَأَرْسَى بِكَلَاكِلِهِ وَكَلَّحَ بِوَجْهِهِ وَكَشَرَ عَنْ أَنْيَابِهِ *
قَدْ عَادَتْ أَجْيَالُ شَيْبَا وَلَبِسَتْ مِنَ الثَّلُوجِ مَلَأَ فَشِيبَا *
شَابَتْ مَفَارِقُ الْبُرُوجِ يَتَرَاكُمُ الثَّلُوجِ * أَلَمْ الشَّيْبُ بِهَا
وَأَبْيَضَتْ لِسْمَهَا * بَرْدٌ يَقْضِضُ الْأَعْضَاءَ وَيَنْقُضُ الْأَحْشَاءَ *
بَرْدٌ بِجَهْدِ الرِّيقِ فِي الْأَشْدَاقِ وَالْدَّمْعِ فِي الْأَمَاقِ * يَوْمَ
كَانَ الْأَرْضَ شَابَتْ لِهَوْلِهِ * يَوْمَ فَضِيَ الْجِلْبَابُ مِسْكِي
النِّقَابِ عُبُوسٌ قَطَرِيذٌ كَشَرَ عَنْ نَابِ الزُّمَيْرِ وَفَرَشَ
الْأَرْضَ بِالْفَوَارِيرِ * يَوْمَ أَرْضُهُ كَالْفَوَارِيرِ اللَّامِعَةِ وَهَوَاؤُهُ
كَالزَّنَائِيرِ اللَّاسِعَةِ

في وصف المطر والماء والسحاب والغدران

مَاءٌ إِذَا مَسَّتْهُ أَيْدِي النَّسِيمِ حَتَّى سَلَّسِلَ الْفِضَّةَ *
غَدِيرٌ تَرَفَّرَتْ فِيهِ دُمُوعُ السَّحَابِ وَتَوَاتَرَتْ عَلَيْهِ أَنْفَاسُ
الرِّيَّاحِ الْفَرَائِبِ * اِنْخَلَّ عَقْدُ السَّهَاءِ وَأَنْهَلَ دَمْعُ الْأَنْوَاءِ *
اِنْخَلَّ سِلْكُ الْقَطْرِ عَنْ دُرِّ الْجَرِّ * سَحَابَةٌ تَحْدُو مِنَ الْغُيُومِ
جِبَالًا وَتَهْدُ مِنَ الْأَمْطَارِ حِبَالًا * سَحَابَةٌ تُرْسِلُ الْأَمْطَارَ

أَمْوَاجًا وَالْأَمْوَاجَ أَفْوَاجًا * سَحَابَةٌ يَضْحَكُ مِنْ بَكَائِهَا الرُّوضُ
وَتَخْضَرُ مِنْ سَوَادِهَا الْأَرْضُ * سَحَابَةٌ لَا تَجِفُّ جُفُونَهَا وَلَا
تَجِفُّ أُنْيُنَهَا * دِيمَةٌ رَوَتْ أَدِيمَ الثَّرَى وَنَبَّهَتْ عَيُونَ النُّورِ
مِنَ الْكَرَى * سَحَابَةٌ رَكِبَتْ أَعْنَاقَ الرِّيَّاحِ وَسَحَّتْ كَأَفْوَاحِ
الْجِرَاحِ * مَطَرٌ كَأَفْوَاحِ الْقَرَبِ

في وصف الفيض وشدة الحر

حَرٌّ يُشْبِهُ قَلْبَ الصَّبِّ وَيُذِيبُ دِمَاعَ الصَّبِّ * قُوَى
سُلْطَانُ الْحَرِّ وَبُسْطُ بَسَاطِ الْجَهْرِ * أَوْقَدَتْ الشَّمْسُ
نَارَهَا وَأَذْكَّتْ أَوَارَهَا * حَرٌّ يَلْفُحُ حَرَّ الْوَجْهِ * هَاجِرَةٌ
كَأَنَّهَا مِنْ قُلُوبِ الْعُشَّاقِ إِذَا أَشْنَعَتْ فِيهَا نَارَ الْفِرَاقِ *
هَاجِرَةٌ تَحْكِي نَارَ الْهَجْرِ وَتُذِيبُ قَلْبَ الصَّخْرِ * حَرٌّ يَهْرُبُ
لَهُ الْحَرَبَاءُ مِنَ الشَّمْسِ * قَدْ صَهَرَتْ الْهَاجِرَةُ الْأَبْدَانِ
وَرَكِبَتْ أَجْنَادِبُ الْعِيدَانِ * حَرٌّ يُنْضِجُ الْجُلُودَ وَيُذِيبُ
الْجُلُودَ * أَيَّامٌ كَأَيَّامِ الْفُرْقَةِ أَمْتِدَادًا وَحَرٌّ كَحَرِّ الْوَجْدِ
أَشْنِدَادًا * هَاجِرَةٌ كَالسَّعِيرِ الْهَاجِمِ يَجْرُ أَذْيَالُ السَّمَاءِ

في وصف الشيب

ذَوَى غُصْنٍ شَبَابِهِ * بَدَتْ فِي رَأْسِهِ طَلَائِعُ الْعَشِيبِ *

أَفْهَرُ لَيْلٍ شَبَابِهِ * ظَهَرَتْ غُرَّةُ الْقَهْرِ وَأَوْمَضَ الْبَرْقُ فِي
 لَيْلِ الشَّعْرِ * رُمِيَ فَاحِمُ الْفُودِ بِضِدِّهِ وَاشْتَعَلَ الْبَيْضُ
 فِي مُسَوْدَةٍ * لَمَعَ ضَوْؤُهُ فَرَعِهِ وَتَفَرَّقَ شَمْلُ جَبْعِهِ * عَلَاهُ
 غُبَارُ وَقَائِعِ الدَّهْرِ * بَيْنَاهُمَا رَافِدٌ فِي لَيْلِ الشَّبَابِ أَيْقَظُهُ
 صَبْحُ الْمَشِيبِ * طَوَى مَرَا حِلَ الشَّبَابِ وَأَنْفَقَ عُمْرَهُ بِغَيْرِ
 حِسَابٍ * جَاوَزَ مِنَ الشَّبَابِ مَرَا حِلَ وَوَرَدَ مِنَ الشَّيْبِ
 مَنَاهِلَ * فَلِ الدَّهْرِ شَبَابُ شَبَابِهِ وَمَحَا مَحَاسِنَ رُؤَايِهِ * طَارَ
 غُرَابُ شَبَابِهِ * إِنْتَهَى شَبَابُهُ وَشَابَ أَنْرَابُهُ * اسْتَبَدَلَ
 بِالْأَذْهَمِ الْأَبْلَقَ وَبِالْغُرَابِ الْعَتَقَ * اسْتَعَاذَ مِنَ
 الْغُرَابِ بِقَادِمَةِ النَّسْرِ * أَسْفَرَ صَبْحُ الْمَشِيبِ * عَلَنَهُ أَهْبَةُ
 الْكِبَرِ * نَفَضَ جَبَّةَ الصَّبِيِّ وَنَوَّلَى دَاعِيَةَ الْحُجِيِّ * الشَّيْبُ
 زُبْدَةٌ مَخْضَتُهَا إِلَّا يَامُ وَفِضَةٌ مَحْصَتُهَا الْجَارِبُ * سَرَى فِي
 طَرِيقِ الرُّشْدِ بِصَبَاحِ الشَّيْبِ * الشَّيْبُ خِطَامُ الْمَنِيَةِ *
 الشَّيْبُ نَذِيرُ الْآخِرَةِ

في وصف آلات الكناية

الدَّوَاءُ مِنْ أَنْفَعِ الْأَدْوَاتِ وَهِيَ لِلْكِتَابَةِ عَنَادٌ وَلِلْخَاطِرِ
 زِنَادٌ * غَدِيرٌ لَا يَرِدُهُ غَيْرُ الْأَفْهَامِ وَلَا يُنْمَحُ بِغَيْرِ أُرْشِيَةٍ

الْأَقْلَامُ * غَدِيرٌ تَفِيضٌ بِنَايِعِ الْحِكْمَةِ مِنْ أَفْطَارِهِ وَتَشَا
 سَحْبُ الْبَلَاغَةِ مِنْ فَرَارِهِ * مِدَادٌ كَسَوَادِ الْعَيْنِ وَسُوَيْدَاءُ
 الْقَلْبِ وَجَنَاحِ الْغُرَابِ وَلَعَابِ اللَّيْلِ وَالْوَانِ دُهُمِ الْخَيْلِ *
 مِدَادٌ نَاسَبٌ خَافِيَةِ الْغُرَابِ وَأَسْتَعَارَ لَوْنَهُ مِنْ شَرَحِ
 الشَّبَابِ * أَقْلَامٌ جَبَّةُ الْحَمَاسِ بَعِيدَةٌ مِنَ الْمَطَاعِينَ *
 أَنْبَابُ نَاسَبَتْ رِمَاحَ الْخَطِّ فِي أَجْنَاسِهَا وَشَاكَلَتْ الذَّهَبَ
 فِي الْوَانِيَا وَضَاهَتْ أَحْدِيدَ فِي لِمَعَانِيهَا * أَقْلَامٌ كَانَتْهَا
 الْأَمْبَالُ أَسْنَوَاءُ وَالْأَجَالُ مَضَاءُ بِطِيقَةِ الْحَفَى قُوَّةُ الْقُوَى *
 قَلَمٌ لَا يَنْبُو إِذَا نَبَتِ الصِّفَاحُ وَلَا يَجْجِمُ إِذَا أُخْجِبَتِ
 الرِّمَاحُ * قَلَمٌ يَسْكُتُ وَافِقًا وَيَنْطِقُ سَاكِتًا

في وصف الخطباء

جَلُّوا بِكَلَامِهِمِ الْأَبْصَارَ الْعَلِيلَةَ وَشَحَذُوا بِهَوَا عِظِيمِ
 الْأَذْهَانِ الْكَلِيلَةَ وَنَبَّهُوا الْقُلُوبَ مِنْ رَفْدَتِهَا وَقَلَّوْهَا عَنْ
 سُوءِ عَادَتِهَا فَشَفَوْا مِنْ دَاءِ الْقِسْوَةِ وَغَبَاوَةِ الْغَفْلَةِ وَدَاوُوا
 مِنْ أَلْعَى الْفَاضِحِ وَنَهَجُوا لَنَا الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ * خَطِيبٌ لَا
 تَنَالُهُ حَبْسَةٌ وَلَا تَرْتَهِنُهُ لُكْنَةٌ وَلَا تَنْهَشِي فِي خِطَابِهِ رُتَّةٌ وَلَا
 تَحْفِفُ بَيَانَهُ عَجَبَةٌ وَلَا تَعْتَرِضُ لِسَانَهُ عَقْدَةٌ * خَطِيبٌ

جَوَاهِرُ نَفْسَانِهِ صِحَاحٌ وَعَوَائِسُ أَفْكَارِهِ صِبَاحٌ * خَطِيبٌ
تَزَيَّنَتْ بِدُرَرِ الْفَاطِيهِ عَقُودُ الْعِلْمِ * لَا عَيْبَ فِيهِ إِلَّا أَنْ
لَفْظُهُ عَطَلَ الْبَاقُوتَ وَالْذُرَّ * خَطِيبٌ مِصْقَعٌ يَنْثُرُ لِسَانُهُ
الْلُّوْلُوهَ الْمَكْنُونِ * هُوَ الْخَطِيبُ الْمِصْقَعُ الَّذِي أَشْخَصَ
بِآيَاتِ خُطْبِهِ الزَّاجِرَةَ عِيُونَ الْقَوْمِ وَأَبْكَاهَا * هُوَ الْخَطِيبُ
الْمِصْقَعُ الَّذِي تَلَاعَبَ بِالْعُقُولِ مَعَانِيهِ وَيُصَاغُ الدُّرُّ مِنْ
لَفْظِهِ فِيهِ * هُوَ الْخَطِيبُ الَّذِي تَهْتَزُّ لَهُ الْمَنَابِرُ وَتَقَادُّ إِلَيْهِ
كَلِمَاتُ السَّحْرِ مُتَسَابِقَةً آخِذَا بَعْضَهَا بِرِقَابِ بَعْضٍ

في وصف العلماء

بَدْرُ الْعُلُومِ اللَّائِحُ وَقَطْرُهَا الْغَادِي وَالرَّائِحُ وَيَبِيرُهَا
الَّذِي لَا يُزْحَمُ وَمُنِيرُهَا الَّذِي يُجَلِّي بِهِ لَيْلَهَا الْأَسْحَمُ * أَمَّا
فَنُونَ الْأَدَبِ فَهُوَ ابْنُ بَجْدَتِهَا وَأَخُوجِبَلَتِهَا وَأَبُو عُدْرَتِهَا
وَمَا لِكَ أَزِمَتِهَا * يُسْتَخْرَجُ الْجَوَاهِرُ مِنْ بَحْرِهِ وَتَحْلَى لُبَاتُ
الطُّرُوسِ بِقَلَائِدِ سَطُورِهِ * تَأْكِلُهُ غُرٌّ مُنِيرَاتٌ أَضَاءَتْ
فِي وَجْهِهِ دَهْمُ الْمَشْكِلَاتِ * عَالِمٌ أَقْلَامُهُ نَفَثَاتُ السَّحْرِ *
تَأْكِلُهُ عَقَائِلُ أَصْحَ الدَّهْرِ مِنْ خُطَايَاهَا * لَهُ بَدَائِعُ مَائِسَاتُ
الْأَعْطَافِ * بَحْرُ الْبَيَانِ الزَّاخِرُ * شَيْخُ الْمَعَارِفِ وَإِمَامُهَا

وَمَنْ فِي يَدَيْهِ زِمَامُهَا لَدَيْهِ تَشْدُ ضَوَالُ الْأَعْرَابِ وَتُوجَدُ
 شَوَارِدُ اللُّغَةِ وَالْأَعْرَابِ * مَا لَكَ أَعْنَى الْعُلُومِ وَنَاهِجُ
 طَرِيقِهَا وَالْعَارِفُ بِتَرْصِيعِهَا وَتَنْبِيهِهَا النَّاسِظُ لِعُقُودِهَا
 الرَّاقِمُ لِبُرُودِهَا الْحَيِّدُ لِرَهَافِهَا الْعَالِمُ بِجِلَالِهَا وَزِفَافِهَا *
 مَلِكُ رِقِّ الْكِتَابَةِ وَالْإِنْشَاءِ وَتَصَرَّفِ فِي فُنُونِ الْإِبْدَاعِ
 كَيْفَ شَاءَ * عَالِمٌ يَتَفَجَّرُ الْعِلْمُ مِنْ جَوَانِيهِ وَتَنْطِقُ الْحِكْمَةُ
 مِنْ نَوَاحِيهِ * صَاحِبُ الْهَصَنَاتِ الَّتِي دَلَّتْ عَلَى وَفَرَةٍ
 أَطْلَاعِهِ وَغَزَارَةِ مَادَّتِهِ وَحُسْنِ بَيَانِهِ * لَمْ يَتْرِكْ مَعْنًى مُغْلَقًا
 إِلَّا فَتَحَ صِبَاصِيَهُ وَلَا مُشْكِلًا إِلَّا أَوْضَحَ مَبَانِيَهُ

في وصف البلقاء

فُلَانٌ بِحُوكِ الْكَلَامِ عَلَى حَسَبِ الْأَمَانِي وَتَخِيْطِ
 الْأَلْفَاظِ عَلَى قُدُودِ الْمَعَانِي * يَجَنِّي مِنَ الْأَلْفَاظِ أَنْوَارَهَا
 وَمِنْ الْمَعَانِي نِهَايَهَا * يَعْثُ بِالْكَلَامِ وَيَقُودُهُ بِاللِّينِ
 زِمَامٌ حَتَّى كَانَ الْأَلْفَاظُ تَحَاسَدُ فِي التَّسَابُقِ إِلَى خَوَاطِيرِهِ
 وَالْمَعَانِي تَتَغَايَرُ فِي الْإِثْيَالِ عَلَى أَنْامِلِهِ * بَلِيغٌ نَسَقَ مِنْ
 جَوَاهِرِ كَلَامِهِ أَكَالِيلَ دُرٍّ مَا لِيَنْظُومِهَا سِلْكٌ * بَلِيغٌ تَفَكُّ
 سِهَامِ أَفْكَارِهِ الزَّرْدِ * نَاسِظٌ سِلْكِ الْبَلَاغَةِ وَقَائِدُ زِمَامِ

الْبَرَاءَةِ * إِذَا أَوْجَزَ أُعْجَزَ وَإِذَا شَاءَ أَطَالَ وَأُطْلِقَ مِنْ
الْبَلَاغَةِ الْعِمَالِ * إِذَا أَذْكَى سِرَاجَ الْفِكْرِ أَضَاءَ ظِلَامَ
الْأَمْرِ * يَسْتَنْبِطُ حَقَائِقَ الْقُلُوبِ وَيَسْتَخْرِجُ دَوَائِعَ الْغُيُوبِ

في وصف الشعراء والمنشئين ومحاسن النظم والنثر

مَقْدِفُ حَصَى الْقَرِيضِ وَجَارِهِ وَمَطْلَعُ شُهُوسِهِ وَأَقْبَارِهِ *
نَثْرُهُ سِحْرُ الْبَيَانِ وَنَظْمُهُ قِطْعُ الْجَبَانِ * طَلَعَتْ شَمْسُ
الْأَدَبِ مِنْ أَفْقِ أَشْعَارِهِ وَتَغَبَّرَتْ بَنَائِعُهَا مِنْ خِلَالِ
آثَارِهِ * شَاعِرٌ تَوَقَّدَتْ جَهْرَاتُ أَفْكَارِهِ * شَاعِرٌ عَرَّائِسُ
أَفْكَارِهِ صِبَاحٌ * إِنْ نَثَرَ فَالْجُومُ فِي أَفْلَاكِهَا أَوْ نَظَّمَ
فَالتَّجَوَّاهِرُ فِي أَسْلَافِهَا * أَخَذَتْ بِجَمَاعِ الْقُلُوبِ كُلِّهَا *
إِذَا كَتَبَ انْتَسَبَ إِلَيْهِ السِّحْرُ أَصَحُّ انْتِسَابٍ وَنَسَقَ الْمُعْجِزَاتِ
نَسَقَ حِسَابٍ وَآرَى الْبَدَائِعَ بَيْضَ الْوُجُوهِ كَرِيمَةِ الْأَحْسَابِ *
إِنْ نَثَرَ رَأَيْتَ بَحْرًا يُوَخَّرُ * إِذَا نَظَّمَ أَرَزَى بِنَظْمِ الْعُقُودِ
وَأَتَى بِأَحْسَنَ مِنْ رَقْمِ الْبُرُودِ * إِذَا كَتَبَ مَلَأَ الْمَهَارِقَ
بَيَانًا وَآرَى السِّحْرَ عِيَانًا * هُوَ الْكَاتِبُ الَّذِي تَحْسُدُ أَرْقَامُ
الطَّرَازِ سَطُورَ قَلَمِهِ وَبَوْدُ التَّبَرُّكِ كَانَ مِدَادَ قَلَمِهِ * هُوَ
الْكَاتِبُ الَّذِي تَتَقَادُّ إِلَى يَرَاعِهِ دَفَائِقُ الْمَعَانِي صَاغِرَةً

بِزِمَامٍ * نَثْرُ كَثْرِ الْوَرْدِ وَنَظْمُ كَظْمِ الْعِقْدِ * نَثْرُ كَالسَّحْرِ
 أَوْ أَدَقُّ وَنَظْمُ كَالِهَاءِ أَوْ أَرْقُ * نَثْرُ كَمَا تَفْخُ الزَّهْرُ
 وَنَظْمُ كَمَا تَنْفَسُ السَّحْرُ * رِسَالَةُ تَضَحُّكُ عَنْ غُرِّ وَزَهْرِ
 وَقَصِيدَةُ تَنْطَوِي عَلَى حَبْرٍ وَدُرِّ * كَلَامُ كَمَا هَبَّ نَسِيمُ
 السَّحْرِ عَلَى صَفَحَاتِ الزَّهْرِ * كِتَابُ مَطْلَعُهُ مَطْلَعُ أَهْلِهِ
 الْأَعْيَادِ وَمَوْقِعُهُ مَوْقِعُ نَيْلِ الْهَرَادِ * كِتَابُ حَسْبَتُهُ يَطِيرُ
 مِنْ يَدَيِ لِحْفَتِهِ وَيَلْطَفُ عَنْ حَسِي لِقْلِنِهِ * صَحَائِفُ أَنْطَوَتْ
 الْحَاسِنُ تَحْتَ رَقٍّ مَشُورِهَا وَصَدَحَتْ حَبَائِمُ الْبَلَاغَةِ عَلَى
 أَغْصَانِ سَطُورِهَا * صَحَائِفُ تُنَوِّبُ عَنِ الصَّفَائِحِ وَقَرَّاطِيسُ
 تُزِفُ إِلَى الْأَسْمَاعِ عَرَائِسَ الْقَرَائِحِ * صَحَائِفُ أَلْبَسَهَا
 الْحَبْرُ أَثْوَابًا مِنَ الْحَبْرِ وَدَجَّجَهَا صَوْبُ الْفِكْرِ لَا صَوْبُ الْمَطَرِ

في وصف الامراء والاشراف

فَلَانٌ مِنْ شَرَفِ الْعُنْصُرِ الْكَرِيمِ وَمَعْدِنِ الشَّرَفِ
 الصَّبِيمِ * أَصْلُ رَاسِخٍ وَفَرْعٌ شَائِخٌ وَمَجْدٌ بَازِخٌ * قَدْ رَكَّبَ
 اللَّهُ دَوْحَهُ فِي قَرَارَةِ الْعَجْدِ وَغَرَسَ نَبْعَتَهُ فِي مَنبِتِ الْفَضْلِ *
 الْعَجْدُ لِسَانٌ أَوْصَافِهِ وَالشَّرَفُ نَسَبُ أَسْلَافِهِ * دَوْحَةُ
 رَسَبَ عِرْفُهَا وَبَسَقَ فَرْعُهَا وَطَابَ عُودُهَا وَأَعْدَلَ

عَمُودُهَا وَفِيَّاتُ ظِلَالِهَا وَتَهْدَلْتُ ثِمَارَهَا وَتَفَرَّعَتْ
 أَغْصَانُهَا وَبَرَدَ مَقِيلُهَا * أَمِيرُ جَيْشِهِ الْهَيْمَمُ * دَوْحَةُ مَجْدِهِ
 وَرَيْفَةُ الظِّلِّ وَرَيْقَةُ * أَمِيرُ لَا عَيْبَ فِي نَدَاهُ إِلَّا أَنَّهُ يَسْتَعِيدُ
 كُلَّ حَرْ * هُوَ غُرَّةُ الْجَبَالِ وَصُورَةُ الْكِبَالِ * عِنْدُ الْمَنَاصِبِ
 بِهِ نَصِيدُ * أَمِيرُ عَيْقَتٍ مِنْ شَبَائِلِهِ نَسَبَاتُ النَّدْرِ وَقَطَرَتْ
 مِنْ سَلْسَبِيلِ أَوْصَافِهِ مِيَاهُ الْعَجْدِ * جَامِعُ مَا تَفَرَّقَ مِنْ شَهْلِ
 الْفَضَائِلِ * نَاطِمُ مَا أَثَرَتْ مِنْ عِنْدِ الْمَآثِرِ * أَنْارَتْ بِهِ مَجُومُ
 الْمَعَالِي وَشُمُوسُهَا * لَهُ شَرَفٌ بَازِخٌ تَعْقِدُ بِالْجُومِ ذَوَائِبُهُ *
 أَلْقَتْ إِلَيْهِ الرِّئَاسَةَ مَقَالِيدَهَا وَمَلَكْنَهُ طَرِيفَهَا وَتَلِيدَهَا *
 أَمِيرُ تَفَرَّعَ مِنْ دَوْحَةِ سَنَاةٍ وَتَهْدَرُ مِنْ سُلَالَةِ أَكَابِرِ وَرُقَافِ
 أُسْرِفٍ وَمَنَابِرِ * مُرْتَضِعُ نَدْيِ الْعَجْدِ وَمُقَرَّشُ حَجَرِ الْفَضْلِ *
 لَهُ صَدْرٌ تَضِيقُ بِهِ الدَّهْنَاءُ وَتَفَرَّعُ إِلَيْهِ الدَّهْنَاءُ * لَهُ فِي
 كُلِّ مَكْرَمَةٍ غُرَّةُ الْإِصْبَاحِ وَفِي كُلِّ فَضِيلَةٍ قَادِمَةُ الْجَنَاحِ *
 لَهُ صُورَةٌ تَسْتَنْطِقُ الْأَفْوَاهَ بِالتَّسْمِيحِ وَيَتَرَقَّرُ فِيهَا مَاءُ
 الْكَرَمِ وَتُقْرَأُ فِيهَا صَحِيفَةُ الْبِشْرِ * يَنَابِيعُ الْجُودِ تَنْفَجِرُ مِنْ
 أُنَامِلِهِ وَرَبِيعُ السَّيَاكِ يَضْحَكُ مِنْ فَوَاضِلِهِ * لَهُ أَخْلَاقُ
 خُلِقَ مِنْ الْفَضْلِ وَشِيمٌ تُشَامُ مِنْهَا بَوَارِقُ الْعَجْدِ * أَرْجَ

الزَّمانُ بِفَضْلِهِ وَعَقِيمَ النِّسَاءِ عَنِ الْإِثْيَانِ بِبِشْلِهِ * مَا لَهُ
لِلْعَفَاءِ مَبَاجٍ وَقَعَالُهُ فِي ظِلْمَةِ الدَّهْرِ مَصْبَاحٌ * مَنَاقِبُ
تَشْدُخُ فِي جَبِينِهَا غُرَّةُ الصَّبَاحِ وَتَهَادِي أَنْبَاءَهَا وَفُودُ
الرِّيَّاحِ * سَأَلْتُ عَنْ أَخْبَارِهِ فَكَأَنِّي حَرَكْتُ الْهَيْسَكَ فَنِيَقًا
أَوْ صَبَحْتُ الرُّوضِ أُنَيْقًا * هُوَ رَأِيشُ نَبْلِهِمْ وَنَبْعَةُ فَضْلِهِمْ
وَوَاسِطَةُ عَقْدِهِمْ * لَهُ هَيْبَةٌ عَلَا جَنَاحُهَا إِلَى عَنَانِ النُّجْمِ
وَأَمَدُ صَبَاحُهَا مِنْ شَرْقٍ إِلَى غَرْبٍ * هَيْبَتُهُ أَبْعَدُ مِنْ مَنَاطِ
الْفَرْقِدِ وَأَعْلَى مِنْ مَنَكِبِ الْجُوزَاءِ * مَوْضِعُهُ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ
مَوْضِعُ الْوَاسِطَةِ مِنَ الْعَقْدِ وَلَيْلَةُ النِّيمِ مِنَ الشَّهْرِ بَلْ لَيْلَةُ
الْقَدْرِ إِلَى مَطْلَعِ الْفَجْرِ * مَطَّلَتْ عَلَى سَحَابِ عِنَايَتِهِ وَرَفَرَتْ
حَوْلِبِ أَجْنِحَةِ رِعَايَتِهِ * قَدْ اسْتَظْهَرْتُ عَلَى جُورِ الْإِيَّامِ
بِعَدْلِهِ وَاسْتَنْزَرْتُ مِنْ دَهْرِي بِظِلِّهِ * قَدْ غَرَّقْتَنِي نِعْمُهُ حَتَّى
اسْتَنْفَدْتُ شُكْرَ لِسَانِي وَيَدِي * تَتَابَعَتْ نِعْمُهُ تَتَابَعِ الْقَطْرِ
عَلَى الْقَفْرِ وَتَرَادَفَتْ مِنْهُ تَرَادَفَ الْبُسْرِ إِلَى ذِي الْقَفْرِ *
لَهُ أَيْادٍ قَدْ عَمَتْ أَلْفَافُ وَطَوَّقَتْ أَلْأَعْنَاقُ * أَيَْادٍ قَدْ
حَبَسَتْ عَلَيْهِ الشُّكْرَ وَاسْتَعْبَدَتْ لَهُ الْخَرَّ * مِنْ تَوَالَتِ تَوَالِي
الْقَطْرِ وَأَنْسَعَتْ سَعَةُ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَأَثْقَلَتْ كَاهِلَ الْخَرِّ *

عِنْدِي فِلَادَةٌ مُتَّظِبَةٌ مِنْ مِثْلِهِ قَدْ جَعَلْتُهَا وَقْفًا عَلَى نُحُورِ
 الْأَيَّامِ وَجَلَوْنَهَا عَلَى أَبْصَارِ الْأَنَامِ * أَيَادِيهِ أَطْوَاقُ
 فِي أَجْيَادِ الْأَحْرَارِ * أَيَادِيهِ فَرَضُ لَهَا الشُّكْرُ وَبِحُجْمٍ وَمِنْ
 يَدَيْهَا الذِّكْرُ وَبِحُجْمٍ * أَيَادِيهِ ثِقَلُ الْكَاهِلِ وَمِنْ تَعَبِ
 الْأَنَامِلِ * مِنْ هِيَ أَحْسَنُ أَثَرٍ مِنَ الْغَيْثِ فِي أَزَاهِيرِ
 الرَّبِيعِ وَأَحْلَى مَوْقِعٍ مِنَ الْأَمْنِ عِنْدَ الْخَائِفِ الْهَرُوعِ *
 أَيَادِيهَا لَا تُحْصَى أَوْ تُحْصَى مُحَاسِنُ النُّجُومِ وَمِنْ لَا تُحْصَرُ أَوْ
 تُحْصَرُ أَفْطَارُ الْغُيُومِ * زَادَتْ أَيَادِيهِ حَتَّى كَادَتْ تَجْهَدُ
 الْأَعْدَادَ وَتَسْبِقُ الْأَعْدَادَ

في وصف البكاء والجزع وعظم المصائب والتعازي وما يتعلق بها
 خَبَّرَ عَزَّ عَلَى النَّفُوسِ مَسْمَعُهُ وَأَثَرُ فِي الْقُلُوبِ مَوْقِعُهُ *
 خَبَّرَ تَسْنِكَ لَهُ السَّمَاعُ وَتَرَجَّ بِهَ الْأَصَالِحُ * مُصَابُ
 فَضِّ عُقُودِ الدَّمُوعِ وَشَبَّ النَّارَ بَيْنَ الضُّلُوعِ * مُصَابُ
 أَذَابِ دُمُوعِ الْأَحْرَارِ فَتَحَلَّتْ سَحَابُ الدَّمُوعِ الْغِزَارُ
 وَأَسَدَّتْ مَسَالِكَ السُّكُونِ وَالْإِسْتِقْرَارِ * رَزَمَتْ نَدَا الْقُلُوبِ
 وَجَرَحَهَا وَأَحْرَّ الْأَكْبَادَ وَقَرَّحَهَا فَالْدُمُوعُ وَكَفَّةُ
 وَالْقُلُوبُ وَاجِفَةٌ وَالْهَمُّ وَارِدٌ وَالْأَنْسُ شَارِدٌ وَالنَّاسُ

مَا تَهُمُّ عَلَيْهِ وَاحِدٌ * غَرَبَ لِمَوْتِهِ نَجْمُ الْفَضْلِ وَكَسَدَتْ
 سُوقُ الْأَدَبِ وَقَامَتْ نَوَادِبُ السَّهَابَةِ * لَطَمَتْ عَلَيْهِ
 الْحَسَنُ خُدُودَهَا وَشَقَّتْ لَهُ الْمَنَاقِبُ جُيُوبَهَا وَبُرُودَهَا *
 رَزَقَتْهُ الْأَحْسَاءُ مُحَرِّقَةً وَالْأَجْفَانُ بِمَا فِيهَا غَرِيقَةً وَالْذَّمُّ
 وَكَفَتْ وَالْحُزْنُ عَاصِفٌ * مَا أَعْظَمَهُ مَقْوَدًا وَمَا أَكْرَمَهُ
 مَوْجُودًا * إِنِّي لَأُنُوحُ عَلَيْهِ نَوْحَ الْمَنَاقِبِ وَأَرْثِيهِ مَعَ النُّجُومِ
 الثَّوَابِ وَأَبْكِيهِ مَعَ الْعَالِي وَالْحَسَنِ وَأُنِّي عَلَيْهِ بِشَاءَ
 الْمَسَاعِي وَالْمَآثِرِ * مَضَى وَالْحَسَنُ تَبْكِيهِ وَالْمَنَاقِبُ
 تُعْزِي الْعُيُونُ فِيهِ * كَانَ مَنْزِلُهُ مَأْلَفَ الْأَضْيَافِ وَمَأْسَرَ
 الْأَشْرَافِ وَمَنْجَعِ الرُّكْبِ وَمَقْصِدِ الْوَفْدِ * إِعْنَاضَ مِنْ
 تَزَاحُمِ الْمَوَاقِبِ تَحَاشُدِ الْمَآثِمِ وَمِنْ ضَجِجِ الْبِنَاءِ وَالصَّهِيلِ
 عَجِجِ الْبُكَاءِ وَالْعَوِيلِ * هَذِهِ الْمَكَارِمُ تُبْكِي شَجْوَهَا لِقَدْرِهِ
 وَتَلْبِسُ حِدَادَهَا مِنْ بَعْدِهِ * هَذِهِ الْحَسَنُ قَدْ قَامَتْ
 نَوَادِبُهَا مَعَ نَوَادِبِهِ وَأَفْتَرَنْتْ مَصَائِبُهَا بِمَصَائِبِهِ

ذيل

في الادعية في خواتم الكتب

أَطَالَ اللَّهُ لِسِيدي الْبَقَاءَ كَطُولِ يَدِهِ بِالْعَطَاءِ وَمَدَّ
لَهُ فِي الْعُمُرِ كَأَمْتِدَادِ ظِلِّهِ عَلَى الْأَحْزَرِ وَأَدَامَ لَهُ الْهَوَاهِبَ
كَمَا أَفَاضَ بِهِ الرِّغَائِبَ وَحَرَسَ لَدَيْهِ الْفَضَائِلَ كَمَا عَوَّذَ
بِهِ الشَّمَائِلَ * لَا زَالَتِ الْأَلْسُنُ عَلَيْهِ بِالثَّنَاءِ نَاطِقَةً وَالْقُلُوبُ
عَلَى مَوَدَّتِهِ مُطَاقِقَةً وَالشَّهَادَاتُ لَهُ بِالْفَضْلِ مُتَنَاسِقَةً *
أَبْقَاهُ اللَّهُ لِلْجَبِيلِ يُعْلِي مَعَالِمَهُ وَيُجَيِّ مَكَارِمَهُ وَيَعْمُرُ
مَدَارِجَهُ وَيُشِيرُ نَتَائِجَهُ * أَتَمَّ اللَّهُ لَهُ الْهَوَاهِبَ سَامِيَةً
الذَّوَابِبِ مُوفِيَةً عَلَى أُمْنِيَةِ الرَّاجِي وَبُغْيَةِ الطَّالِبِ *
وَاللَّهُ يُتَابِعُ لَهُ أَيَّامَ الْعِلَاءِ وَالْعِبْطَةِ وَالنَّمَاءِ وَالْبَسْطَةِ
لِتَرْتَعَ أَنْوَاعُ الْخِدْمِ فِي رِيَاضِ فَوَاضِلِهِ وَتَكْرَعَ أَصْنَافُ
الْحَشَمِ مِنْ حِيَاضِ مَوَاهِبِهِ * وَاللَّهُ تَعَالَى يَقْبَلُ الرَّئِيسَ
الْبَصَائِبَ وَيُعِيدُهُ مِنَ النَّوَائِبِ وَيَرْعَاهُ بِعَيْنِهِ الَّتِي لَا تَنَامُ
وَيَجْعَلُهُ فِي حَبَاهُ الَّذِي لَا يَرَامُ * لَا زَالَتِ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي

مَطَايَا فِي أَمَانِيهِ وَأَمَالِهِ وَصَرَفَ اللَّهُ صُرُوفَ الْغَيْرِ عَنْ
 إِصَابَةِ إِقْبَالِهِ وَكَمَالِهِ * أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْأَمِيرِ وَأَدَامَ
 عِزَّهُ وَتَأْيِيدَهُ وَعُلُوَّهُ وَتَهْنِئَتَهُ وَبَسْطَتَهُ وَتَوَطُّيْدَهُ وَظَاهَرَ
 لَهُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ مَزِيدَهُ * أَطَالَ اللَّهُ تَقَاءَ سَيِّدِي مُحَمَّدٍ
 بِأَيْدِي الْأَقْدَارِ مَعْصُومًا مِنْ عَوَادِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مُكْتَنَفًا
 مِنْ لَطَائِفِ اللَّهِ الْخَفِيَّةِ وَعَوَارِفِ صَنَائِعِهِ الْخَفِيَّةِ بِهَا
 يَدْفَعُ عَنْ حُوزَتِهِ نَوَائِبَ الْخُطُوبِ وَيَصْنَعُ لَهُ فِي طَيِّ
 الْبُكْرَةِ نِهَآيَةَ الْعُجُوبِ



داخية	٣٧٦٢٢
فنية	٦
تاريخية	٦٦ ح

